السمير المهذب

مجموعة قصص تهذيبية ، وحكايات خلقية ، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب

علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

الجزء الثالث

من أربعة أجزاء

الطبعة الأولى

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م

يطلب من ملتزمي طبعه ونشره

عيسى البابي الحلبي وشركاه

أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

« نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا
ٱلْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ »

« قرآن كريم »

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد فهذا الجزء الثالث من كتاب (السمير المهذب) وهو يشتمل :

أولا – على شرح الآيات القرآنية الواردة فى منهج وزارة المعارف الحديث (قسم المهذب – مقرر السنة الثالثة) وبيان ماتضمنته من الفضائل .

ثانيا – على حكايات وأمثال تطبيقية على موضوعات هذه الآيات

ثالثا – على حكايات وأمثال أخرى فى بيان بعض الفضائل التى لم يرد ذكرها فى الجزئين السابقين ، وقد رأينا ضرورة ذكرها إتماما لمعرفة جميع الفضائل وأضدادها ، حتى يكون الطالب على علم تام بها

رابعا – على نبذة فى حياة الأئمة الأربعة ، وبيان ماتضمنته من فضائل طبقاً للمدون فى منهج الوزارة الحديث

وأرجو أن يكون من مطالعة هذا الكتاب ، ما أرجوه من الفائدة بالنفع لجميع الطلاب ، وأسأله تعالى حسن المآب ، وجزيل الثواب

علي فكري
الأمين الأول
لدار الكتب المصرية

مصر الجديدة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٢٩

القسم الأول

شرح الآيات القرآنية الواردة فى منهج وزارة المعارف فى صفحة ٧ وبيان ماتضمنته من الفضائل

١ — الاقتصاد

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا »

أمر الله جل شأنه بالاقتصاد فى العيش ، واتخاذ السبيل الوسط بين الاسراف والتقتير، ونهى عن البخل والتبذير، ممثلا حالة الأول بحال من كانت يده مغلولة الى عنقه ، مضمومة اليه ، مجموعة معه فى الغل ؛ بحيث لايستطيع التصرف بها ؛ وحالة الثانى بحال من يبسط يده بسطا ؛ بحيث لا يتعلق بها شئ مما تقبض الأيدى عليه ، مبينا ما ينتج عن البخل من المذمة واللوم ، وعن الاسراف والتبذير من الحسرة والندامة، حيث لايجد شيئا ينفقه

٢ — أدب الحديث

« يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ

وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ »

تشتمل هذه الآية على صنوف الآداب التى أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به نبيه ﷺ من الاجلال والتعظيم

ومعناها : لا ترفعوا أصواتكم عند محادثتكم له ﷺ ، ومكالمتكم معه الى حد يكون فوق مايبلغه صوته ﷺ ؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام ، وترك الاحترام له ﷺ ؛ لأن خفض الصوت ، وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير عادة

ولا تجهروا له بالقول ، كما يجهر أحدكم لأخيه اذا كلمه ، لأن ذلك إنما يكون بين الأكفاء ، الذين ليس لبعضهم على بعض مزية ، توجب احترامه وتوقيره ، مع ما فيه من الجفاء فى مخاطبته ﷺ وعدم الأدب معه

ثم علّل سبحانه وتعالى ما ذكره بقوله « أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ »

أى انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده ، والجهر له بالقول ، كما يجهر أحدكم لأخيه اذا كلمه خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى

لغضبه ، فيحبط عمل من أغضبه ، وهو لا يشعر ولا يدرى

ثم ندب الله تعالى الى خفض الصوت وحثَّ عليه ورغَّب فيه فقال :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » أى ان الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله إجلالا له وتعظيما ، أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، وجعلها لها أهلا ومحلا ، وكان جزاؤهم لذلك مغفرة وأجراً عظيما

٣ – إكرام الوالدين

« وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا »

أمر الله أمراً جازما ، وحكم حكما قاطعا ، بتوحيده وعبادته ، وبرّ الوالدين ، والاحسان بهما ، وفى هذا الاقتران من الدلالة على تأكد حقهما ، والعناية بشأنهما ، مالا يخفى على كل عاقل ؛ ثم شدّد فى الأمر بمراعاتهما ، حتى لم يرخص بالكلام معهما ، باى كلام يكون من ورائه تضررهما ، وتكدر خاطرهما ؛ بل الواجب عليه فى هذه الحالة ، أن يقول لهما

قولا لينا جميلا سهلا ، خصوصا اذا كانا كبيرين ، فلا يصح أن يقول لهما أى قول يجلب غضبهما ، حتى التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ ، بل يجب معاملتهما بالحسنى ، واستعمال القول اللين الطيب ، مع الأدب والاحترام ، وأن يخفض لهما جناح الذل والتواضع ، لأنهما أولى بالشفقة والرحمة ، وقد حث الله على برهما ، والاحسان اليهما ، بطلب الدعاء لهما من الله ، أن يرحمهما برحمته الباقية بقوله : رب ارحمهما رحمة مثل رحمتهما ، وتربيتهما إياى فى الصغر

٤ — إطاعة أولياء الأمور

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ »

أمرنا الله عز وجل ، بإطاعة أمره ، وتجنب نواهيه ، كما أنه أمرنا بإطاعة رسول الله ﷺ فى كل ماجاء به ، واتباع سنته

وأولو الأمر ، رؤساؤنا الذين يسعون فى جلب الخير لنا ، مااستطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويمنعون تعدى بعضنا على بعض ، حتى لا يختل النظام ، والأمن العام ، فلا يظلم القوى الضعيف ، ولا يتعدى الأشرار الخبثاء على الناس الذين كملت أخلاقهم ، وطابت نفوسهم ، وحسنت سريرتهم ، وتمتنع السرقة ، والنهب ، والسلب ، والقتل

فالواجب ، يقضى علينا أن نحترمهم ، ونعظمهم ونطيع أوامرهم ، ولا نعصى لهم أمرا ؛ فاذا أطعناهم كما أمرنا الله تعالى ، واحترمناهم ، وعظمناهم ، رضوا عنا وأسرعوا الى السعي فيما فيه مصلحتنا ، وراحتنا ، واطمئنان بالنا

أما اذا خالفناهم ، فنكون قد خالفنا أوامر الله ، وما تقضى به علينا الآداب والواجبات وتتعطل مصالحنا ، وتتكدر خواطرنا

ومن ذا الذى يرضى لنفسه الكدر والحزن ؟ أو أن ينسب لمخالفة أوامر ربه ، ومخالفة الآداب والواجبات ؟

٥ — التحية وآدابها

قال الله تعالى : « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا »

فى هذه الآية الكريمة ارشاد من الله لعباده المؤمنين ، وتعليم لامة نبيه محمد ﷺ وقد هيأ الله لنا روابط الألفة والإخاء والمحبة ، بالتحية ، وهى السلام

فاذا سلّم عليكم المسلم ، فردوا عليه السلام ، بأفضل مما سلم عليكم

فان قال لكم : السلام عليكم

فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله

وان قال لكم : السلام عليكم ورحمة الله

فقولوا له : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

وليس فى السلام زيادة على ذلك ، أو ردّوا عليه بمثل ما سلم عليكم واقتصروا على مثل اللفظ الذى جاء به

وانما اختار الشرع لفظ السلام على لفظ حيّاك الله مثلا ؛ لأنه أتم وأكمل وأحسن أما قوله « إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا » أى يحاسبكم على كل شئ من أعمالكم ، ويدخل فى ذلك ما أمروا به من رد التحية

ومن تأمل قليلا فيما يترتب على البداءة بالتحية ، وحسن الرد ، من التوادد والتحابب ، علم حكمة مشروعية هذه الآداب ، ومكارم الاخلاق

٦ — أدب الزيارة

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ . وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ »

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين اذا زار أحدهم الآخر

فبيّن حل شأنه ، أنه لا يصح لأى شخص أن يدخل فى بيت غير بيته ، إلا بعد أن يستأذن من أهله فى الدخول ، ويسلم عليهم ، فيقول : السلام عليكم أأدخل ؟

فان لم يجد أحدا فى البيت ، أو وجد وقال له ارجع ، فليرجع من غير معاودة استئذان مرة أخرى وعليه بعد ذلك أن ينصرف ، ولا ينتظر طرفة عين ، فان ذلك خير له وأفضل لما فيه من سلامة الصدر ، والبعد عن الريبة ، والفرار من المكر

هذا اذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس مخصوصين ؛ أما اذا كانت معدّة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصد منها ، كالفنادق التى فى الطرق يأوى اليها المسافرون للمبيت فيها ، وغيرهم ، وبيوت التجار وحوانيتهم التى فى الأسواق ، فانها معدّة لأن يدخلها كل واحد يريد الشراء ، فمثل هذه المحال لا بأس من الدخول فيها بغير استئذان

فالواجب علينا أن نعمل بأوامر الله ، لنكون من المقربين المحبوبين ، عند الله والناس أجمعين

٧ – احترام الغير والنهي عن التجسس والنميمة

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ (١) وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ (٢) وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ (٣) . وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ (٤) وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ (٥) وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ »

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ماعلمنا الله من الصفات الحسنة ، والأخلاق المستحسنه ، وهى · ألّا يسخر أحد من أحد ، ويستخف به ويستحقره ، وألّا يعيب أحد على أحد بشئ يكرهه ، وألّا يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه ، وألّا يسىء ظنه بأحد من اخوانه المؤمنين ، وألّا يبحث ويفتش عن عورات المسلمين ومعايبهم ويستكشف عما ستروه ، وألّا يذكر أحد أخاه بما يكرهه فى غيبته ؛ فان ذلك كله مما نهى الله عنه ، ورغب فى التباعد منه

١ – فنهى الله جميع المؤمنين والمؤمنات عن أن يستهزئ بعضهم ببعض . فلا يحل لمؤمن أن يهزأ بأخيه المؤمن لفقره أو لذنب ارتكبه أو

لأنه رث الهيئة ، أو ذو عاهة فى بدنه ، أو لغير ذلك ، فلعله أخلص ضميرا ، وأنقى قلبا ، وكان خيراً منه عند الله تعالى

كما أنه لا يجوز لمؤمنة أن تحتقر اختها المؤمنة ، لسبب ما ، وربما كانت خيراً منها عند الله تعالى ؛ لأن أحسن الناس منزلة عند الله المتقون ، العاملون بشرعه ، من غير نظر الى فقر أو جمال ، أو غير ذلك من الأحوال الظاهرة

٢ – ونهى الله أن يعيب أحد غيره بقوله « وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ » أى لا يعب بعضكم بعضاً بقول أو فعل ، أو اشارة ، لأن المؤمنين كنفس واحدة ، فمتى عاب المؤمن أخاه المؤمن ، فكأنما عاب نفسه . وهذا أدب كبير أدب الله به عباده المؤمنين ، ليكون سبباً فى ألفتهم ، واتحادهم ، وارتباطهم بعظيم المودة ووثيق المحبة

٣ – ونهى الله أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه بقوله « وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » أى لا يدع أحد أخاه بلقب يكرهه ، لأن ذلك يزرع فى القلوب الضغينة ، ويمكن فيها الحفيظة ، وهو مما جاء الشرع الشريف بزواله ، ولذا سمى جل شأنه التنابز بالألقاب ، الذى هو داعية الحقد والبغض ، فسقا فى قوله

« بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

٤ – ونهى الله عن كثير من سوء الظن بأحد من المؤمنين ، وهو مجرد التهمة التى لاسبب لها ، كأن تتهم غيرك بشئ من الفواحش ، ولم يظهر عليه مايقتضى ذلك ، لأن بعض ذلك يكون إثما محضاً ، فليتجنب الكثير منه

٥ – ونهى الله عن البحث والتفتيش عن عيوب المسلمين وعوراتهم ، واستكشاف ماستروه ، فان فى ذلك فضيحة لهم ، وتعرضا لما لايعنى ولايفيد

٦ – ونهى الله عن أن يذكر أحد أخاه بما يكره فى غيبته ، أى لايذكر بعضكم بعضاً بما يكره فى غيبته ، سواء كان ذلك باللسان ، أو بالفعل ، ومنه الاشارة والكتابة وغيرها ، فذلك كله مما حرمه الله ونهى عنه ، حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتاً ، ذلك الأمر المستبشع طبعاً وعقلاً وشرعاً

وبعد أن أمر الله جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى فقال : « واتقوا الله » ثم علل الأمر بالتقوى بقوله : « إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ » أى كثير التوبة لمن اتقاه ، واجتنب مانهى عنه ، وتاب عما فرط منه .

٨ — النهى عن الحلف

قال الله تعالى : « وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ »

أى لاتكثروا الحلف بالله تعالى ، لتكونوا بارّين متقين ، ويعتمد عليكم الناس ، فتصلحوا بينهم ، لأن فى كثرة الحلف بالله جراءة على الله تعالى ، وإضعافاً لثقة الناس بكم

ولأن الأيمان الكثيرة دليل على ضعف فى النفس ، ودناءة فيها ، لأن صاحبها يظن أن ذلك يقويها ، ويرفع شأنها ، فترون أن الحلف من غير ضرورة يقلّل مهابة الانسان ، ويضعف ثقة الناس به . ولهذا نهى الله تعالى عنه ، إلا عند الحاجة

وقد نهى الله النبى عليه السلام عن إطاعة الحلّاف بقوله « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ » أى لا تطع كثير الحلف فى الحق والباطل فانه حقير فى الرأى والتمييز

٩ — النميمة

قال الله تعالى : « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ »

نهانا الله عن مصاحبة من لا أخلاق لهم من الناس ، ومجانبة المجالسة والمحادثة معهم ، وعدم طاعتهم فى كل مايقولون ، وهم الذين بينهم الله تعالى فى هذه الآية الكريمة

١ – الحلّاف ، أى كثير الحلف سواء فى الحق أو فى الباطل ، قلما يتحرى الصدق فى أيمانه ، فهو عرضة على الدوام للكذب والخطأ ، فضلا عما له من الجراءة على الله تعالى وعلى أسمائه ، ومثل هذا تجب مجانبته وتحرم مخالطته

٢ – المهين ، أى حقير الرأى والتدبير ، فطاعته ربما أوردت المهالك ، وجرّت الى أخبث المسالك ، لأنه يريد أن ينفع فيضر ، فطاعة مثل هذا لانتيجة لها سوى الضرر

٣ – الهمّاز ، وهو العيّابُ ، الطعان ، لاتؤمن غوائله ، فهو اليوم له ، وفى غد عليه ، فضلا عن أنه بطاعته يعدّ شريكا له فى هذه النقيصة ، وهذه الرذيلة ؛ لأنه لا يعيب غيره ، ولا يطعن عليه إلا لضعف فى مروءته ، وخسة فى أصله ، ولؤم فى طبعه

٤ – المشاء بنميم ، هو النقال للحديث من قوم الى آخرين ، ليفسد بينهم ، لاهمّ له إلا الايقاع بين الناس ، والافساد بينهم ، والقاء بذور الشقاق والخصومات فيما بينهم ، وايغار الصدور ، وتوليد الشرور ، ومثل هذا تجب مجانبته ، وتحرم طاعته ، وتعاف مجالسته لأن صحبته غرر ، وطاعته ضرر ، ومجالسته خطر

٥ – المناع للخير ، هو البخيل الممسك ، يمنع أحوج ما يكون اليه صاحبه ، ومثل هذا لاخير فى صحبته وطاعته

٦ - المعتدى ، هو المتجاوز الحد فى الظلم ، لا يؤمن شره ، ولا يؤمل خيره ، فهو أولى بالاجتناب ، وأحرى بنبذ طاعته سداً للباب

٧ - الأثيم ، هو كثير الإثم والمعصية ، لم يبال بالمجاهرة بمعصية ربه ، ولم يخش من جلاله وعظمته ، فلا يبالى أن يجاهر صاحبه بأذيته ويناابذه بعداوته

ومثل هذا يجب نبذ طاعته ، وتجنب مخاطبته

١٠ - الاتحاد

قال الله تعالى : « وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

تشير هذه الآية الكريمة الى فضل الاتحاد ، وعظيم الألفة بين العباد ، وما تفضل به الله عليهم من عظيم المنة ، وجزيل النعمة ، حيث جمع قلوبهم بعد التشتات ، ووحد كلمتهم بعد الافتراق ، ومنحهم التحابب والتوادد ، بعد التباغض والتحاسد ، وصاروا إخوانا أحباء ، بعد أن كانوا أخصاما ألداء ، وذكرهم بجليل آلائه ، وجزيل نعمائه ، ليشكروه على ما تفضل به وتكرم ، وأحسن وأنعم ، وقد أمرهم الله جل

شأنه بالاعتصام بحبله ، والتمسك بدينه ، والعمل بما فيه ، والنزول عند حكمه ، والاجتماع على نصرته ، والذب عن حوزته ، والتفانى فى إعلاء كلمته

ونهاهم عن التفرق فيه وعدم الائتلاف ، والسعى فيما يجلب الشقاق والاختلاف

فقال تعالى : « وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » أى تمسكوا بدينه ، واعملوا بما فيه مجتمعين على ذلك ، ولا تفرقوا عن الحق الذى أمرتم بالاعتصام به

ثم أخذ جل شأنه يذكرهم نعمته عليهم ، بأنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضا ، لا يهنأ لهم عيش ، ولا تصفو لهم حياة ، فألف بين قلوبهم ، فصاروا بعد هذه الأفعال الشنيعة ، والأعمال القبيحة ، إخوانا أحباء ، مجتمعين ، مؤتلفين ، متحابين يساعد بعضهم بعضاً ، ويود أحدهم لأخيه ما يود لنفسه ، فقال : « وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا »

وهذا الخطاب كان موجها للأنصار رضوان الله عليهم ، وذلك أنه كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية ، وعداوة شديدة ، وضغائن

وأحقاد ، طال بسببها قتالهم ، ولم يكن بينهم وبين الوقوع فى النار ، إلا أن يموتوا كفارا ، فلما جاء الاسلام ، ودخل فيه من دخل ، صاروا إخوانا متحابين ، متواصلين متعاونين ، يحب أحدهم لأخيه مايحب لنفسه ، وذلك من أكبر النعم ، وأعظم المنن ؛ ولذا أمرهم جل ذكره بتذكرها ، ليكون ذلك داعيا لشكره على احسانه اليهم

وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَـكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّـكُمْ تَهْتَدُونَ »

١١ — حسن المعاملة

قال الله تعالى . « وَلاَ تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلاَ ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ »

ترشد هاتان الآيتان الى بيان ما أمر الله به عباده المؤمنين ، من حسن المعاملة مع صنوف الخلق ، الصغير منهم والكبير ، فإن أغضبهم أحد صبروا ، وإن جهل عليهم حلموا ، وان أساء اليهم عفوا عنه ، وإن أذنب فى حقهم ذنباً غفروه ، وأغضوا عما حصل منه من الهفوات وتجاوزوا عما صدر منه من الغلطات

فان فعلوا ذلك ، صار العدوّ لهم صديقا ، والبعيد عنهم قريبا ،

والبغض لهم حبيباً ، وهذا ما أفاده الله بقوله : « وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ »

أى ان الحسنة والسيئة ، متفاوتتان فى ذاتهما ، فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها ، وادفع بها السيئة التى تعرض عليك من بعض أعدائك ، كما لو أساء اليك رجل إساءة ، فالحسنة أن تعفو عنه ، والتى هى أحسن ، أن تحسن اليه مكان اساءته اليك ، مثل أن يذمّك فتمدحه ، أو يشتمك فتعطيه جائزة ، فإنك ان فعلت ذلك ، وأحسنت اليه من حيث أساء اليك ، قاده إحسانك إلى مصافاتك ومحبتك ، والحنو عليك حتى يصير كأنه ولى حميم ، أى قريب اليك ، من الشفقة عليك

ثم أشار جلّ شأنه بعد أن أوصى عباده المؤمنين بحسن المعاملة ، ومقابلة الإساءة بالإحسان ، وبين الثمرة المترتبة على ذلك ، أحد يمدح من عمل بهذه الوصية ، وحافظ على هذه المزية ، فقال : « وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ »

أى ، وما يقبل هذه الوصية ، ولا يعمل بها ، إلا من اتصف بالصبر ، وثبات القلب ، وقوة العزيمة ، لأنها من الأمور الشاقة على النفس ، التى لا يحتملها إلا من كانت هـذه حالته وإلا ذو نصيب وافر من

١٢ — التعاون

قال الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ »

ترشد هذه الآية الكريمة الى أهم الأمور ، وأجدرها بالعناية ، وأحقها بالرعاية ، وهو التعاون على فعل الخيرات ، وهو البرّ ، وترك المنهيات ، وهو التقوى ؛ لما فى ذلك من الخير الكثير ، والأجر الكبير ، وما يترتب عليه من الفوائد والمنافع ، التى تعود على الناس بالخير والسعادة ، فبالتعاون على فعل الخيرات يتبادلون المنافع ، ويقضى البعض للبعض مالا يمكنه الحصول عليه ، وبالتعاون على ترك المنهيات ، يرضى الله عنهم ، فيمنحهم الخير ، ويكفيهم الضير ، شأن الراضى مع المرضى عنه ؛ فمن جمع التعاون بقسميه فقد كملت سعادته ، وطابت حياته ، وهَنُؤَتْ معيشته

وبعد أن أمر الله جلّ شأنه بالتعاون على فعل الخير ، وترك الشر والضير ، نهى عن التعاون على الإثم ، وهو ترك ما أمر الله بفعله ، والعدوان وهو التعدى على الناس بما فيه ظلم ، فان فى التعاون على ذلك مفاسد كثيرة ، ومنكرات فظيعة

ثم توعد من خالف ذلك ، وتعاون على ظلم الناس ، وعدم مراعاة حرمتهم ، ولم يبال بما أمر الله به فتركه ، ولا بما نهى عنه ففعله ، بالعذاب الأليم ، والعقاب الشديد ، فقال : « وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ »

١٣ — المشورة

قال الله تعالى : « وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ » وقال تعالى « وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ »

أى ينبغى للانسان ألا يعمل عملا ، ولا يبرم أمرا من الأمور الهامة ، إلا بعد أن يشاور من جرب الأمور وعرفها ، حتى لا يقع فى الخطر باستبداده

ولذلك مدح الله المتشاورين فى الأمور ، وحث نبيه عليه الصلاة والسلام على أن يشاور أصحابه ، مع أنه أرقى منهم فكرا ، وأكثر منهم علما ، لنقتدى به فى أعمالنا ، فقد قيل · من استبد برأيه هلك

١٤ — وصية لقمان لابنه

قال الله تعالى : « يَابُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ . وَلَا

تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ

تشتمل هذه الآيات الكريمة على أهم مكارم الأخلاق ، وأعظم صفات الكمال على الاطلاق ، ولا غرو فقد وصى بها لقمان ، أب حكيم ، قد ذكره الله بأحسن الذكر ، وآتاه الحكمة والاصابة فى الرأى والفكر ، لابن هو أشفق الناس عليه ، وأحبهم لديه

فأوصاه هذه الوصية الجامعة النافعة ، التى جاءت فى القرآن الكريم فيجب على كل انسان أن يعمل بها ، فيؤدى الصلاة بخشوع ، ويأمر الناس بالمعروف ، أى بطاعة الله ورسوله والوالدين وأولى الأمر ، والتحلق بالأخلاق الكريمة ، وينهاهم عن عصيان الله تعالى ، وعن القتل ، والنهب ، والسلب ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتامى والاضرار بالناس وغير ذلك ، وأن يثبت عند حصول المصائب ، ولا يجزع ، ويسلم الأمر لله تعالى ، ولا يتكبر على الناس ، ولا يكون معجبا بنفسه ، ولا يتبختر فى المشى ؛ بل يجب عليه التواضع ، والتوسط فى السير ، فلا يسرع ولا يبطئ ، وأن يخفض من صوته ، فلا يرفعه فوق اللزوم

فمن عمل بهذه الوصايا فقد حاز رضاء الله والناس ، وعاش فى راحة وايناس .

١٥ — العمل للآخرة ، والاحسان الى الناس

قال الله تعالى : « وَٱبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ . وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللهُ إِلَيْكَ . وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلأَرْضِ إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ »

ترشد هذه الآية الكريمة الى أن الانسان عليه أن يشتغل بأمر الآخرة ، وما يوصل اليها ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا ، بل يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته ، فيؤدى ما عليه من الحقوق نحو جسمه ، فيدبر له الأكل بالسعي وراء أسبابه ، والشرب والملبس والمركب الى غير ذلك من ضروريات الجسم ولوازمه ، التى لا قوام له إلا بها ، وذلك إنما يكون بالسعي والعمل فيما به الوصول الى هذه الأشياء . كما قال عليه الصلاة والسلام :

« اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »

وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله : « وَٱبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللهُ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا »

وكما أمره الله أولا بالاحسان بالمال ، أمره ثانيا بالاحسان مطلقا ،

ويدخل فيه الاعانة بالمال ، والجاه ، وطلاقة الوجه ، وحسن اللقاء ، مع صنوف الخلق

كما قال الشاعر :

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وكما قال آخر :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسانَ إحسانُ

والمقصود من قوله تعالى : « وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ » أى أحسن الى خلقه بصنوف الخير والبر ، ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الأرض وتسئ الى خلق الله « إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ » .

١٦ — التقوى والحث عليها وما فيها من الفضائل

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا »

المقصود من هاتين الآيتين حث المؤمنين على تقوى الله تعالى ، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يسمعه ويراه ، وأن يقولوا قولا سديداً ، أى مستقيما ، لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ؛ ووعدهم أنهم ان فعلوا ذلك

تأثابهم عليه أجراً عظيماً ، ومنحهم من كرمه فضلا جزيلاً ، وخيرا عميماً

وذلك بأن يصلح لهم أعمالهم ، أى يوفقهم للأعمال الصالحة ، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية ، وما يقع منهم فى المستقبل يلهمهم التوبة منه

وبعد أن حثّ الله جل شأنه على التقوى : وهى امتثال ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه ، وبين ما يترتب عليها من التوفيق لصالح الأعمال ، وتكفير الذنوب قال

« وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » أى ظفر بالخير ظفرا عظيما سواء فى الدنيا أم فى الآخرة

وقال الله تعالى « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

ترشد هذه الآية الكريمة الى الوجوه المستجمعة لأنواع الأدب مع الله تعالى وهى ثلاثة .

الأول – اجتناب محارمه تعالى ، وترك مناهيه ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ »

الثانى – طلب التقرب الى الله بجميع أنواع البرّ والخير ، والطاعات والعبادات ، وترك المعاصى وهذا هو المراد من قوله تعالى . « وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ »

الثالث – مجاهدة النفس فى سبيله تعالى ، وهو شرائعه التى شرعها وسنها لعباده .

وذلك بأن يَرُوضها على فعل الخيرات ، وعمل الطاعات ، ويكبح رمامها عن الشهوات والمنهيات

وقد وعد جل شأنه من تأدب معه بهذه الآداب ، فاجتنب محارمه ، وترك مناهيه ، وطلب التقرب اليه بالطاعات والعبادات ، وجاهد نفسه ، بكفها عن كل ما تشتهيه ، ومنعها عما تبتغيه ، بالفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة وذلك بقوله · « لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

١٧ – صلة الرحم والحث عليها

قال الله تعالى · « يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا »

تشتمل هذه الآية الكريمة على أمرين : الأول – ما أرشد الله اليه خلقه من الأمر بتقواه ، وهى عبادته وحده لاشريك له ، منبها لهم على قدرته التى خلقهم بها من نفس واحدة وهى (آدم عليه السلام) وخلق منها زوجها وهى (حواء عليها السلام) وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء

ونشرهم فى أقطار العالم ، على اختلاف أصنافهم ، وأوصافهم ، وألوانهم ولغاتهم .

ولا شك أن خلقه تعالى بهذه الكيفية من أقوى الدواعى الى الاتقاء من موجبات نقمته ، ومن أتم الزواجر عن كفران نعمته

الأمر الثانى - الحث على صلة الرحم وبرها ، وعدم قطعها ، وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله

« وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ » أى واتقوا الله الذى يسأل بعضكم بعضا به ، وذلك يكون بطاعتكم اياه ، واتقوا قطع مودة الأرحام ، فان قطعها من أكبر الكبائر وصلتها باب لكل خير ، فتزيد فى العمر ، وتبارك فى الرزق ، ولذا وصل جل شأنه تقوى الرحم بتقواه وما أحسن ماذكر الله من دواعى الحنو والعطف والشفقة والرحمة بالأقارب واستمالة القلوب اليهم ، حتى يصلوهم ولا يقطعوهم ، وحيث ذكر جل شأنه أن أصل الخلق من أب واحد ، وأم واحدة فان فى ذلك من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة حقوق الاخوة مالا يخفى

وقوله تعالى . « إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » أى مطلعا وعليما ، فيعلم من امتثل أمره بتقواه وصلة الرحم ، ومن لم يتمثل فيجازى كلا منهما بما يستحق

١٨ — الاستقامة

قال تعالى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ »

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أعظم الأمور قدرا ، وأجلها فخرا وذكرا ، وأعظمها مثوبة لديه تعالى وأجرا ، ألا وهو الاستقامة على طاعة الله تعالى ، والوقوف عند حدوده ، والارتباط بحفظ مواثيقه وعهوده ، والائتمار بأوامره ، والاجتناب لنواهيه ومحارمه ، حتى لايراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره ؛ فان الله جلت قدرته ، وعلت كلمته ، قد منح صاحبها من الخير أكثره ، ومن الأجر والثواب أعظمه وأكبره ، فنزل عليه الملائكة فى حال حياته عند حلول الملمات به وتراكم الأهوال عليه بما يشرح صدره ، ويدفع عنه الخوف والحزن ، وعند الموت تقول له : لا تخف مما قدمت عليه من أمر الآخرة ، ولا تحزن على ما خلفت فى الحياة الدنيا من ولد وأهل ومال فانا نخلفك فيه ؛ وفى القبر تؤمنه مما فيه من الأهوال ، وتؤنسه فيه من الوحشة ، وتؤمنه حين

يبعث مما يشاهده من الهول الجسيم ، والخطب العظيم ، الذى تشيب له الولدان ، ويفر المرء فيه من الأصحاب والخلان و « تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى » ، فتؤمنه الملائكة من هول ذلك اليوم العظيم ، وتبشره بالجنة التى وعد بها على ألسن الرسل الكرام ، وفيها من جميع ماتختاره النفوس وتشتهيه ، وتقر به العيون وترتضيه ، ومهما طلب من أى شئ فيها وجده حاضرا بين يديه

كل ذلك يفعله الله تعالى ضيافة وعطاء وانعاما منه على عبده جزاء استقامته وملازمة طاعته وعبادته فما أجزل هذا الخير ! وما أحسن ما يوصل اليه ! وما أفضل هذه الخلة ! التى بها كمال المروءة وتمام الايمان ، وتكسب صاحبها أحل المزايا ، وتجعله محمود السيرة فى الدنيا والآخرة

وقال الله تعالى فى بيان أن الاستقامة تجلب الخير وتوسع الرزق ·
« وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ »

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ماأعده الله للمتقين ومنحهم إياه من واسع فضله ، وجزيل عطائه ، من الخير الجامع ، والرزق الواسع ، جزاء استقامتهم على طريقة الاسلام ، وطاعتهم لله تعالى ، واخلاصهم له

فى العبادة . وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله : « وَأَلَّوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا » أى كثيرا ، وهو كناية عن توسعة الرزق لهم . وقوله جل شأنه : « لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ » معناه نختبرهم ، حتى نعلم كيف شكرهم على تلك النعم

فما أحسن الاستقامة ! وأجلبها للخير ، وأدرّها للرزق ، وما أحسن من يتصف بها ! وأحله فى العيون ، وأعظمه فى الانظار !

١٩ — القناعة في الأكل والشرب

قال الله تعالى : « وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ »

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله إياه من الطب ، وأرشدنا اليه من الحكمة ، وهدانا اليه من القناعة مما تصح به أبداننا ، وتقوى به أجسامنا ، وتطيب به معيشتنا ، وتهنأ به حياتنا ، من عدم الافراط فى الأكل والشرب ، والاسراف فيهما ؛ لأن كثرة الأكل والشرب تفسد المعدة ، وتطفئ نارها ، وتضعف الجسم ، وتكثر الأرياح فى البطن ، وتصفر اللون ، وتضيق النفس ، وبذلك يضعف الفكر ، ويخمد الذهن ، ويسقط الادراك ، واذا حجب القلب عن الادراك ، ومنع الذهن عن الحركة فى المعقولات ، خسر صاحبه بابا كبيرا من

العبادات ، لأن غاية المقصود من العبادات ، إنما هو الفكر الموصل الى المعرفة ، والاستبصار بحقائق الحق ، وكثرة الأكل مانعة منه . ولهذا قال لقمان لابنه : يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة

ولكثرة الأكل غير ذلك من المضار منها : أنها تهيج الشهوات التى هى منشأ جميع المعاصى ، فلا يكاد الانسان يملك نفسه ، ويكبح زمامها ، ويقودها الى مافيه صلاحها

فلهذه المضار ، نهى الشارع الحكيم عن الافراط فى الأكل والشرب والاسراف فيهما

وقد بينت السنة الشريفة حد السرف المنهى عنه ، فقد قال رسول الله ﷺ :

« ان من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت » كما بينت القدر اللازم والمقدار الواجب استعماله منهما فقد قال ﷺ :

« ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان فاعلا لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »

هذا وبعد أن نهى جل شأنه عن الاسراف فى الأكل والشرب ، أخذ يتوعد ، ويهدد من خالف أمر الله ، فأسرف فيهما ، ولم يقتصر

على استعمال القدر الواجب استعماله ، فقال « انه لايحب المسرفين » أى يبغضهم ، وناهيك بغضب الله تعالى ، وعدم رضاه ، فانه داعية الهلاك وسبب كل المصائب ، وأى عاقل يجرؤ على أن يغضب الله تعالى ، فى مقابلة مرضاة نفسه ، باتباعها فى شهوة ، هى سبب هلاكه ، وداعية لأسقامه وآلامه ؟

٢٠ — المسارعة الى فعل الخيرات

قال الله سبحانه وتعالى « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ »

ترشد هذه الآيات الكريمة الى أن الله سبحانه وتعالى أعدّ الجنه للمتقين .

ثم بين أوصاف المتقين ، فذكر بذلهم الاحسان فى حالتى العسر

واليسر ، والشدة والرخاء ؛ فإن من الناس من يبذل الاحسان فى حالة اليسر والرخاء ؛ ولا يبذل فى حالة العسر والشدة ؛ ثم ذكر كف أذاهم للناس ، بحبس الغيظ بالكظم ، وحبس الانتقام بالعفو ، ثم بيّن أنه يحب كل محسن لعباده ، وهذا حالهم مع خلق الله

أما حالهم معه سبحانه وتعالى فى ذنوبهم ، فبيّن أنها اذا صدرت منهم فاحشة ، أوظلموا أنفسهم ، قابلوها بذكر الله ، والتوبة والاستغفار ، وترك الاصرار عليها ، ثم وَعدهم بحسن الثواب ، والمغفرة ، والخلود فى الجنة .

ونعم هـذا الحال الذى هو جزاء العاملين على ما عملوه من التقوى والاحسان ، ولقد أحسن من قال :

ليس فى كل ساعة وأوان تتهيا صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها حذراً من تعذر الامكان
واغتنمها اذا قدرت عليها حذراً من تغير الازمان
أحسن الناس من اذا أحسن الدهـــــر تلقى الاحسان بالاحسان

القسم الثانى

حكايات وأمثال تطبيقية

على موصوعات الآيات السابقة

١ — الاقتصاد

اقتصاد سيدنا عمر وزهده

يحكى . أن سيدنا عمر رضى الله عنه ، رأى بعض الناس الصالحين ، فقال له : هل رأيت مى شيئاً تكرهه وتحبه لى ؟

فقال له : نعم ، سمعت أنك وضعت على مائدتك رغيفين ، وأن لك قميصين ، أحدهما لليل ، والآخر للنهار

فقال . غير هذين شئ ؟

فقال : لا

قال . والله إن هذين لايكونان أبداً

فعدل عن ذلك سيدنا عمر رضى الله عنه ؛ لأنه علم أن ذلك إسراف وتبذير ، وهو لايريد إلا الشيء الضرورى ، وذلك ليوفر الأشياء للمسلمين ، ويحافظ عليها

وقد فعل سيدنا عمر ذلك لحبه راحة المسلمين ، ولزهده فى الدنيا

يحكى : أن قوما جاؤا الى قيس بن عبادة – وهو أحد الصحابة رضى الله عنهم – ليسألوه دية لزمتهم ، فوجدوه فى بستان له ، يجمع مايسقط من الثمار ، فيعزل الجيد عن الردىء ، فلما انتهى من شأنه ، سألوه حاجتهم ، فأعطاهم ماطلبوا

فقالوا له · إن عطاءك هـذا منافي لما تفعله من جمعك ما يسقط من الثمار

فقال لهم : بما رأيتم من فعلى تمكنت من قضاء حاجتكم

فانظروا كيف استعان على السخاء بالاقتصاد

يحكى : عن طلحة بن عبيد الله ، وهو من كبار الصحابة رضى الله عنهم ، أن رجلا جاء اليه ليسأله مالاً لزمه ، فرآه يرقع خف بعير له بيده ، فسأله ، فأعطاه ماطلب . فقال له أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير ، أى ترقع جلده . فقال له إننا لا نضيع الصغير ، ولا يتعاظم علينا الكبير

اقتصاد المنصور

عرف المنصور بميله الى الاقتصاد فى النفقات ، حتى امتلأت بالأموال خزائنه ، ولذلك ترك لابنه المهدى ثروة حملته مدى حكمه

هادئ البال ، ينفق عن سعة ، ولا يخشى نفاداً ، ولم يكن المنصور يعطى الشعراء تلك العطايا البالغة حد السرف ، وإنما كانت عطاياه الى القلة أميل ، وكان يراقب أولاده حتى لايدعهم يميلون الى السرف

وكانت أرزاق العمال أيام المنصور ٣٠٠ درهم ، ولم يزل الأمر على ذلك الى أيام المأمون ، فكان أول من سنّ زيادة الأرزاق الفضل ابن سهل

وعلى الجملة ، فلم يقم فى بنى العباس مثل المنصور فى ثباته ، وعلو همته ، وشدته على المريب ، واهتمامه بأمر العامة ، وجده فى بلاطه ، وكان فوق ذلك كله فصيحا ، يبلغ مايريد من الكلام عند الحاجة

وكانت القوة الاسلامية فى يده ، وطوع أمره ، إلّا أنها لم تكن عربية خالصة ، كما كان الحال فى الدولة الأموية ؛ وكانت قوة العرب لعهده لاتزال راجحة

تاريخ الأمم الاسلامية
للمرحوم الخضرى بك

حسن نتيجة الاقتصاد
وسوء عاقبة التبذير والاسراف

حكى : عن محمد بن حمزة الدروى ، أنه كان مسرفا ، وقد أفنى جميع ما تركه اليه والده من مال وعقار ، حتى ضاقت به الحال ، ووقع فى ذل

السؤال؛ فلما توفى ابن عمه ، يحيى بن حمزة ، ولم يكن له وارث سواه ، ترك مائة دينار، فأخذها محمد ، وشكر الله على مامنّ به عليه ، واتجر فيها وصار يقتصد من دخله كل يوم ، مازاد عن لوازمه ، إلى أن صار أغنى أهل عصره

وحصل على العز والاسعاد ، وحسن الذكر بين العباد ، بفضل الاقتصاد

بالاقتصاد ينال المرء غاية الاسعاد

حكى: أن شابا ورث عن أبيه خمسين فدانا فى أرض مخصبة ؛ ولكن لم يرض لنفسه أن يقف موقف الفلاح المجدّ لمباشرة عمله بنفسه ، وتدبير شؤونه بقصده ؛ بل برح عن قريته الصغيرة ، واندمج فى حياة المدن ، المملوءة شرورا ومفاسد وتكلفا واسرافاً وتبذيرا ، وكان قد وكل بأرضه رجلاً من الفلاحين المجتهدين المقتصدين ، فلم تمض عشر سنين حتى باع الشاب نصف الأرض للوكيل ، لأن حياة المدن ، وما فيها من أنواع الترف ، وما تستدعيه من كثرة النفقات ، قد اضطرت هذا الشاب لكثرة المصاريف ، حتى استدان من بعض المصارف (البنوك) فلما ازداد الدين ، ونقصت ثمرة الأرض ، وعجز عن الوفاء ، ولم يجد بداً من بيع نصف أرضه لوكيله ، الذى بحسن تدبيره واقتصاده استطاع شراء

الأرض ، وأصبح هو المالك لها ، وصار سيداً محترما فى بلده

فانظروا كيف إن الشاب المسرف فقد ثروته ، وساءت حالته ، وأضاع فى سنة ما ادخره أبوه فى سنوات ، وهدم مابناه ، أما وكيله الفلاح فقد نال بالاقتصاد ، غاية الاسعاد

قصيدة فى الاقتصاد والتدبير

للشيخ محمد أحمد حسونه مفتش مدارس مجلس مديرية جرجا

المال عون به تدنو لك النعم ... فكم به عزّ جاه وارتقت أمم

فاحرص على المال واحذر أن تبدده ... فانما أنت بالأموال محترم

اذا مرضت شفاك المال من سقم ... أو جعت غذاك والاحشاء تضطرم

وان تغربت فالأموال مؤنسة ... وكل معقودة بالمال تنفصم

وكل معضلة ضاقت يفرجها ... جيش الدراهم والأهوال تلتطم

إن الدراهم أعوان لصاحبها ... على العدو اذا ماظل يختصم

فاجمع حلالا من الأموال تحظ به ... إن الحلال من الأموال يغتنم

ولا تقتر ولا تسرف وكن وسطاً ... تعش سعيدا كما قد نصت الحكم

له ولا تبدده فى عرس وطوع هوى ... وفى الملاهى التى تدعو لما يَصِمُ

أم وفى المآتم لا تنهج على سنن ... يغشاك فى نهجه التعنيف والندم

وان يكن يا بنى العيش ذا سعة ... وأنت فى صحة والدهر مبتسم

فاحفظ من المال جزءاً تستعد به | على الزمان اذا ما مسك السقم
واصرفه فى وجهه الشروع مجتهدا | واعطف على فقراء منه قد حرموا
وصل به رحما وادفع به سفها | قد يكلم العرض كيما يسلم الشمم
اسعف أخاك اذا ماجاء مقترضا | ولا تراب ثمن رابوا فقد أثموا
وعرضوا المال للآفات قاطبة | والله يهلك أموال الأُلى ظلموا
علم بنيك وأبناء الفقير به | فالعلم ترقى به الأفراد والأمم
وابنِ المدارس وانشر كل مندرس | ليعلم النشء أضعاف الذى علموا
وابنِ المساجد ترفع شأن ملتنا | لعل عمرك بالخيرات يختتم

« مرشد المنشئين »

فوائد الاقتصاد

اشترك سعيد وعلى فى تجارة ، بعد خروجهما من المدرسة ، ووضع كل منهما نصف رأس المال ، وتعاقدا على أن يكون العمل بينهما مناصفة والربح كذلك ؛ فاشتغلا عاماً بجد واجتهاد ، وعلى يتكلف خلاف طبعه من الاسراف

ولما مضى ذلك العام ، ونمت التجارة ، وربحت ربحا عظيما ، من طمحت نفس على الى الملاذ ، وتقاعد عن العمل ؛ ولما لم يكن عنده

مال سوى مال التجارة طفق (ابتدأ) يأخذ مما يستحقه من الربح ، وينفقه طوراً على الملابس ، وحيناً على المأكولات والأشربة ، والركائب المطهمة .

كل ذلك ومحمد يلتهب غَيرة وغيظا ، وينهاه عن ذلك بقوله :

« إن الكثير مع التبذير قليل ، وان القليل مع التدبير كثير ، وان حالك (ياعلى) التى أنت عليها الآن ستكون عاقبتها وخيمة عليك وربما أدت الى فصم عرى الشركة بيننا »

فلم يعره علىّ أذنا مصغية ، ولم يزل كذلك الى أن فقد ماله من الربح ، وأراد أن يأخذ من رأس ماله ، فمنعه سعيد ، وانفصل منه ، وفسخ عقد الشركة ، واشتغل كل بنفسه

فأما سعيد ، فضاعف جده ونشاطه ، مع اعتدال فى النفقة ، ولم يمض عليه عام إلا وقد أصبح ذا عقار وضياع

وأما على ، فقد كان على عكسه ، ولم يمض هذا العام حتى باع مابقى له من سلع التجارة ، لكثرة الدين الذى تراكم عليه بنصف قيمتها

ولما لم يجد أمامه مصدر رزق يقوم بحاجته ، التجأ الى سعيد ليقبله خادما له ، فقبله بشروط كانت تأباها نفسه أيام كان شريكه ؛ ولكن الحاجة أم الضيم والهوان فكلفه ذات يوم إحضار غذائه من المنزل ، وبينما هو راجع الى سيده إذ صادفه فى طريقه أحد دائنيه ، وشدد عليه الخناق حتى

وقعت الأواني وتحطمت ، وبعد مانا له من الاهانة والسب واللعن ، جمع الأواني محطمة فارغة ، وقابل سعيدا ، فلما رآه عبس في وجهه ، وأنبه ، ثم اقتطع قيمة الأواني مما يستحق من أجرة الشهر ، وطرده من خدمته .

فانظر كيف كانت سوء عاقبة الاسراف والتبذير ، وحسن نتيجة الاقتصاد والتدبير. « النصائح المدرسية »

النهي عن الاسراف

جاء رجل الى رسول الله ﷺ ، وقدم اليه قطعة من ذهب مثل الكرة ، وكان لايملك غيرها

فقال يا نبي الله خذ هذه ، وأنفقها في سبيل الله

فقال له النبي : أنت لاتملك غيرها ، فردها على عيالك إنما قال الله : « يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ » أي (مازاد عن القوت) فقال الرجل : لابد وأن تأخذها في سبيل الله

فأمسكها النبي ، ورماه بها وقال : يجود أحدكم بما يملك ، ويصبح عالة على الناس

سوء عاقبة الاسراف

قال صديق لشريف : ان والدك قد توفي ، وخلف لك أموالا

كثيرة ، فأتمم دراستك الثانوية والعالية ، ثم زوّد نفسك بالعلم الصحيح ، واحرص على مالك ، واعلم أنه وسيلة للرغبة فيك ، وطريق إلى علو شأنك ، ونفوذ كلمتك ، وعون لك على أعدائك ، ولاتكن كبعض أولاد الأغنياء ، الذين خانوا آباءهم فى أموالهم التى كدوا وجدوا وسهروا الليالى الطوال فى الحصول عليها وتنميتها ، ثم سلموهم اياها ، فبددوها فى طرق غير شريفة · كالميسر ، والملاذ ، والشهوات حتى أصبحوا صفر الأيدى ، لايمتلكون شروى نقير

فقال له شريف · دعنى ياصدقى من العلم وأهله ، والفضل وذويه ، لأنه يأكل الجسد ، ويميت القلب ، ولاحياة أهنأ من حياة تسوق الى النفس ماتبتغيه من اللذات والشهوات ، فيكون المرء ذا صحة جيدة ، ناعم البال مسرورا ، وانى كنت فى حياة أبى كسجين وسأمتع نفسى بكل ما تشتهيه ، لأن ما تركه لى لا تفنيه الأيام ، ولا مر الدهور والأعوام ، فتركه صدقى وانصرف ، معتقدا أن من استهوته الشياطين ، وغلب عليه هوى النفس ، لاتفلح فيه النصيحة ، وانما تفلح النصيحة فى المرء ، اذا صادفت هوًى فى الفؤاد ، وطفق شريف يبدد ماله يمنة ويسرة طورا فى الحانات ، وأخرى فى الشهوات والملذات ، وقد التفت حوله بطانة سوء مدة من الزمن

وفى ذات يوم اعترض صدقى فى طريقه رجل رث الثياب ، طويل

اللحية ، مغبر الوجه ، مادا يده اليه ، يطلب صدقة ، فأنعم النظر فيه فاذا هو شريف صديقه القديم الذى لم ينتصح بنصيحته ، فقال له · ماأسرع زوال الأموال ، بالسرف والاهمال (النصائح المدرسية)

الفقير والمسرف

صادف أحد الفقراء غنياً مسرفا ، فسأله أن يعطيه دينارا ، فتعجب الغنى وقال للسائل : لمَ تطلب منى الكثير ، وأراك تكتفى من غيرى بالقليل ؟

فقال له : إنى أنتظر من سواك أن يعطينى مرة أخرى ، ولكنى لا أنتظر منك مثل ذلك ؛ فان يدك مبسوطة كل البسط ؛ ولو أحسنت إلىّ هذه المرة ربما لاتكون قادرا على أن تحسن الىّ مرة أخرى ، لذلك طلبت منك أكثر من غيرك

فاتعظ الغنى بكلامه ، وترك التبذير والاسراف ، وكافأ الفقير على حسن ارشاده ، وعاش بعيدا عن الفقر ، غنيا عن سؤال الناس

لاسرف فى الخير

كان الحسن بن سهل وزير المأمون جم السخاء ، كثير العطاء ، فكتب اليه أعرابى يقول : ماهكذا يا حسن سبيل الاحسان ، أما علم

أنه لاخير فى السرف ؟ فأجابه الحسن قائلا : قـد علمت أنه لاخير فى السرف ، فهلا علمت أنت أنه لا سرف فى الخير ؟ أى أن ما ينفقه الانسان فى سبيل الخير والاحسان لايعداسرافا ؛ إنما الاسراف هو انفاق المال فى غير موضعه

---

٢ – أدب الحديث

حكى . أن سيدنا ابراهيم عليه السلام كان جالسا بين أصحابه ، فجاء خنزير ووقف أمامهم ، فقال له سيدنا ابراهيم : اذهب بسلام

فقال له أحد أصدقائه . لمَ لم تذكر اسمه يانبى الله ؟

فقال عليه السلام أخاف أن ينطلق اسمه على لسانى ، فأخاطب به غيره من الآدميين فيغضبونى

فانظروا كيف كان خليل الله يعلم أصحابه أدب الحديث ، ويحذرهم من التـكلم بالألفاظ القبيحة التى تـكرهها الناس

كان رجل يتكلم عنـد النبى ﷺ فأكثر ، فقال له : كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال شفتاى وأسنانى

قال . أما كان لك فى ذلك مايرد كلامك ؟ ما أوتى رجل شراً من فضل فى لسانه

قال مُعاذ بن جبل : قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟

فقال : « ثكلتك أمك يابن جبل ، وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »

وقال أنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ · لايستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه

كان رجل يحضر مجلس القاضى أبى يوسف ، ويطيل السكوت ، فسأله : مالك لا تتكلم ولا تسأل عن مسألة ؟

فقال · أخبرنى أيها القاضى ، متى يفطر الصائم ؟

فقال : اذا غابت الشمس

فقال : فان لم تغب الى نصف الليل ؟

فتبسم أبو يوسف وتمثل بقول الشاعر :

وفى الصمت زين للغبى وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

٣- المحبة البنوية وإكرام الوالدين

كان لشاب يدعى سليمان ، أب شيخ كبير مقعد ، وكان هذا الشاب يسعى فى خدمة أبيه بالاخلاص والمحبة الزائدة ، ويعتنى به اعتناء تامًا ، وكان يأتى اليه كل صباح ، ويجلسه قبل أن يذهب الى محل شغله بحيث يراه وهو سائر الى عمله ، وفى سيره يلتفت إلى جهة أبيه ليشير

اليه بالسّلام ، ولذلك كان كل من يعرف هذا الشاب يحترمه ، ويوقره لأن الولد الصالح البارّ بأبويه محترم عند الجميع

فاتفق ذات يوم ، أن هذا الشاب ، عند رجوعه من عمله وقت المساء ، واقترابه من المنزل ، رأى الجيران فى ضجّة وصياح شديد ، يقولون النار ! النار ! فلم ينصرف فكر سليمان لشىء سوى أبيه المقعد ، الذى تركه جالسا فى مخدعه ، لا يستطيع النهوض والفرار من النار ، فثارت فى نفس سليمان المحبّة البنوية ، واشتعل قلبه شفقة على أبيه ، ووثب إلى المنزل الملتهب نارا ، فحمل الشيخ على عاتقه ، وحاول الهرب والفرار بوالده من النار ، فأظلم الدخان عينيه ، وأعياه حمله ، ولكنه تجشم مشاق الحمل ، وآلام النار ، ووثب خارج المنزل ، فوضع والده فى محل آمن من الأخطار

ولما رآه الناس يكابد هذه المشاق العظيمة ، أقبلوا عليهما ، فوجدوا سليمان المذكور فى حالة يرثى لها ، قد أحرقت النار شعر رأسه ، وأهداب عينيه ، والدم يسيل من ذراعيه ، وأثر اللهب فى إحدى عينيه تأثيرا أضرّ بها ، حتى لقد كاد يذهب ببصرها

ومع هذا كله ، لم يتأثر هذا الشاب الهمام من تلك الآلام التى قاساها ؛ بل كانت عليه برداً وسلاماً ، وكان يقول لأبيه : ياأبتِ لا يضرنى مالاقيته ، فلا تحزن ، ولا تتكدر مما ألم بى ، فإننا والحمد لله

قد سلمنا من النار ، ولى وإن كنت فقدت عينا ، فبالعين الأخرى أشتغل ، وأتمتع بأن أراك على الدوام ، منشرح الصّدر مستريح الخاطر ، راضيا عنى

فدعا له والده دعوات صالحات ، تقبلها الله قبولا حسناً ، فكان من أسعد الناس

الابن الحقيق

مات تاجر ، وترك مالاً وافرا ، وابنا غائباً ، لم يعرف أحد صورته ؛ وبعد زمن ادّعى ثلاثة من الشبان ، أن كلا منهم ابن التاجر ، فأحضر القاضي صورة المتوفى وقال : من وجّه بندقيته نحو هذه الصورة فأصابها فاز بالميراث

فتهيأ الأول والثانى فى الرمية ، وأما الثالث فاضطرب ، وظهرت عليه علائم الحزن ، وقال والدمع يسيل من عينيه لايمكننى أن أوجّه أذّى لوالدى ، ولو كان صورة على ورق وإن خسرت جميع ميراثى . فعرف القاضى أنه ابنه الحقيق ، وقضى له بالميراث

حب الأبناء

سار فارس بجواده ، فصادف غابة دخلها ، فوجد عرين أسد

فترحل ودحله ، وكان الأسد غائبا ، وتاركا شبليه ، فأخذهما الفارس وانصرف ، راكبا جواده

فلما عاد الأسد ، ولم يجد شبليه ، زأر وخرج يبحث عنهما ، فرأى الفارس ، فأسرع نحوه ، فلما كاد أن يدنو منه ألقى الفارس أحد الشبلين ، رجاء أن يلهو به الأسد

ولكن الأسد أخذه ووضعه فى مأمن ، ثم تبع الفارس ليأخذ شبله الثانى ، فلما رآه الفارس ، وأيقن بالشر ، رمى بالثانى ، ونجا بنفسه ، مرددا قول الشاعر .

ويحمى حمى الأسد التى لتسوطها تحر من الأقران لحما على لحم

« ثمار الانشاء »

حب الأم لولدها

خرجت امرأتان ومعهما صبيان ، فتعدى الذئب على صبى إحديهما فاختصمتا فى الصبى الثانى الى داود عليه السلام ، فقصتا عليه القصة ، فحكم به للكبرى منهما ، فاختصمتا الى سليمان عليه السلام

فقال : ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين ، لكل منهما نصف

فقالت الصغرى : أتشقه يارسول الله ؟

قال . نعم

قالت : لاتفعل ، فنصيبى فيه لها

فقال : خذيه فهو ابنك ، وقضى به لها .

رحمة البنوة وحنان الأبوة

يحكى : أن ابنا فرنسيا يقال له (يوسف برنار) كان هو وأبوه فى خدمة رجل من مشاهير التجار ، يجوبان الأقطار ، ويمتطيان الأخطار فى سبيل رواج تجارته

واتفق أن الأب ركب ذات يوم متن البحر ، قاصدا القسطنطينية « اسلامبول » مع بضائع لمولاه ، ثم مضى على ذلك عدة من السنين ، لم يعلم أين رسا به المركب ، إلى أن بلغ الابن بعد مضىّ الزمن ، وإطالة البحث عن والده أنه قد وقع فى بلاد القرصان ، فباعوه رجلا من أغنياء الترك ، يقال له « على بابا » ويسكن فى جهة « غلطه » فآلى على نفسه أن يفتدى أباه ، ولو بدّد فى سبيله ماتمتلكه يداه ، فجمع ماله من النقود وباع أحسن مايخصه من العقارات والأمتعة ، ثم ركب سفينة قاصدة القسطنطينية ، وجعل نفسه من العمال فيها لكيلا يدفع أجرة السفر

ولم يزل المركب سائرا به ، حتى وصل الى التركى فعرض عليه أن يفتدى أباه ، فأبى التركى إلا مالاً وفيرا ، لم يكن ماأتى به يبلغ نصفه ، فحار الابن فى أمره ، وظلّ هنيهة لايدرى ماذا يفعل ، لفرط ماأصابه من

الدهش من إباء مولى أبيه ؛ غير أنه لم يلبث أن قال له · إذا لم يكن من الرق بدّ ، فاقبلني أنا عبدا ، ولك مني شاب قوي نشيط ، بدل ذلك الشيخ الهرم ، الذي لايعود ينفعك كبير منفعة ؛ فرضي المولى بالبدل ، وأمر بعده فأحضر بين يديه

فلما بصر بابنه ، عانقه معانقة طويلة ، وامتزجت دموعهما على خديهما امتزاجا صور لمن حولهما « رحمة البنوة وحنان الأبوّة »

ثم قال الابن : ياأبي ، أنا مقيم مقامك ، في دار الرّق ، فدونك أنت هذه النقود ، التي أتيت بها لعدائك ، ولم تكف مولاك ، واذهب فأنت منذ اليوم طليق ، وأنا رقيق

فتأبى الوالد على ولده ، ورفض قبول طلبه ، واستمر في بكائه ؛ فكان لهما حينذاك ، منظر يشق له نياط القلوب ، فلم يتمالك التركي نفسه ، لأنه لم يكن رأى قبل ساعة من العزّ مايقارب فعالهما ، فبكى هو أيضا ورثى لحالهما ، وقال للولد ·

أنعم بك من ابن كريم ، شريف النفس ، كبير المروءة ، عالي الهمة ، تالله إن بين جنبيك لنفسا أرفع وأجل من أن ينالها قيود العبودية ، فاذهب أنت وأبوك حرين لوجه الله تعالى . على أني لا أدعكما تذهبان صفرى اليدين ، بل أهب كلا منكما من المال ما يمكنه أن يفتح تجارة له تغنيه عن أن يخدم الناس

فانصرفا عنه ، وهما لفضله شاكرين ، وانطلقا إلى وطنهما سالمين غانمين (بحر الآداب)

إكرام الوالدين

حكى : أن نابليون بونابرت ، مرّ يوما مع بعض قواده على إمرأة عجوز ، قد أحنى الدهر ظهرها ، فترجل عن جواده ، ورفع قبعته عن رأسه ، والتفت الى قواده وقال :

هل تعلمون ، لِمَ فعلت ذلك ؟ لأنى مامررت أبدا على عجوز ، إلّا وأرفع قبعتى احتراماً ؛ لأنى أتخيل وقتئذ والدتى ، فهيا يا قوادى ترجلوا ، وارفعوا قبعاتكم إكراما لها

حبّ الأمهات

حكم على امرأة بالقتل ، فسجنت لكى تموت جوعاً ، وسمح السجان لابنتها أن تراها ، ولم يدعها تأتيها بشىء من الطّعام

ولما رأى أن المرأة عاشت أياما ولم تمت ، راقب حركات ابنتها ، فوجد أنها تجىء وترضع أمها من ثدييها ، فأخبر الملك بذلك فعفا عنها

حب البنين

غضب معاوية مرة على ابنه يزيد ، فأرسل الى الأحنف بن قيس ،

فسأله عن رأيه فى البنين

فقال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فان طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودّهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا ، فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك ، فقال : لله درك ياأحنف ، لقد دخلت علىّ وأنا مملوء غضباً على يزيد ، فسللته من قلبي

شفقة الوالدين وخدمة الانسانية

كان لأسرة فقيرة ، ولد وحيد ؛ أصابه مرض الخناق « الدفتريا » فكان يتألم ويتضجر ، ووالدته بجانب سريره تتألم لألمه ، وتبكى لمرضه ، ووالده أمامه يقاسمه آلامه ، ويشكو بثه وحزنه الى الله ، داعيا له بالنجاة

وياله من منظر يفتت الأكباد ، ويثير الأحزان !

فلما أن شعرت جارة لها بحالتها ، جاءت لتشاطرهما الأسى والأسف ، وتسأل عن حالة المريض ، ورأت الولد المسكين فى حالة محزنة ، يحن لها كلّ قلب سليم ، وأحدتها الشفقة ، فأشارت على الوالد بأن يتوجه لجمعية رعاية الأطفال ويلتمس منها حضور أحد الأطباء ، لمحاربة هذا الداء القتال ، فأذعن لنصيحتها ، وعمل باشارتها ، وذهب مسرعاً الى تلك الجمعية ، وعرض أمر ولده عليها ، فأرسلت معه أحد أطبائها . فلما فحص حالة المريض ، وجد أنها خطرة تنذر بالموت ، فأظهر أسفه لوالديه ،

وأخذ يلومهما على تأخيرهما عن إسعافه ، وهما يعتذران له لفقرهما ، ويظهران شدة قلقهما وحزنهما على ولديهما ؛ فأشار عليهما بضرورة عمل عملية جراحية لهذا الطفل المسكين أملا فى نجاته ، وكتب تذكرة لأحد إخوانه الأطباء الأخصائيين بالجراحة ، فأخذها الوالد الحزين وذهب تواً الى مستشفى الطبيب الجراح ، فوجده مشتغلا بعملية جراحية ، فانتظره قليلاً حتى أتمها ، وكان لديه أحد خدام الأمراء يدعوه للتوجه لسيده ليعوده ، فبمجرد أن اطلع على تذكرة صديقه الطبيب ، فضل التوجه لاسعاف هذا الولد الفقير ، على زيارة ذاك الأمير ، واعتذر لخادمه ، ووعده بالذهاب اليه بعد إجراء هذه العملية السّريعة الضرورية ، وركب مركبة وبجانبه والد المريض

فبعد أن نظر حالة الولد المسكين ، أخرج سلاحه فى الحال ، وباشر عمل العملية بمساعدة ذاك الطبيب الأول ، ولما أتم العمل أظهر لوالدى المريض ، اللذين كانا فى حالة الغيبوبة والذهول ، علامات البشر والانشراح ، وطيب خاطرهما ، بقوله لهما : « إن أملى وطيد إن شاء الله فى النجاح »

ثم أخذ يباشر مريضه مدة أسبوع ، إلى أن منّ الله عليه بالشفاء ، فكان فرح الوالدين لا يوصف ، وسرور الطبيب لا يقدر ، فهنأهما بشفاء ولديهما ، وهنأ نفسه بنجاح عمله ودوائه

فرأت الوالدة الشفيقة أن تجمع مالديها من الحلى والحلل ، وتقدمه لهذا الطبيب مكافأة له على عمله ، فلما أن عرضتها عليه ، أبت نفسه الشريفة قبولها ، ورفضها شاكراً لها حسن صنيعها

وكان فى عمله هذا أكبر درس للأطباء ، وأعظم عبرة للحكماء ، الذين لاهمّ لهم إلا جمع المال ، وتلهيهم مطامعهم عن خدمة الانسانية

وعلى هذا أراد الله أن يعوض على هذا الطبيب الشريف الكريم جميل صنعه ، وأن يقوم والد الطفل المريض برد الجميل فى هذا السبيل ، حيث أصيب الطبيب بتسمم فى أحد ذراعيه أثناء إجراء عملية جراحية ، وكان لابد من علاجه بأخذ دم من جسم قوىّ سليم ، وتلقيحه به ، فأعلن عن ذلك فى إحدى الجرائد

فلما اطلع والد الطفل على هذا الاعلان ، وكان صحيح البدن ، قوى البنيه ، توجه فى الحال الى منزل الطبيب المريض ، وقدم نفسه للأطباء ، الذين اجتمعوا عنده لهذا العمل ، فقابلوه قبولا حسنا ، ووضعوه بجانب الطبيب المريض ، وعملت لهما العملية ، فكان دم الاخلاص والجميل ، ينتقل من جسم الوالد الشفيق ، المخلص الرفيق ، الى جسم الطبيب ، خادم الانسانية وصاحب المعروف ، فكان فى ذلك شفاؤه ، وردّ لجميله وتعويض لسابق إحسانه « وما جزاء الاحسان إلّا الاحسان »

الولد العاق

كان أب يقول دائما لولد له : إنك لاتفلح أبداً

فهاجر الولد من بلد أبيه ، واتفق أن المقادير ساعدته حتى صار والياً على بعض الولايات

فأرسل أمراً يطلب به من حاكم البلد التي كان فيها والده أن يرسله اليه مقيداً بالأغلال

ففعل الحاكم ، ولما وصل قال : انزعوا قيوده ، وأدخلوه الحمام ، وألبسوه أفخر الملابس ، ثم أحضروه إليّ ، ففعلوا ، ولما مثل بين يديه بكل تعظيم سأله ألم تعرفني ؟

فقال : لا

قال : أنا ولدك فلان ، الذى كنت تقول له إنك لاتفلح أبداً ، فكيف ترى الآن ؟

فقال الوالد : لا أزال على رأيي من جهتك ، لأنك لو كنت أفلحت حقيقة ، لما أتيت بي مقيداً بالأغلال ، ثم تركه ومضى الى سبيله

الولد العاق الذى قتل أباه

رأى والد فى شبرا أن سلوك ولده غير حسن ، وأن سيره معوّج ،

فحاول تقويمه ، ولكن عبثاً كان يريد ، فلم يرَ من وسيلة يتخلص بها منه سوى طرده من منزله ، وحرم عليه العودة اليه

ولا شك فى أن هـذا الوالد المسكين ، كان يرمى بذلك إلى أن ابنه سيرى نفسه وحيداً طريداً ، غـير قادر على كسب معاشه ، فتضطره الأحوال إلى أن يبتعد عن طريق أهواء النفس الأمارة بالسوء ، فيعدل عن خطته المعوجّه ، ويصلح نفسه ، فيعود إلى والده تائباً ، مسترحماً راجياً أن يغفر له ما تقدم من ذنبه ، وأن يغضى عن سيرته الأولى ، التى كفر عنها بالاستقامة والصلاح

ولا شك أن الأب فى هـذه الحال ، كان يقبل هـذا المكفر عن سيئاته بين أحضانه ، ويزيده عناية ومحبة ، لأنه أصلح عضوا فاسدا فى أسرته ، وفى المجتمع ، بل لأنه خلق رجـلاً صالحا ، وأمات رجلاً فاسدا ، فتمسك به تمسك الرجل المخترع باختراعه ، ولـكن ذلك الابن العاق ، لم يقوّم مااعوج من خلقه ، ولم يصلح سير نفسه ، بل تحركت فيه الروح الشيطانية الوحشية ، وعدّ طرد أبيه له إهانة كبرى ، وجناية لاتغتفر ، وأنها ماسة بشرفه ، الذى بذله رخيصا فى سبيل الضلال والفاسد ، فعوّل على أن ينتقم لنفسه من والده

يالها من جريمة فظيعة وإثم كبير ! تعذر على هذا الأحمق الذهاب إلى منزل أبيه لأنه كان قد غضب عليه ، فخاف إن قابله يفقد فيه خطة

انتقامه ، فلم يرمس وسيلة لتحقيق غرضه الفظيع المستنكر ، إلاّ أن يترىص لوالده ، حتى يحضر الى المكان الذى تعود الجلوس فيه عند خروجه من المنزل لاستنشاق الهواء ، ومجالسة الأصدقاء ، فما وقع نظره عليه ، حتى طعنه حلسة بمدية طعنة قاتلة ، ألقته على الأرض صريعا ، يتخبط فى دمه

فيالها من حناية فظيعة وعمل منكر !

كان حليقاً بهذا الجانى الأثيم ، أن يسكن إلى نفسه قليلاً ، ويراجع ضميره ، فيعلم أن والده لما همّ بطرده ، كان يريد به خيراً ليصلح حاله ، ويعدّه رجلا كاملا فاضلا يفخر به

وكان حقاً عليه أن يدرك هذه الحقيقة وأن يصلح حاله ، حتى يصلح مآله ، ويكون سعيداً فى الدّارين ؛ ولكن النفس الأمارة بالسوء ، وقفت به عند حدّ الجريمة ، فأقدم عليها غير هياب ولا وجل ، أقدم بقلب ثابت ، ويد غير مرتجفة على قتل أبيه ، فأعدم أسرته عميدها ، وستعدمه هذه الأسرة أيضا ، وهى التى كانت ترجوه لوقت الشدائد ، إذا ماانتقل ذلك الوالد الى العالم الآخر

ولكن هذا أراد الله ، وهذا قدر الله ، فلا حول ولاقوة الا بالله

(المحروسة فى يوم الأحد ٣ يونيه سنة ١٩١٥)

حزاء الأولاد الذين يعقون والدهم

يحكى أن أحد التجار الأغنياء لما كبر سنه ، وضعفت قوته ، تخلى عما لديه الى الأولاد ، بعد أن تعهدوا له أن يقوموا بأموره كافة ؛ فوفوا له حيناً ؛ ثم طفقوا يهملونه شيئا فشيئا ، حتى قست قلوبهم عليه ، وأصبحوا يطعمونه كرهاً ، ويلبسونه كرهاً

فلما رأى ذلك من أولئك العاقين ، عض بنان الندم على ما فعله ، واستمر يتجرع الغصص منهم ، الى ذات يوم أتاه بعض أصحابه القدماء ، بدين عظيم كان قد يئس من الحصول عليه ، وقطع الرجاء من استلامه ؛ فأحضر صندوقا متينا أودعه إياه

فحينما رأى الأولاد أن أباهم ذو مال ، أخذوا يحترمونه ، ويراعون خاطره ، كي يتخلى لهم عما بقي لديه ؛ لكنه قد اتعظ بما جرى له من قبل ، فلم يعطهم شيئا

ثم عند وفاته ، أسرعوا الى الصندوق وفتحوه ، بقصد أن يغنموا مافيه ، فإذا هو مملوء حجارة ، فوقها ورقة مكتوب فيها ·

« إن الله قادر على أن يحوّل الذهب حجارة للبنين الذين يعقون والدهم »

وذلك أن الأب ، لما رأى سوء فعلهم ، وتيقن عقوقهم ، تصدق سراً بذلك المال على ملجأ لتربية اليتامى ، ومعالجة الفقراء ، وملأ الصندوق حجارة ، وكتب الورقة ووضعها ، توبيخا لأولاده اللئام العاقين

٤ – أمثلة فى إطاعة أولى الأمر

مثال الطاعة

حكى : أن أبا عبيدة بن الجراح المشهور فضله فى الاسلام ، حينما أمره رسول الله ﷺ بالجهاد فى غزوة بدر خرج طائعا ، فوجد أباه فى المحاربين فقتله ، وأتى برأسه الى رسول الله ﷺ ، وقال له · هذه رأس أبى ، قد قطعتها فى طاعة الله وطاعتك

مثال آخر

لما آلت الخلافة لسيدنا عمر رضى الله عنه أمر بعزل خالد بن الوليد وهو من كبار قواد الجيوش الإسلامية التى كانت مشتغلة يومئذ بالفتوحات الشامية لأسباب اقتضت ذلك

فتقبل خالد أمر عزله بالانقياد (بالإذعان) وحارب جنديا كعامة الجند حتى تم فتح الشام

ففرح عمر بنصر الله ، ورضى عن خالد ، وأعاده الى القيادة ثانيا

فانظر كيف قويت فضيلة الطّاعة والامتثال فى نفس خالد حتى أنه لم يرَ فى عزله إلا حادثا مألوفا ، لم يثنه عن واجب الجهاد ، ولا منعه عن إعلاء كلمة الحق

عمر بن الخطاب والبنت المطيعة

كان عمر بن الخطاب يعس المدينة ، فمشى حتى أعيا ، فاتكأ الى جدار فاذا امرأة تقول لابنة لها صغيرة : قومى الى ذلك اللبن فامزجيه بالماء

فقالت البنت : يا أمّاه أوَما علمت ما كان من عزم أمير المؤمنين ؟

قالت المرأة : وما كان من عزمه ؟

قالت البنت انه أمر مناديا فنادى ، الّا يشاب اللبن بالماء

فقالت المرأة . امزجيه ، فانك بموضع لا يراك عمر ، ولا منادى عمر

فقالت الصبية : والله ما كنت لأطيعه فى الملا ، وأعصيه فى الخلا

وقد قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

فلما سمعها عمر بن الخطاب ، أثنى على البنت بقدر أسفه على خطإ أمها

إطاعة أولى الأمر واجبة

الخليفة ورئيس الشرطة

قال عبد الله بن مالك : كنت أتولى الشُرطة للخليفة المهدى ، وكان يبعث الىّ فى ندماء ولده الهادى أن أضربهم وأحبسهم صيانة للهادى عنهم ، فيبعث الهادى يسألنى الرفق بهم ، والتخفيف فى أمرهم ، فلا التفت الى ذلك ، وأمضى لما يأمر به المهدى ؛ فلما ولى الهادى الخلافة ، أيقنت بالتلف ، فبعث إلى يوما ، فحضرت ودخلت عليه ، متكفناً متحنطا ، وإذا هو جالس على كرسى ، والنطع والسيف بين يديه ، فسلمت عليه ، فقال : لاسلم الله عليك ، أتذكر يوماً بعثت اليك فى أمر الحزامىّ لما أمر أمير المؤمنين بضربه فلم تحمى ، وفى فلان وفلان وجعل يعدد ندماءه ، فلم تلتفت إلى قولى ؟

قلت : نعم ، ياأمير المؤمنين ، أفتأذن أن أتكلم ؟

قال نعم

قلت أنشدك الله ياأمير المؤمنين ، أيسرك أنك وليتنى ماولانى أبوك وأمرتنى بأمر ، فبعث الىّ بعض ولدك بأمر يخالف أمرك ، فاتبعت أمره وعصيت أمرك ؟

قال : لا

قلت · فكذلك أنا لك ، وكذلك كنت لأبيك

فاستدنانى ، فقبّلت يده ، وأمر بخلع أفيضت عليّ ، وخرجت من عنده ، وصرت الى منزلى مفكرا فى أمره وأمرى ، وخفت أن يحدّث القومَ بالأمر الذى عصيته فيه أن يزيلوه عن رأيه فىّ ؛ وانى لجالس وبين يدىّ حجر وأنا أسحقه وأطعمه الصبية ، حتى توهمت أن الدنيا قد انقلعت وزُلزلت من شدة وقع حوافر الخيل وكثرة الضوضاء ؛ وإذا الباب قد فتح ، واذا الخدم قد دخلوا وأمير المؤمنين فى وَسطهم

فلما رأيته وثبت من مجلسى ، فقال : خفت ياعبد الله أن يسبق الى قلبك سوء الظن بأعدائك ، فيزيلون ما حسن من رأيى فيك ، فيقلقك ذلك ويوحشك ، فصرت إلى منزلك لأواسك ، وأعلمك أن الوحشة قد زالت فلا تستوحش «العقد الفريد للملك السعيد»

لاطاعة لمخلوق فِي معصية الخالق

كان أحمد بن طولون والى مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء ؛ وكان يجلس للمظالم ، وينصف المظلوم من الظالم

حكى أن ولده العباس استدعى مغنية وهو يشرب الخمر صباحا ، فلقيها بعض صالحى مصر ، ومعها غلام يحمل عودها فكسره ، فدخل العباس إلى أبيه وأخبره بذلك ، فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح

فلما أحضر اليه قال : أنت الذي كسرت العود ؟

قال : نعم

قال : أفعلمت لمن هو ؟

قال · نعم ، هو لابنك العباس

قال : أما أكرمته لى ؟

فقال : أكرمه لك بمعصية الله ، ولا طاعة لمخلوق مع معصية الخالق ، فأطرق أحمد عند ذلك ، ثم قال · كل منكر رأيته فغيّره ، وأنا من ورائك

مثال آخر

حكى أن أحد الملوك كان جالسا عنده رجل من الأتقياء الصالحين ، فقدم له الملك كأسا فيه خمر فلم يقبله

فقال له : أتريد أن تعصيني وتعصانى ياشيخ ؟

فقال وأنت أيها الأمير ، تريد أن أعصى الله وأغضبه ؟ لايكون ذلك ولو أمر الأمير بقتلى

أما علمت قول الله تعالى :

« إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ »

فسُرّ الأمير من جوابه ، وأمر له بجائزة عظيمة ، ومدحه على عفة

نفسه ، وطهارة ذمته

وقال · إنّ هذا الرجل لايخاف فى الله لومة لائم

نعم الشفيع الطاعة

بينما المتوكل فى مجلسه ، إذ جاءه واش ، فأخبره بأن علياً الهادى أحد أئمة الامامية عنده سلاح وذخيرة ، وفى عزمه الخروج على المتوكل « وقلما يصدق واش » فأرسل المتوكل اليه جماعة من الأتراك ، فهجموا عليه فى منزله ليلاً ، فوجدوه فى بيت مغلق ، وعليه مدرعة من شعر ، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات القرآن فى الوعد والوعيد ، وليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى

فحملوه على هيئته الى المتوكل ، وكان المتوكل فى مجلس الشراب ، وفى يده الكاس فلما رآه المتوكل أعظمه ، وأجلسه بجانبه ، وناوله الكاس ، فقال على الهادى · ياأمير المؤمنين ، ماخامر لحمى ودمى قط ، فأعفنى منه ، فأعفاه وقال · اذاً أنشدنى شعرا

فقال على إنى لقليل الرواية بالشعر ؛ فقال المتوكل لابد من ذلك فأنشده ·

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم   غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم   فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ماقبروا   أين الأسرّة والتيجان والحلل ؟
أين الوجوه التى كانت محجّبة   من دونها تضرب الاستار والكلل ؟
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم   تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ماأكلوا دهرا وماشربوا   فاصبحوا بعدطول الأكل قد أكلوا

فما تم إنشاده ، حتى بكى المتوكل بكاء كثيرا ، وأمر برفع الشراب وقال : ياأبا الحسن ، أعليك دين ؟ قال : نعم علىّ أربعة آلاف دينار ، فدفعها اليه ، وردّه الى منزله مكرما

---

٥ — فى أدب التحية

حكى عن الامام الحسين بن على بن أبى طالب : أنه أتته جارية بباقة (صحبة) ورد ، فقال لها : أنت حرّة لوجه الله تعالى فقال له بعض من حضر : أتعتقها ياأمير المؤمنين لأجل تحية صغيرة ؟ فقال : ألم تقرأ قوله تعالى « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » ولم أجد أحسن منها غير عتقها . وهذا غاية فى الكرم

كان بعض الأمراء واقفا ذات يوم فى الطريق يكلم تاجراً من وجهاء التجار ، فمرّ بهما عبد أسود ، وحيّا الأمير ، فردّ عليه التحية ، فتعجب التاجر وقال للأمير : أتحيي عبداً أسود يشترى بالمال مع علو شأنك ،

وعزة سلطانك ؟ فأجابه الأمير : كيف لا أحبيه ؟ وهل يليق بى أن يكون هذا العبد أكبر منى أخلاقا وأجمل أدبا

. فقال له التاجر حقًا يامولاى إن هذا لمن أدب الملوك

---

٦ — الاستئذان عند الزيارة

١ – قال رجل لرسول الله ﷺ : أأستأذن على أمى ؟ قال : نعم

قال : إنى أخدمها ، أفأستأذن كلما دخلت عليها ؟

فقال أتحب أن تراها عريانة ؟

قال : لا

قال فاستأذن

٢ – عن أبى سعيد الخدرى أنه قال كنت جالسا فى مجلس من مجالس الأنصار ، فجاء أبو موسى الأشعرى فزعاً ، فقلنا له . ماأفزعك ؟ قال أمرنى عمر أن آتيه ، فأتيته ، فاستأذنت ثلاثا ، فلم يؤذن لى ، فرجعت

ثم أتيته ثانيا ، فوجدته ينتظرنى ، وقد أنكر علىّ فقال لى : مامنعك أن تأتينى ؟

فقلت له : قد جئت فاستأذنت ثلاثا ، فلم يؤذن لى بالدخول ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له

فليرجع »

فقال لى عمر : لتأتينى على هذا الحديث بالبينة وإلا عاقبتك ،

فقال كبير المجلس · لايقوم معك الا أصغر القوم

فقام أبو سعيد ، فشهد له عند عمر ، أن هـذا الحديث قاله رسول الله ﷺ

فقال عمر لأبى موسى : انى لم أتهمك ؛ ولـكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ

٣ – يقال ان الحسن البصرى رحمة الله عليه ، قصد زيارة رابعة العدوية رضى الله عنها فى جماعة من أصحابه ، فلما وصلوا الباب قالوا : أتأذنين لنا فى الدخول ؟

فقالت . تمهلوا ساعة

وجعلت الـكساء بينها وبينهم سترا ، وأذنت لهم ، فدخلوا وسلموا عليها ، فأجابتهم من وراء الستر

فقالوا . لِمَ علقت بيننا وبينك سترا ؟

فقالت . أمرت بذلك فى قوله تعالى · « فَاسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ »

وواجب على الرجـل أن لاينظر الى امرأة أجنبية بحال ، فانه قبل أن يجازى به فى الآخرة ، يجازى به فى الدنيا

٧ ـ حكايات وأمثال فى ذم السعاية والغيبة ، والنميمة

السعاية من أفظع الجرائم

١ ـ دخل رجـل على عبد الملك بن مروان ، وكان معه جلساؤه ، فقال له : أريد أن أسرّ اليك أمرا . فقال لأصحابه : اذا شئتم فقوموا

فلما تهيأ الرجل للكلام ، قال له عبد الملك : إياك أن تمدحنى ، فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذبنى ، فإنه لا رأى لـكذوب ، أو تسعى إلى بأحد ، فان السعاية من أفظع الجرائم ، وإن شئت أقلتك ؟

قال : أقلنى

٢ ـ وروى : أنه لمـا لقى أسقف نجران عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة . قال : ومن قاتل الثلاثة ؟

قال : الرجل يأتى الإمام بالحديث الكذب ، فيقبله الإمام ، فيكون قد قتل نفسه ، وصاحبه ، وإمامه . فقال عمر : ما أراك أبعدت

٣ ـ دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال : إنى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله إن كرهته ، فان وراءه ما تحب إن قبلته

فقال : قل

فقال : ياأمير المؤمسين ، إنه قد ا كتنفك رحال ابتاعوا دنياك بدينهم ، ورصاك بسحط ربهم ، حافوك فى الله ، ولم يحافوا الله فيك ؛ فلا تأمنهم على ما أتمنك الله عليه ، ولا تُصِح (لاتسمع لهم) اليهم فيما استحفظك الله إياه ، فانهم لن يألوا فى الأمة حسناً ، وفى الأمانة تصييعاً ، وفى الأعراض قطعا وانتهاكا ، أعلى قربهم البغى والنميمة ، وأحلّ وسائلهم الغيبة والوقيعة ، وأنت مسئول عما أحرموه ، وليسوا مسئولين عما أحرمت ، فلا تصلح دنياهم نفساد آحرتك ، فإن أعظم الناس عناً من باع آحرته بدنيا غيره

جزاء السعاية

رفع انسان الى يحيي بن خالد بن برمك قصة يقول فيها · انه مات رجل تاجر غريب ، وقد خلف جارية حسناء ، وولدا رضيعا ، ومالاً كثيرا ، والوزير أحق بهذا فكتب يحيي بن خالد على رأس القصة

أما الرجل فرحمه الله ، وأما الجارية فصانها الله ، وأما الطفل فرعاه الله ، وأما المال فثمره الله ، وأما الساعى الينا بذلك فلعنه الله

النمّام وعُمر بن عبد العزيز

سعى رجل برجل عند عُمر بن عبد العزيز

فقال له عمر : ياهذا ، إن شئت نظرنا فى أمرك ، فان كنت كاذبا فأنت داخل تحت حكم هذه الآية « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا »

وان كنت صادقاً فأنت داخل تحت حكم هذه الآية :

« هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ »

فسكت الرجل ولم يبد جوابا

النمام وكسرى

كان كسرى من الذكاء على أبعد غاية ، فنم اليه رجل بصديق له فكتب كسرى للنمام

قد اخترنا نصحك ، وذممنا صاحبك ، لسوء اختياره الأصحاب نظيرك .

وما أصدق قول الشاعر

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق ... فكان أعلم بالمضرة

لعن الله النمام

دفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال شخص يتيم ، وكان مالاً كثيرا

فكتب إليه على ظهرها ·

النميمة قبيحة ، وان كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والساعى لعنه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

سوء عاقبة النميمة

قيل كان رجل له غلام فباعه ، وقال للمشترى · إنى ابرأ اليك من كل عيب به إلا عيباً واحداً

قال : وماهو ؟

قال النميمة

قال · أنت برىء منه ، فإنى لا أقبل قوله

قال · فما لبث إلا قليلا حتى أتى السيد وقال له · إن إمرأتك تريد أن تقتلك ، وتتزوج من غيرك

قال · وما يدريك ؟

قال قد عرفت ذلك ، فتناوم عليها ، فانه سيظهر لك ما أقول

ثم أتى إلى المرأة وقال إن زوجك يريد أن يخلعك ويتزوج من

غيرك فهل لك أن أرقيك ، فيرجع إليه حبك ؟

قالت : نعم ، ولك كذا وكذا

قال : ائتيني ثلاث شعرات من تحت حنكه

فلما دنت منه لتناول الشعر ، قام إليها بالسيف ولم يشك فيما قاله الغلام فقتلها ، وجاء إخوة المرأة فقتلوا الزوج

فذهب كلاهما بسوء صنيع غيرهما ، وقولهما نميمه الغلام

نعوذ بالله من شر النميمة ، ونسأله الحماية منها ومن ذويها

جزاء الواشي

وشى بعض الحساد بالوزير الكاتب (ابن مقله) الذى انفرد فى زمانه بجودة الخط وحسنه ، وادعى أنه غدر بالملك فى بعض الأمور . فأمر الملك بقطع يده ، فقطعت

ولما لزم بيته ، انصرفت عنه الأصدقاء والمحبون ، ولم يأت أحد إلى وسط النهار ، ولكن تبين للملك أن الكلام عليه باطل ، فأمر بقتل الواشي ، ورد ابن مقلة إلى ما كان عليه

فلما رأى إخوانه ، أن نعمته عادت اليه ، عادوا يهنئونه . وأقبلوا اليه يعتذرون مما كان منهم ، فأنشد :

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا

عادانى الدهر نصف يوم   فانكشف الناس لى وبانوا

ومكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ، ولم يتغير خطه حتى مات رحمه الله

لا تصغ لكلام الوشاة

كان يوسف وسيف الدين رفيقين قل أن يفترقا إلا فى وقت النوم فكانا يتعاونان فى المذاكرة ، ويترافقان فى النزهه ، ويتشاركان فى أفراحها وأتراحها ، وبالجملة كانا كالأخوين ، لا يتحاسدان ، ولا يتناحشان ، ولا يتباغضان ، ولا يتدابران

وكان يميل كل منهما إلى الآخر ، ويتحدث اليه ، لتوافق مراميهما فساء ذلك تلميذا حسودا كان يحزن لرؤية النعمة على غيره ، ويفرح لما يقع به من المصائب ، وفكر أن يمشى لأصغرهما إرادة بالآخر . فاختار يوسف وانفرد به مدة ، وذكر له من سيئات سيف الدين مالا عهد له به من قبل ، وأخبره أنه كان يهجوه له ، فغضب يوسف وحدثته نفسه أن يقطع أخاه ، ولكن ما لبث أن هدأ والتفت إلى ذلك الواشى وقال له :

اسمع يا ابراهيم ، وشى واشٍ بعبد الله بن همام إلى زياد فقال له : إنه هجاك ، فقال : أأجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم

فبعث زياد إلى ابن همام ، فأُتي به ، وأدخل الرجل بيتا ، فقال زياد : يابن همام ، بلغني أنك هجوتني

فقال : كلا ، أصلحك الله ، مافعلت ، ولا أنت لذلك بأهل

فقال إن هذا الرجل أخبرني - وأخرج الرجل - فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال

أنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا   فخنت وإما قلت قولا بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا   بمنزلة بين الخيانة والإثم

فأعجب زياد بجوابه ، وأقصى الواشي ، ولم يقبل منه

فما رأيك في أن أجمع بينك وبين سيف الدين ؟

فاعتذر له ، وما كاد ينتهي من الاعتذار ، حتى قدم سيف الدين ، فأخذ الواشي يتسلل ، فمنعه يوسف عن الخروج ، وقصّ على سيف الدين ما كان من أمره ، فخجل الواشي ، وتغير لونه وسكت

فقال سيف الدين قال ﷺ

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا »

وبعد ذلك شكر سيف الدين يوسف على سلوكه الذي كان سببا في قطع الوشاية بينهما

« القراءة الرشيدة »

نزه سمعك عن سماع القبيح

سمع على بن أبي طالب رجلا يغتاب آخر عند ابنه الحسن فقال : يابنى نزه سمعك عنه ، فإنه نظر إلى أخبث مافى وعائه ، فأفرغه فى وعائك

ولله در القائل :

لا تسرقن سمعاً بلا أذن من الـ   ـمتحاطبين ولا تكن متحسساً
من رام معرفة الخفايا حمية   عـدوه نذلاً خائناً متلدساً

الغيبة

دخلت امرأة على النبى ﷺ تستفيه فى أمر ، فلما خرجت ، قالت عائشة رضى الله عنها « يارسول الله ماأقصرها »

فقال : « مهلاً إياك والغيبة »

فقالت « يارسول الله ، إنما وصفتها بأمر هو فيها »

قال « أجل ، ولولا ذلك لكان قولك بهتانا »

أى ، ولكان العتب عليك أشد

وما أحسن ماقاله الشاعر

لقـد صدق الباقرُ المرتضى   سليل الامام عليه السـلام
بمـا جاء فى بعض أقواله   قبيح الـكلام سلاح اللئام

المأمون والرجل المغتاب

اغتاب رجل رجلا عند المأمون « أي عابه وذكره بما يكره » فقال له المأمون :

قد استدللنا على كثرة عيوبك ، بما تذكر من عيوب الناس ؛ لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ماهي فيه ، لابقدر مافيه منها .

ولقد صدق الشاعر

المرء يعرف في الأنام بفعله ... وفعائل الحرّ الكريم كأصله

لا تستعيب فتستغاب فربما ... إن قلت شيئا قيل فيك بمثله

هل تجتنى سكرا من حنظل ... والشيء يرجع في المذاق لأصله

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه

إذا رمت أن تحيا سليما من الردى ... ودينك موفور وعرضك صين

لسانك لاتذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت اليك معائبا ... فدعها وقل ياعين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

الغيبة سبب القطيعة

قال بعضهم : دعيت ذات ليلة عند صديق لي لتناول طعام العشاء ،

وقبل الميعاد بيوم ، تقابلت صدفة فى إحدى المتنزهات بأنسان أعرفه معرفة قليلة ، فأحد يحادثنى فى شؤون شتى ، حتى وصل الى ذكر صديقى صاحب الدعوة ، فجعل يعرض به ، ويتكلم فى حقه ، فاعترضته ووبخته بلطف ، فلم يتعظ ؛ بل زاد الطين بلة ، وسرد لى شيئا يمس شرف الرجل وكرامته ، وصار يحلف الأيمان على صحة مايقول حتى أثر على كثيرا وصدقته ، وكانت النتيجه . أنى عدلت عن إجابة الدعوة واعتذرت

وبعد بضعة أيام ، قابلنى صاحب الدعوة ، وعاتبنى كثيرا على تخلفى ، فألزمتنى صراحتى ، وطهارة ذمتى ، أن أخبره عن السبب ، وأفصحت له عن حلية الأمر ؛ فاستاء جداً ، وأخذ به الدهش والاستغراب كل مأخذ ، من مقدرة الانسان فى الغيبة والنميمة ، وعرفنى أن الرجل أخبره هو أيضا أنى أنكرت عليه إسائته فى أثناء حديث جرى له معه ، وظهر لكل منا أنه مختلق علينا ، وواش بنا ، والفضل فى ذلك للصراحة والعتاب ، الذى كشف لنا النقاب ، عن خبث ذاك الإنسان المغتاب العيّاب

فلو اتخذنا الصراحة شعارنا ، وانتشرت فضائلها بيننا ؛ لانقطع دابر الغيبة لأن الذى يساعد النمامين المغتابين ، على تمثيل رواياتهم المخزية المحزنة وترويج بضاعاتهم الخلابة الخداعة ، هو ضعف الإرادة ، وعدم الصراحة

حكايات وأمثال فى فضل كتمان السر

من كتم سرّه أحكم أمره

أسرّ معاوية الى ابن أخيه عثمان بن عتبة بن أبى سفيان حديثا قال عثمان : فجئت إلى أبى فقلت : إن أمير المؤمنين أسرّ إلىّ حديثا ، أفأحدثك به ؟

قال : لا ، إن من كتم حديثه كان الخيار فى يده ، ومن أظهره كان الخيار عليه ، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكا

فقلت : أيدخل هذا بين الرجل وابنه ؟

فقال : لا ، ولكن أكره أن تذلل لسانك بأفشاء السرّ

قال : فرجعت إلى معاوية فذكرت ذلك له

فقال له معاوية : أعتقك أخى من رق الخطأ

كاتم السرّ الأمين

حاصر الفرنسيس إحدى المدن فى سنة ١٨٠٧ وأحاطوا بها من كل جهة ؛ ولما كانوا غير عارفين بمدخل المدينة ، طلبوا من شيخ قرية صغيرة بجوارها أن يبوح لهم بالسرّ ، وأن يدلهم على الأماكن والحدود ، ويهديهم سواء السبيل ، فأبى الشيخ ولم يجبهم إلى طلبهم ، فهددوه بالقتل

فقال لهم : إنى أقسمت لملكى يمين الطاعة والأمانة ، فكيف أحنث فى يمينى ، وأخون ملكى وبلادى ، وأبوح لكم بالسر ، وأدلكم على مسالك المدينة للإستيلاء عليها ؟

هيا اقتلونى ، فأموت عن طيب خاطر ، لأنه خير لى أن أموت أميناً ، مقيما على عهودى مع ملكى ، من أن أعيش خائناً ، وإنى أفضل أن أفدى ملكى وشعبى وبلادى بحياتى

فتعجب الأعداء من أمانة هذا الرجل ، وتركوه حياً بدون أن يمسوه بضرر ولا إهانة

وهكذا هكذا تكون الأمانة ، والمحافظة على السرّ

الملك ووزيره

يحكى أن ملكا من ملوك العجم استشار وزيريه معاً فى مسائل سرية فقال أحدهما . لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا فى أسراره إلا خالياً ، فانه أصون للسرّ ، وأحزم للرأى ، وأجدر بالسلامة ، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ؛ فان إفشاء السرّ الى رجل واحد ، أوفق من إفشائه الى اثنين ، وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه إلى جملة ؛ لأن الواحد رَهْنٌ بما أفشى اليه ، والثانى مطلق عليه ذلك الرهن ، والثالث رائد ؛ واذا كان السرّ عند واحد أحرى ألّا يظهره رغبة أو رهبة ، وإن كان

عند اثنين كان على شبهة « اتسعت على الرجلين المعاريض لا مايقال فرارا من الحقيقة » فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم ، وان عفا كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له ، وعن الآخر ولا حجة معه

حكايات وأمثال فى ضرر افشاء السر

من أفشى سره أضاع عهده

لما ولى عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون بدل المغيرة أمره ألا يخبر أحدا ، فلم يكن له راد ، فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة فقالت ·

اقرضوا يا راد الراكب ، فان أمير المؤمنين ولى زوجى الكوفة ، وأخبرت امرأة المغيرة زوجها ، فجاء إلى عمر واستأذن عليه وقال : ياأمير المؤمنين وليت قدامة بالكوفة وهو رجل قوى أمين ؟

فقال : ومن أخبرك ؟

قال . نساء المدينة يتحدثن به

فقال · اذهب وخذ منه العهد

إفشاء السر وصدق التحرى

ذكر فى كتاب الأذكياء لابن الجوزى ، أن ملكا كانت أسراره تظهر كثيرا لعدوه فيبطل تدبيره على العدو ، فبلغ ذلك منه (أثر فيه) وشكا الى أحد نصحائه ، وقال له : إن جماعة يطلعون على أسرار لى لابد من إظهارها لهم ، ولست أدرى أيهم يظهرها ، وأكره أن أنال البرىء منهم بما يستحق الخائن

فكتب النصيح أخبارا من أخبار المملكة ، وجعلها كذبا كلها وقال للملك : أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لايظهر عليه سائر أصحابه ؛ وامر كل واحد بستر ماأسررت اليه ، وا كتب على كل خبر اسم صاحبه

فلم يلبث أن أظهر الحوبة ما أفشى اليهم ، وانكتمت أخبار الناصحين ، فعرف الملك من يفشى سره فحذره (نزهة القارئ)

سرقة الحديث كسرقة الأشياء

كان أحد الأولاد يأتى من مدرسته كل يوم ، فيضيع وقته فى اللعب دون أن ينتبه الى دروسه .

وكان أمام البيت المقيم فيه بيت آخر تسكنه أسرة معتبرة ، فكان عند فراغه من اللعب يقف وراء باب البيت يسمع حديثهم ، وعند ماتراه أمه تنبهه قائلة . ليس من اللائق أن تسترق حديث غيرك ، فان سرقة الحديث كسرقة الأشياء ، فكان لايصغى إلى نصيحة أمه ، ففى ذات يوم رأى باب الجيران مغلقاً ، فمد يده ليفتحه ، ويتمكن من سماع الحديث ، فارتد الباب على أصابعه ، فصرخ من الوجع ، فسمعت أمه ، فأسرعت اليه ، وقالت . لقد نلت جزاءك فلا تعد إلى ذلك مرة ثانية

النهى عن الحلف

روى أن عبد الله الحضرمى ادعى على امرئ القيس بن عابس بانه أخذ منه قطعة من أرض ولم يكن عنده بينة ، فحكم رسول الله ﷺ بأن يحلف امرؤ الفيس

فلما هم بحلف اليمين ، قرأ رسول الله عليه الصلاة والسلام الآية : « وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ » فارتدع امرؤ القيس عن اليمين وسلم الأرض

أراد رجل أن يتخذ صديقا له ، فسأل عن أحلاقه ليقف على حقيقته ، قبل مصادقته فقيل له · انه حلاف ، فعدل عن اتخاده صديقا له قائلا

إن الايمان الكثيرة دليل على ضعف فى النفس ، ودناءة فيها ، لأن صاحبها يظن أن دلك يقويها ؛ ويرفع شأنها

حكم وأمثال فى فضل الاتحاد

بالاتحاد تسعد البلاد وترتاح العباد

حكى أنه فى حكم « المتوكل على الله » أحد الخلفاء العباسيين كان الناس متحدين ، ويحب بعضهم بعضا ، ولا يعملون عملاً إلا بعد أن يتفقوا عليه جميعا ، سواء كان خيرا أم شرًّا

فمن ذلك . أنهم لما رأوا المتوكل على الله غير منصف لبعضهم ، اتفقوا على قتله فدخلوا عليه ليلاً وقتلوه وبايعوا ابنه المنتصر بالخلافة ، فأسرّ فى نفسه أن يفتك بقاتلى أبيه ، وصار يفشى سرّه لبعض جلسائه ، فاتفقوا على المسارعة الى هلاكه

فقال لهم طبيبه . سأكفيكم شرّه ، فلم يلبث المنتصر إلّا أياما حتى أحضر طبيبه ليفصده ، ففصده بموس قد سمّه فمات من ليلته ، وما ذاك الّا بالألفة والاتحاد

فبالاتحاد يكون العمران وتسعد البلاد ، وترتاح العباد

القوة في الاتحاد

حكى أنه كان لرجل سبعة أولاد وحقل يزرعون فيــه بجد ونشاط وكدّ واجتهاد ، ولما حانت ساعة وفاته جمعهم حوله وقال لهم :

فليأت كل واحد بعصا ، ففعلوا

فقال · اربطوا الجميع حزمة واحدة ، ففعلوا كما أمرهم

فقال للأكبر : استجمع كل قوتك واكسر هـذه الحزمة ، ففعل ولم يفلح ، والثانى كذلك حتى الأصغر فقال - اذا كان إخوتى الذين هم أكبر منى سناً وأوفر قوة لم يفلحوا فى كسرها فأنا من باب أولى

فقال لهم الأب فليأخذ كل عصاه ويكسرها

ففعلوا ، وكان سهلا عليهم كسرها

فقال لهم : إن مثلكم ياأولادى كمثل هـذه الحزمة ، فان ارتبطتم مثلها رابطة واحدة ، وكانت قلوبكم على قلب رجل واحد ، تعسر على أعدائكم كسركم ، أى ايصال الأذى نحوكم ، ويحترمكم الناس ، ويهابوكم ، وتعيشوا بذلك عيشة راضية

وإذا تفرقتم ، ودخل فيكم ابليس بفساده فبعثركم ، ضعفت قوتكم ، وهان على عدوّكم كسركم ، أى سهل عليه ايذاؤكم ، فيسقط شأنكم من أعين الناس ، وتعيشوا عيشة الذل والهوان ، وتذوقوا طعم البلاء والخسران . فاتعظوا ياأولادى ، واستيقظوا لدينكم ودنياكم واستبقوا الخيرات لعلكم تفلحون (أنس الأعلاق)

وصية رجل لأولاده في الاتحاد

إن رمت أسى مثل ... فاسمع وصايا رجل
لما وهت عزيمته ... واقتربت منيته
أراد وعظ ولده ... بحكمة من عنده
فقال : يا أولادى ... يامنتهى مرادى
لقد أردت نصحكم ... فأحضروا عصيكم
مربوطة مع بعضها ... توصلا لقبضها
فاستمعوا كلامه ... وأدركوا مرامه
وأقبلوا بالقضب ... مربوطة كالطلب
فقال هل يمكنكم ... أن تكسروها كلكم؟
فأسرعوا فى الحال ... بهمة الأبطال
ليجعلوها قطعا ... فحاولوا ممتنعا
حتى اذا ماتعبوا ... قام لهم ذاك الأب
وحل تلك الحزمة ... لكى يبين حزمه
وخص كل ولد ... منهم بعود مفرد
فكسروها بالعجل ... كى يدركوا ذاك الأمل
فقال : بعدها الأب ... خير كلام يكتب
إنى أردت رشدكم ... للاتحاد عمركم

كى تصبحوا فى العصمة   من الأذى كالحزمة
فما افتراق الناس   إلا نذير الياس

(بحر الآداب)

يد الله مع الجماعة

الغلام والنخلة

تقدم الركب فتى من العرب   حتى أصاب نخلة ذات رطب
فهبّ كى يجنى بعض البلح   لكنه لطولها لم يفلح
فعاد يدعو الأخ والأمّ معه   ليصحباه فى احتلاب المنفعه
فحضرا طرّاً بلا إمهال   وانتظموا من حولها فى الحال
فحمل الأخ الكبير الأصغرا   ليبلغ الحمل ويجنى الثمرا
فظفروا منها بخير جسم   ورجعوا لحيهم بالغنم
والرزق يبغى كل من يبغيه   وكل ذى رزق سيستوفيه
وهكذا منافع العباد   فى السعى والعزم والاتحاد
فاعمل بها والتزم القناعة   إن يد الله مع الجماعة

المرء قليل بنفسه كثير باخوانه

دعا أكثم بن صيفى أولاده عند موته فاستحضر جملة من السهام

وربطها ربطا محكما ، وطلب الى كل واحد منهم أن يكسرها بمفرده ، فلم يقدر واحد على كسرها

ثم فرقها وأعطى كلا منهم سهما ، فاستسهله وكسره

فقال : كونوا هكذا مجتمعين ، ليعجز مناوؤكم عن كسركم ، وأنشد :

كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا واذا افترقن تكسرت أفرادا

لا يغلب قوم تعاونوا

(واشنطون) قائد من أشهر القواد وهو الذى حرر الولايات المتحدة الأمريكية من حكم المملكة الانكليزية ، وصيرها جمهورية من أشهر جمهوريات العالم وله نوادر غريبة ، وقصص كثيرة

من ذلك . أنه مرّ يوما بنفر من الجند يرفعون سارية الى أعالى بناء يريدون ترميمه ، وعليهم ملازم يأمر هذا وينهى ذاك ، وهم قد أعياهم التعب لقلة عددهم ، وثقل السارية ، وعلو البناء وهو يكثر من تقريعهم بالكلام ، ويشدد الأوامر ، ويزيد التعيير والتوبيخ ، ولا يمدّ لهم يد المساعدة

وكان (واشنطون) راكبا جوادا ، ولابسا ثيابا غير ثيابه العسكرية فلم يعرفه الملازم ولا الجند

فقال للملازم . لماذا أنت واقف تأمر وتنهى ، ولا تساعد هؤلاء

الجند المساكين الذين أضناهم التعب ، وسال العرق كالماء من جباههم ؟

فالتفت اليه اللازم ضاحكاً مستحما به وقال :

ألا تدرى ياهذا إنى ملازم ، وهؤلاء الجنود تحت أوامرى ؟

قال : صحيح ذلك ، فعفوا أيها السّيد الكريم

ونزل عن جواده ، وجعل يرفع السارية مع الجنود ، حتى أوصلوها الى أعلى البناء ؛ ثم خاطب اللازم والعرق يقطر منه قائلا .

اذا وقفت بعد هذا العمل ، ورأيت رجالك يتعبون لاتمامه ، فتعلم أيها اللازم من رئيس الجيوش ، أن تكون فى مقدمة الذين يتعبون ، ولا تقتصر على الأمر والنهى ، فانه لا كبير على العمل

فلما علم اللازم ، أن الجنرال واشنطون هو الذى يكلمه ، ارتعد ارتعادا عظيما ، وعُقل لسانه فى فمه ، وأمسى كمن أُصيب بصاعقة

فتركه واشنطون ومضى ، بعد ما علمه بصنيعه علما لم يبرح من ذهنه طول حياته

وحقيقة ما من أحد فى هذه الحياة بأصغر من أن يعين ، ولا بأكبر من أن يعان ، والله وحده ولىّ الأمر وهو المستعان

التعاون بالمال لا بالأقوال

حكى : أن تاجرا أصيب بحريق دمَّر له أموالا عظيمة ؛ فاجتمع إخوانه من التجار وأظهروا أسفهم وحزنهم على ما أصاب أخاهم بخطب طويلة عريضة وكان كلٌّ يختم خطابه بقوله : أشارك أخى فى مصابه العظيم ، إلى أن قام آخر وبيده كيس نقود وقال . إنى أشارك أخى فى مصابه العظيم بعشرة جنيهات ، ولفت نظره الى من بجواره وقال له .

وأنت بكم تشاركه ؟ فقال بعشرة ، وفتح باب الاكتتاب ، فاجتمع له مال عوّض عليه ما أكل الحريق ، فزالت نكبة الرجل بالاشتراك الفعلى فى مصابه « ولاخير فى قول اذا لم يكن فعلا »

وهكذا تكون المساعدة الأخوية ، عملا بقوله تعالى .

« وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ »

نوادر فى فضل الاخوان
والأصحاب والأصدقاء

« حبّ لأخيك ما تحب لنفسك »

يروى عن القاضى يحيى بن أكثم أنه قال .

كنت مع المأمون يوماً فى بستان غضٍّ بالريحان ، فاحتز بأطرافه

طريقا طريقا ، وشققناه من أوله إلى آخره ، وكنت أنا مما يلى الشمس ، والمأمون مما يلى الظل ، فكان يجذبني أن أتحول الى الظل ، ويكون هو فى الشمس ، فأمتنع عن ذلك حتى بلغنا آخر البستان

فلما رجعنا قال : يايحيي ، والله لتكونن فى مكانى ، ولأكونن فى مكانك ، حتى آخذ نصيبى من الشمس ، كما أخذت نصيبك ، وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى

فقلت : والله ياأمير المؤمنين ، لو قدرت أن أفديك بنفسى يوم الهول لفعلت ، فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل ، وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى

وقال : بحياتى عليك إلّا وضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت أنا فانه لا خير فى صحبة من لاينصف ، وقد سمعت عن رسول الله ﷺ يقول : « لايؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه مايحب لنفسه »

كما ترى تُرى

توجه بعض الأصحاب لزيارة الاهرام ، فصعد أحدهم الى القمة ، وأراد أن يسخر باخوانه ، فنادى بأعلى صوته متهكما : أنظروا الىّ فانى فى ارتفاع عظيم عنكم ، وأرى الواحد منكم صغيرا فى عينى

فأجابوه : ونحن كذلك ، نراك فى نظرنا أصغر من الطير ، وأكبر من العوضة وتمثل أحدهم بقول الشاعر :

من رآنى بعـين نقص رأيته بالعين التى رآنى
ومن رآنى بعـين تم رأيتـه كامل المعـانى

مصاحبة الأخيار

رأى غـلام صغير صندوقا عنـد والدته فشمه ، فصادفه ذا رائحة ذكية ، فقال لأمه : ياوالدتى العزيزة ؛ إن هذا الصندوق من الخشب ، وأراه ذا رائحة جميلة ؛ وعهدى بالخشب ألا توجد فيه مثل هذه الرائحة

فقالت له : ياولدى ، وفلذة كبدى ؛ إنى قد وضعت وردا فى هذا الصندوق ، فاكتسب منه هذه الرائحة الذكية ؛ وهكذا ياعزيزى ، اذا صاحبت أهل الصدق والأمانة ، وخالطت ذوى العفة والصيانة ، فأنت تستفيد منهم الأخلاق الفاضلة ، والصفات الكاملة

فياولدى . أصحب الأخيار وارغب فيهم ، وجانب الأشرار وابتعد عنهم ، تعش سالما والقول فيك جميل ، فسمع كلامها وعمل به ، فكان من أهل الفضل والاحسان

(ثمار الانشاء)

هكذا تكون الصحبة

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »

روى أن رسول الله ﷺ تناوب هو وعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، ورجل آخر من الصّحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، في سفر على بعير ، فكان إذا جاءت نوبته في المشي مشى ، فيعزمان عليه ألّا يمشي ، فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر مني على المشي ، وما أنا أغنى منكم عن أجر

مثل الجليس الصالح والجليس السّوء

إنما مثل الجليس الصّالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » (حديث شريف)

هذا مثل جميل ، وتشبيه بليغ ، ومعنى الحديث أن جليس الانسان ، اذا كان صالحا بما حازت نفسه وأخلاقه من مكارم وفضائل وآداب كان كالذى يحمل المسك الأذفر ، وهو ما نعلم ريحاً طيبة ، وأريجا ذكيا

ومثل الجليس السّوء ، أي الفاسد الأخلاق ، السيئ الطباع ،

كالحداد الذى ينفخ الكير فى خبث ريحه ، ونتن دخانه

فالجليس الطيب قد يعطينا من أخلاقه ومعارفه ماهو أفضل من المسك ، وينشر علينا ماهو أذكى رائحة منه ، فى حين أن الجليس السوء يفسد أخلاقنا ، ويهوش علينا أفكارنا ، ويضل ألبابنا ، فهو مثل نافخ الكير ، والدنو منه إما أن يحرقنا بناره ، أو ينشر علينا من دخانه ، وخبث ريح كيره ما فيه أعظم ضرر

والقصد من هذه الحكمة النبوية الشريفة ، إنما هو النهى بأبلغ عبارة ، وأقرب تمثيل عن مخالطة الأشرار والأراذل ، ممن تؤذى الانسان مجالستهم ، وتسرق من أخلاقهم أخلاقه ، والترغيب فى مجالسة من تنفعنا مجالستهم ، وتكسبنا الفضائل مخالطتهم سواء فيما يتعلق بأمر الدين والدنيا

ولقد جاء فى حديث آخر صحيح فى الحثّ على مخالطة الفضلاء والصّلحاء (جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء)

وفى حديث آخر (خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته ، وزاد فى علمكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله)

الوحدة خير من جليس السوء

عاقل حاول جهده أن يعيش العمر وحده
عاهد النفس على أن تثبت الأيام عهده
سيئ الحظ ولكن فضله شيّد مجده
باحثا فى كل فنّ قادحا للفكر زنده
عالما أن كثير الصحب لايرجى لشده
مارس الخلق فزادت ترهات الخلق زهده
بلغ البهتان عند النا س فى التمليق حده
كل من يفعل خيرا واحدا فى الناس ضده
فرأى فى البعد عنهم مغنما لاغنم بعده
إن فى الوحدة فضلا لفتى يعرف قصده
كل من عاش فريدا نال فى الأيّام سعده
وحدة العاقل خير من جليس السوء عنده

« آداب العرب »

الأخ وأخته المخلصة له

يحكى أن ولدا وأخته كانا يبيعان الصحف اليومية « الجرائد » فصادفهما مزيف نقود واشترى منهما بنقوده المزيفة ، فأخذاها وذهبا الى بائع حلوى ، وأكلا من عنده ، وأعطياه الثمن من هذه النقود ، فدعا البائع شرطيا وأعطاه الولد وأخته والنقود ، فساقهما الشرطى الى السجن ، فحكم على الولد ، وتركت البنت ، فذهبت مسرعة إلى المكان الذى كان فيه المزيف ، فصادفته مع زوجته فى عجلة ، فركبت خلف العجلة ، ولم يعلما بها ، ولما وقفت العجلة ، نزلت البنت مسرعة ، وانزوت ، حتى دخل المزيف وزوجته دارهما ، فتبعتهما خفية ، وكمنت فى ناحية من الدار

فلما شرع الرجل وزوجته فى تزييف النقود كعادتهما ، ذهبت البنت مسرعة الى السجن ، ودعت الشرطة ، فاقبلوا مسرعين ، وقبضوا على الرجل وزوجته وأودعوهما السجن ، وكافؤا البنت وأطلقوا الولد

« ثمار الانشاء »

الصديق المخلص

كان على رجل دين ، وكان له صديق من المخلصين ، فلما ضاقت به الحال ذهب إلى دار صديقه ، وأخبره بأمره ، فأخرج الصديق له

ما كان عليه من الدّين ، وأعطاه له ، ورجع الى داره باكيا

فقالت له زوجته : هلاّ تعللت حيث شقت عليك الاجابة ؟

فقال : لا ، إنما أبكى لأنى لم أتفقد حال صاحبى حتى احتاج الى أن يسألني

هكذا تكون الصداقة

حدّث واقِدُ بن أبى مُسلِم قال كان لى صديقان هاشمى وتيمى وكنا فى الصداقة كنفس واحدة ، فنالتنى فى بعض السنين ضيقة عظيمة ، فقالت لى امرأتى ياهذا ترى العيد قد حضر ، وليس لنا شىء نُعيّد به ، أما نحن فنستطيع الصبر على الشدة ، وأما أولادنا فلا ، لأنهم يَرَون أولاد جيراننا ومعارفنا ، وقد تزينوا بالملابس الجديدة ، وهم فرحون بما اشتراه لهم أهلهم ، فتقطع قلبى بكلامها ، لأنى رأيته صوابا ؛ فكتبت الى صديقى الهاشمى ، ووصفت له حالى ، وسألته أن يسعفنى بما يمكنه من المال ، فأنفذ الىّ خريطة فيها ثلاثون دينارا ، فلم أكد أستلمها حتى كتب لى صديقى التيمى يشكو الىّ مثل ماشكوت أنا الى صديقنا الهاشمى ، فأرسلت اليه الخريطة على حالها ، وبقيت فى بيتى حيران لا أدرى ماذا أفعل ؟

فبينما أنا كذلك ، اذ دخل علىّ الصديقان ، وبيد الهاشمى الخريطة ،

فدعوتهما الى الجلوس ، فجلسا . ثم قال لى الهاشمى ، وقد علم ماجرى . ياصاح ، حيث إننا كلنا فى ضيقة ، وليس لثلاثتنا غير هذا المال ، فهلم نقاسمه ، ثم انه فتح الخريطة ، وقسم الدنانير ثلاثة أقسام ، كل واحد منا أخذ حصته ، وتفرقنا

وبعد أيام اتصلت قصتنا بالمأمون ، فاستدعانا وأثنى على فعلنا ، وأمر لكل منا بألف دينار «بحر الآداب»

لايعرف الصديق إلّا عند الشدة والضيق *

الصداقه والاخلاص فيها

لمّا سار أبو بكر رضى الله عنه مع النبىّ ﷺ الى الغار للهجرة من مكه ، فصار يمشى حينا أمام النبىّ . ويمشى مرّة خلفه ، وآونة عن يمينه ، وأخرى عن يساره

فقال له النبىّ ماهذا ياأبا بكر ؟

فقال يارسول الله ، أخاف أن يكون العدوّ أمامنا فأصده عنك ، أو من خلفنا فأرده عنك

فقال النبىّ عليه السّلام · لاتخف إن الله معنا

ثم سارا حتى وصلا الى الغار ، فأراد النبى أن يدخل ، فمنعه أبو بكر ، وقال : لاتدخل حتى أفتش الغار

فدخل رضى الله عنــه ، وصار يمس الحيطان بيده فى الظلمة ، خوفا من أن يكون فيها شيء مؤذٍ ، ثم قال للنبىّ · أفديك بمالى وبنفسى وبأبى وأمى يا رسول الله

يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

الرجل وابن عمه

ذكروا أن رجلا من جند اليرموك (١) ذهب يبحث عن ابن عمّ له بين القتلى والجرحى ، وأخـذ معه قدحًا من الماء ليسقيه ، فلما عثر عليه وجده فى أشد مايكون من التعب ، فقال له : أتحب أن تشرب ، فلم يستطع أن يكلمه ؛ بل أشار اليه أن يقوم

وإذا برجل يئن ويتوجع ، فأشار الى الرجل أن يسقيه أولا ، ثم يعود اليه بالباقى ، فذهب اليه فوجده هشاما أخا عمرو بن العاص ،

فقال له · هل لك أن تشرب ؟ قال : نعم

ثم سمع هشام رجـلا يتأوّه ، فقال للرّجل : أسرع اليه واتنى بما يبقى، فذهب اليه فاذا هو ميت ، فعاد الى هشام فوجده ميتاً ، ثم رجع الى ابن عمه فرآه قد لحق بربه ، وانقضى أجله

---

(١) اليرموك واد بالشام وقعت فيـه حرب بين المسلمين والروم فى خلافة أبى بكر

فتلك هى المحبة، وهذه هى الصّداقة . وبمثل هذه الخلال ترقى الأمم

(ثمار الانشاء)

الصدق والاخلاص

الأخ والأخت

دعا أحد الأدباء ولديه الأصغرين : ابنه وابنته ، وقال لهما سأذهب معكما لاستنشاق الهواء فى البساتين الجميلة ، والحدائق الزاهرة ، وأمرهما بانتظاره ، حتى يدخل غرفته ، ويلبس ثيابه ، فجعلا يعدوان فى الدار فرحا بهذا الخبر السار ، فقلب الولد أصيص قرنفلة (قصرية القرنفلة) فانكسر وتفرق طينه ، فحزن وبكى ، فعطفت عليه أخته ووعدته باصلاحه

ثم ذهبت تصلحه ، فخرج أبوها ورآها عند الأصيص وهو مكسور ، فظهرت عليه علائم الكدر ، فقالت له : يا أبتِ بحق محبتك لاتغضب علينا ، فقال لها : كيف لا أغضب ، وقد ضاع تعبى فى هذه القرنفلة ، فقالت : جازنى بما شئت به ، فأنا طوع إشارتك ، ورهن إرادتك

فقال : إنّ جزاءك ألّا تصحبينى للبساتين ، لئلا تتلفى منها شيئا ، فأكون به ملزما ، فأذعنت لقوله ، وخضعت لكلامه

عند ذلك جاء الولد لأبيه مسرعاً باكياً وهو يقول : مهلاً ياوالدى ،

إنّ أختي غير مذنبة ، أنا الذى قلبت الأصيص فانكسر ، فأنا الأحق بالحجز

فتبسم أبوه ، وفرح لما رأى من صدق ولده ، ومحبته لأخته ، ثم خاطب ولديه معاً ، فقال ·

أنتما ولداى الحبيبان ، وابناى العزيزان ، وانى لمسرور من تمام الألفة التى بينكما ، ومما شاهدته من الحبّ والإخلاص والصدق ، وقد أنسانى ذلك كل نفع كنت أنتظره من القرنفلة ، فحافظا على هذه الشيم الجميلة ، والأخلاق الكريمة ، أدامكما الله لى ، وأدام لكما هذه المحبة والاخلاص . ثم ذهب معهما الى البساتين مسرورا ، وعاد معها مسرورا جزاء صدق الولد ، واخلاص البنت

هكذا تكون الألفة والمحبة بين الأسرة

أعطت والدة بنتها عنقودا من العنب ، فقبلته منها بكل سرور ، وشكرتها على ذلك ؛ ولكونها تحب أخاها وتعزه ، قصدته وأهدت اليه العنقود ، وآثرته على نفسها ، مدفوعة بعامل الحنان الأخوى ، فسرّ بذلك ، وابتهج وشكرها من صميم فؤاده ؛ ثم فكّر هو أيضا فى تعب والده من الاشتغال ، خصوصا فى مثل ذلك اليوم الشديد الحرارة ، فارتاحت نفسه الى تقديم هذا العنقود له ، ليبعشه ويرطب فؤاده ،

فأسرع اليـه ، وناوله إياه ، فقبله الوالد فرحا ، ودعا له بالبركة والتوفيق

غير أنه تذكر زوجته وخدماتها له ولأولادها ، فأسرع اليها وقدمه لها ، فتناولته مبتهجة مسرورة ؛ لأنها رأت أن العنقود عاد الى اليد التى قدمته أولا ، ولم تقبل نفسها أن تنفرد بأكله ، فجمعتهم كلهم ، وأكلوه معا ، وشكروا الله الذى ألف بين قلوبهم بالمحبة ، فتمتعوا بالسعادة والهناء وهكذا تكون الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة الواحدة

عدو عاقل خير من صديق جاهل

كان لمترٍ خادم أمين ... يصدق فى الخدمة لايمين
أقامه عاما على الحصاد ... وكيله لدفع كل عاد
ودارت النوارج الكبيرة ... على حبال السنبل الكثيرة
فكان فى نهاره مديرها ... وفى ظلام ليله خفيرها
يذود عنها الناس والطيور ... والخيل والبغال والحمير
فجاءه العصفور سربا سربا ... يلقط من كل الجهات حبّا
وكلما تشرده عاد له ... كأنه فى حربه عادله
فضاق منـه صدره وحارا ... ومن توالى فعلها استجارا
فقال مثلى ليس ممن يقهر ... وحيلى تعدادها لايحصر

أوقد فى هـذه الفلال لهبا   وهى التى تلزمهنّ الأدبا
فأضرم النار كما أشارا   حتى علت وأرسلت شرارا
فاحترق الحرن وطار الطير   ولم يصب غير المحبوب الضير
فجاءه مولاه قال مالى   أضعته ياأجهل الجهّال
ظننتك المصيب لا المصابا   فى عقله والظن فيك خابا
حقيقة كم من عـدوّ عاقل   فى الناس خير من صديق جاهل

وأصلحوا ذات بينكم

كان بين جعفر البرمكى وبين والى مصر عداوة ووحشة ، فزوّر بعضهم كتابا على لسان جعفر الى صاحب مصر ، مضمونه · أن حامل الكتاب من أخص أصحابنا ، فأريد أن تحسن الالتفات اليه

ثم وصل الرجل الى مصر ، وعرض الكتاب على صاحبها ، فلما قرأه تعجب ، وارتاب ، ثم أنزله عنده وأكرمه ، وبعث بالكتاب الى وكيله ببغداد ، وأخبره بما كان ، فلما قرأه جعفر علم أنه مزوّر ، وكان عنده جماعة من ندمائه ، فرمى الكتاب اليهم ، وقال لهم · ماترون فى جزاء هذا الرجل ؟

فأشار كل منهم بجزاء ينال ذلك المزور

فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر : سبحان الله أليس فيكم رشيد ؟

قد علمتم ما كان بينى وبين والى مصر من العداوة ، وأن كل واحد منا كانت تمنعه عزة النفس أن يفتح باب الصلح ، فقد قيض الله لنا رجلا فتح بيننا باب المصالحة والمكاتبة ، وأزال من بيننا تلك العداوة ، فكيف يكون جزاؤه ماذكرتم من الاساءة ؛ ثم أخذ القلم وكتب على ظاهر الكتاب ·

الى صاحب مصر

« سبحان الله كيف حصل لك الشك فى خطى ؟ هذا خط يدى ، والرجل من أعز أصحابى ، وأريد أن تحسن اليه ، وتعيده إلىّ سريعا ، فانى مشتاق اليه ، محتاج الى حضوره »

فلما وصل الكتاب الى صاحب مصر كاد يطير فرحا ، وأحسن الى الرّجل ، ووصله بمال كثير ، وتحف ، ثم ان الرجل رجع الى بغداد ، فحضر الى مجلس الوزير جعفر ، فلما دخل سلم عليه ، ووقع يقبل الأرض ويبكى

فقال له · من أنت ياأخى ؟

قال : أنا عبدك ، وصنيعتك ، المزوّر الكذاب المجترى

فعرفه فى الحال ، وبش له ، وأجلسه بين يديه

وقال له · كم وصل اليك منه ؟ فقال : مائة ألف درهم فاستقلها جعفر وقال: لا رمنا حتى يضاعفها لك، فلازمه مدة، فكسب منه مثلها

الاتفاق خير من الشقاق

صبيان صغيران وجدا جوزة ، تحت شجرة جوز كبيرة ، عند مدخل القرية فقال أحدهما : هذه تخصني ، لأني أنا رأيتها أولا

وقال الثاني : لا ، بل هي لي ، لأني أنا قلت لك أنظر هذه الجوزه فتشاجرا ، وتخاصما ؛ ووقع بينهما الشقاق

فوافاهما على سبيل المصادفة صبي آخر أكبر سنا وأكثر فطانة منهما وقال لهما · أنا أوفق بينكما ؛ فوقف بينهما ، وبعد ما سمع دعواهما ، فلق الجوزة نصفين ، وقال · القشرة الأولى لمن رأى الجوزة أولا ؛ والأخرى لمن تكلم بها ؛ أما اللب ، فهي لي ، جزاء حكمي وقضائي

ثم قال لهما ضاحكاً · هـذه هي نتيجة كل دعوى ، وكل شقاق يحصل بين المتخاصمين ، والاتفاق خير من الشقاق

الصحبة المتينة لا تفسدها الفتنة

كان بين حاتم طي وأوس بن جارحة ألطف ما كان بين اثنين
فقال النعمان لجلسائه · لافسدن ما بينهما . فدخل على أوس فقال : ان حاتما يزعم أنه أفضل منك . فقال : أبيت اللعن ، صدق ، ولو كنت أنا وأهلى وولدى لحاتم لوهبنا فى يوم واحد
وخرج ، فدخل على حاتم فقال له مثل ذلك فقال : صدق ، وأين أقع من أوس ، وله عشرة ذكور دونهم أفضل منى
فقال النعمان · مارأيت أفضل منكما

على بن عيسى وأصحابه

لما نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحداً من أصحابه، وآله واخوانه ، الذين كانوا ملازمين له فى حالة تصرفه واشتغاله ، فلما ردت اليه الوزارة ، اجتمعوا اليه ، وعطفوا عليه ، وجعل كل منهم يأخذ فى السبق للقياه ، والنظر الى محياه
فحين رآهم كذلك أنشد

ما الناس إلّا مع الدنيا وصاحبها ... فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... عليه يوماً بما لا يشتهى وثبوا

لايحلبون لحى در نعمته حتى يكون لهم شطر الذى حلبوا

ولقد صدق أفلاطون فى قوله :

حافظ على كل صديق اهدته اليك الشدائد ، واله عن كل صديق أهدته اليك النعمة

صاحبك عملك

يحكى أن رحلا كان له ثلاثة أصحاب ، ملازمون على صحبته بلا ارتياب ، وكان يميل الى اثنين مهم ، ولا يركن الى التالث إلّا قليلا ، مع أنه كان حسن الطوية ، حالص النية

فاتفق له فى يوم من الأيام ، أنه اتهم تهمة حسيمة ، وطلب الى المحكمة وهو فى الواقع و نفس الأمر برىء . فأخبر أصحابه بهذه العبارة ، وسألهم أن يذهب أحـد منهم معه الى المحكمة ، ويشهد له لينجيه من الحاكم ، لأنه كان شديد الغضب عليه

فعند ذلك اعتذر أحدهم وقال : انه يتعذر علىّ الانتقال ، لـكثرة ماعندى من الأشغال ، وذهب معه التانى . حتى بلغ باب المحكمة ، ثم أحجم عن الدخول معه ، خوفا من أن يغضب عليـه الحاكم ، وأما التالث الذى كان قليل الوثوق به فانه لم يتأخر عن الدخول معه

فلما مثل بين يدى الحاكم ، تقدم وشهد لصاحبه ، فقبل الحاكم

شهادته ، وعطف قلبه على صاحبه ، وبرأ ساحته ، وأطلق سبيله

فالمراد بالأصحاب الثلاثة فى هذه الحكاية · المال ، والعيال ، والأعمال فان لكل انسان فى هذه الدنيا أصحابا ثلاثة · ماله ، وعشيرته ، وأعماله

فاذا قبضت روحه ، وحضر أمام الحاكم العادل ، تركته أمواله التى هى أعز أحبابه ؛ وأما عشيرته وأخلاؤه ؛ فانهم يذهبون معه إلى باب القبر ، ثم يتركونه ويرجعون الى منازلهم

وأما أعماله التى كان لايعرف مايترتب عليها من الثواب الآجل ، فانها لاتفارقه إلى أن يقف بين يدى الله تعالى، وتشهد لصاحبها ، لاعليه، فيشمله الله برحمته ، و يدخله فسيح جنته

حكايات وأمثال فى حفظ الجوار

أبو حنيفة وجاره

كان لأبى حنيفة جار إسكاف بالكوفة ، يعمل نهاره أجمع ، فاذا جنّ الليل رجع الى منزله بلحم وسمك وخمر ، فيطبخ اللحم ، ويشوى السمك ، ويأكل ويشرب ، فاذا دبّ فيه السّكر أنشد .

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ، ويردد البيت ، الى أن يغلبه السكر وينام

وكان الامام أبو حنيفه يصلى اللّيل كله ، ويسمع حديث الرجل وانشاده ، ففقد صوته فى بعض الليالى ، فسأل عنه

فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام ، وهو محبوس ، فصلى الامام الفجر وركب بغلته ، ومشى واستأذن على الأمير

فقال ائذنوا له ، وأقبلوا به راكبا ، حتى يطأ البساط ، فلما دخل أجلسه الأمير مكانه ، وقال : ماحاجة الإمام ؟

فقال لى جار إسكاف أخذه العسس منذ ثلاثه أيام ، فتأمر بتخليته

فقال نعم ، وكل من أخذ من تلك اللّيلة الى يومنا هذا ، ثم أمر بتخليته ، وتخليتهم أجمعين

فركب الامام وتبعه جاره الإسكاف ، فلما وصل الى داره ، قال له

الإمام . أترانا أضعناك ؟

فقال : لا ، بل حفظت ورعيت ، جزاك الله خيراً عن صحبة الجوار ورعايته ، ولله عليّ ألاّ أشرب بعدها خمرا

فتاب من يومه ، ولم يعد الى ما كان عليه

الجار الصديق

كان الكردينال « دامبوار » وزيرا لملك فرنسا « لويس الثانى عشر » وقد امتاز بين قومه بالخبرة ، والذكاء ، وكرم الأخلاق ، وعلوّ الهمة

وكان له فى ايالة « نورماندية » قصر من أفخر القصور تحف به حديقة غنّاء ؛ ولكن لم يكن لتلك الحديقة غنى عن أرض ملاصقة لها ، ليتم شكلها ويكمل رونقها ، وطالما تمنى « الكرديال » أن يحصل على تلك الأرض ، فعرض على صاحبها الثمن الجزيل ، فلم يقبل هذا أن يبيع ملكا ورثه عن أجداده ، ويرجو أن يتركه لبنيه من بعده

وفى ذات يوم ، كان الكرديال فى قصره ، فرأى جاره داخلا يعرض عليه أرضه ، فاستغرب من ذلك ، ولم يكن لينتظره منه ، حتى كاد لايصدق بما يسمع ، لكن الرجل أخبره ، أنه لابد له من بيع ميراث أجداده ، ليعطى ثمنه مهرا لابنته ، فسأله الكرديال ، ان لم

يكن له وسيلة الى مهر ابنته مع حفظ ذلك الميراث العزيز عليه

فقال الرجـل : والله لبذل دمى أهون علىّ من بيع الأرض ، ولكن لابدّ من التضحية فى سبيل ابنتى

قال الكردينال : خير لك أن تستدين من أحد أصحابك بلا ربا المال المطلوب ، ثم تفيه مع طول الوقت مما تقتصده

فنظر اليه الرجـل نظرة الـكمد والتحسر ، وصاح قائلا . وأين مثل هؤلاء الأصحاب الأصدقاء ، فليس منهم من يشتريني من الدمار بدرهم ؟

قال الـكردينال · لاتسيء ظنك فى الأصحاب ، واعتبرنى واحـدا منهم ؛ ثم أعطاه المال اللازم ، والرجـل فى دهش شديد ، يحسب أن أذنه تخادعه ، وعينه تغره

ولما ثبتت له الحقيقة ، لم يتمالك نفسه من الفرح وخرّ على قـدم الكردينال ساجدا شاكرا له جميل معروفه ، أمّا سرور الـكردينال بما صنع من المعروف فلا يقدر ، وكان يقول انه هو الرابح لا الرجـل ، لأنه ربح عوض الأرض جارا صديقا

والحق يقال : إن هذه الفضيلة لمن أشرف الفضائل وأندرها ، فكم من النّاس ليغتنمون مثل هـذه الفرصة ليحصلوا على مزعومهم بأبخس الأثمان

محمد بن الجهم وجاره وسعيد بن العاص

عرض محمد بن الجهم دارا بخمسين ألف درهم ، فلما حضروا ليشتروا ، قال . بكم تشترون مني جوار سعيد ؟ وكان بجواره

فقالوا . وهل يباع الجوار ؟

فقال : وكيف لايباع ؟ ويفرد بثمن ، وهو جوار من إذا سألته أعطاك ، وإن سكت ابتدأك ، وان أسأت أحسن اليك

فبلغ ذلك سعيدا ، فوجه اليه بمائة ألف درهم ، وقال : أمسك عليك دارك

مجاورة الأحرار لاتقوم بثمن

يروى أن رجلا كان جاراً لأبي دلف ببغداد ، فأدركته حاجة ، وأثقله دين فادح ، حتى احتاج الى بيع داره ، فساوموه فيها ، فسألهم ألف دينار فقالوا له : إن دارك تساوي خمسمائة دينار

فقال أبيع داري بخمسمائة ، وجوار أبي دلف بخمسمائة ، فبلغ أبا دلف الخبر ، فأمر بقضاء دينه ، ووصله وقال . لاتنتقل من جوارنا

فانظر كيف صار الجوار ، يباع كما يباع العقار

قال الشاعر

يلوموني أن بعت بالرخص منزلى ولم يعلموا جاراً هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

ابن عبيد الله وإمرأة جاره

كان رجل جاراً لابن عبيد الله ؛ فأصاب الناس قحط بالعراق ، حتى رحل أكثرهم عنها ، فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد ، وكانت له زوجة لاتقدر على السفر ، فلما رأت زوجها تهيأ للسفر ، قالت له : إذا سافرت مَن ينفق علينا ؟

قال : ان لى على ابن عبيد الله دينارا ، معى به إشهاد شرعى ، فخذى الاشهاد وقدميه له ، فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده ، الى أن حضر ثم ناولها ورقة كتب فيها أبياتا من الشعر وسافر عنها ، ثم ان المرأة بعد أيام ، مضت الى ابن عبيد الله ، وحكت له ماقال زوجها ، وأخبرته سفره ، وناولته الرقعة فقرأها ، واذا فيها هذان البيتان :

قالت ، وقد رأت الأجمال سائرة والبين قد جمع المشكوّ والشاكى

من لى اذا غبت فى ذا المحل؟ قلت لها الله وابن عبيد الله مولاك

قال : صدق زوجك ، ومازال ينفق عليها ويوصلها البرّ والاحسان الى أن قدم زوجها

فشكره على فضله واحسانه

الجار السوء والحيلة فى استرداد ماسرقه

يحكى أن رجلا أعمى كان كلما وفّر شيئا من الدراهم يدفنه فى بستان وراء بيته ؛ فأحسّ بذلك جار له فسرق ما كان قد دفنه

ولما شعر الأعمى أن ماله قد سرق ، ذهب الى جاره الذى ظن أنه هو السارق ، وقال قد أتيتك مستنصحا .

فقال له · قل

قال · إن عندى قليل من المال ، ولا أعلم أيهما خير ، أن أخبئه ، أو أضعه فى المصرف (البنك)

فقال خير لك أن تخبئه ؛ لأن فى وضعه فى المصرف خطرا ، فشكره ومضى

وفى الحال ، ذهب ذلك الجار بالمال الذى سرقه ، وردّه الى الحفرة التى كان مدفونا فيها ، مؤملا ان يأخذه مع ما سيدفنه ذلك الأعمى ، وذهب الأعمى الى الحفرة ، فوجد المال فأخذه

ثم أتى الجار الى الحفرة ، فلم يجد شيئا ، فرجع بخفى حنين ، أى رجع خائباً نادما على ما فعل

الانتقام من الجار السوء

كان لامرأة قط جميل ، تحبه كثيرا ، لبراعته فى صيد الفيران ،

وتتسلى بمداعبته ساعات الانفراد ، فخرج القط يوما ، ولم يعد كعادته ، فقلقت المرأة عليه ، وخرجت تبحث عنه ، فوجدته فى الطريق ، قتيلاً برصاصة فى رأسه ، فحزنت عليه حزنا شديدا

وبعد أيام قلائل ، بلغها أن جارها هو الذى قتل ذلك القط ، لحاجة فى نفسه ، فاغتاظت من ذلك الفعل السيئ ، وصممت على الانتقام من جارها ، الذى لم يراع حُرمة الجوار ، ولم يشكُ ذلك القطُ اليها أبداً

فاشترت جملة مصايد للفيران ، صادت بها أكثر من خمسين فأرا ، ثم وضعت الفيران فى صُندوق كبير ، وكتبت عليه اسم جارها ، وأرسلته اليه بالبريد ؛ ولما تسلم الرجل الصندوق فرح به ، وظنه هدية نفيسة ، من أحد أصدقائه ، ففتحه ليرى مافيه ؛ وإذا الفيران خرجت تثب فى وجهه ، وانتشرت فى أنحاء الغرفة ، وهو يتقزّز من ذلك المنظر الخبيث ، ولم يدر سبباً لهذه المكيدة ، ثم التفت فى الصندوق ، فرأى ورقة مكتوبا فيها العبارة الآتيه ٠

« لقد قتلت قطى ، وحرمتنى من وجوده ، فأهديت لك هذه الفيران التى أصبحت تمرح فى بيتى بلا رقيب »

فصبر الرجل على هذه المصيبة التى اعتبرها جزاءً حقاً على سُوء فعله

« القراءة الرشيدة »

الشورى فى الاسلام

رأى الفرد وإن سما، وفكره وان علا، ليس بمعصوم من الزلل. بل هو عرضة للخطل، لاسيما فى كبريات الأمور، ومشكلات الحوادث

الرأى كالليل مسوّد جوانبه والليل لاينجلى إلا باصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

من أجل هذا، جاء الاسلام حاثاً على الشورى، مبينا فوائدها، ذاكرا مقاصدها، طورا بحكاية مافعل الغابرون، كما ذكر بلسان بلقيس ملكة سبأ، مخاطبة بطانتها وذوى الرأى من قومها، طالبة منهم إبداء آرائهم، لتستنير بها فى حل ماتعقد لديها من المشاكل ويتضح لها وجه الصواب، وتستبين طريق الهدى.

وذلك حين كاتبها سليمٰن عليه السلام.

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ »

« قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ . قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ »

وحياً بأمر نبيه عليه السلام، بمشورة أصحابه، ليستن بسنته المسلمون، ويهتدى بهديه المؤمنون، فيجنوا من فوائدها، مابه يعز جانبهم، وتعلو كلمتهم، ويكون لهم السلطان على غيرهم؛ قال تعالى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»

وأجرى بمدح المؤمنين، وتعداد جليل خصالهم، باتباعهم سنة الشورى فيما بينهم، فى كل أمر من أمورهم، قال تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»

ومن قبل هـذا، كان الصحابة جميعا، ومن اقتفى أثرهم باحسان: يجعلونها رائدهم فى جليل أعمالهم، وعظيم شئونهم

فكان أبو بكر لا يقضى أمرا، ولا يبرم حكماً، الا اذا استشار زعماء الأمة، وقادة الرأى فيها، ولا يقدم رجلاً إلا اذا أشاروا عليه بما يرونه الحق، سواء أكان ذلك فى حرب أم فى فتوى

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد أشيرا علىّ بالذى تريان

ولما احتضر الخليفة الثانى (سيدنا عمر بن الخطاب) لم يعمد فى الأمر من بعـده لواحد يعينه فى الخلافة، بل جعل الأمر شورى للمسلمين، يختارون واحداً من ستة عينهم لهم، وطلب اليهم فى مدى ثلاثة أيام أن يختاروا خليفة منهم، فاختاروا عثمان بن عفان

وما زال الأمر كذلك فى الملة لدى الأئمة والخلفاء ، أيام عز الدولة الاسلامية وعظيم سلطانها ، فما كان يتم أمر ذو بال إلا بعد تمحيصه وبحثه ، ولذا كانوا موفقين فى أعمالهم ملهمين فى أعمالهم

عمر والشورى

عمر هو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة وقد قال فى ذلك شاعر مصر حافظ بك ابراهيم

يارافعاً راية الشورى وحارسها | جزاك ربك خيراً عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها | وللمنية آلام تعانيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله | الى الجماعة انذاراً وتنبيها
ان ظل بعد ثلاث رأيها شعبا | فجرّد السيف واضرب فى هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها | طعم المنية مرّاً عن مراميها
درى عميد بنى الشورى بموضعها | فعاش ماعاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأى فى حكومته | ان الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لاتشقى البلاد به | رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

فائدة المشورة

الأسلمى والمهلب بن أبي صفرة

حكى أن رجلا من أهل يثرب يعرف بالأسلمى قال : ركبني دين أثقل كاهلى ، وطالبنى به مستحقوه ، فضاقت علىّ الأرض بما رحبت ، ولم اهتد الى ما أصنع ، فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى ، فأشار على بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق

فقلت له . تمنعى المشقة وبعد الشقة ؛ ثم انى عدلت عن هذا المشير الى استشارة غيره ، فلا والله ما رادنى على ماذكره الصديق الأول شيئاً ، فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها ، فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له ، أصلح الله الأمير ، إنى قطعت اليك الدهناء ، وضربت أكباد الإبل من يثرب ، فانه أشار على بعض ذوى الحجا والرأى بقصدك لقضاء حاجتى ، فان قمت بها فأهل لذلك أنت ، وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من عندك

فقال المهلب لحاجبه ، اذهب به وادفع له مافى خزائننا الساعة فأخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين الف درهم ، فدفعها الى ، فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا

ثم عاد الحاجب بي اليه مسرعا وقال ، هل ماوصلك يقوم بقضاء حاجتك ؟

فقلت ، نعم أيها الأمير وزيادة

فقال ، الحمد لله على نجح سعيك ، واجتنائك ثمرة مشورتك ، وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا

قال الاسلمى : فلما سمعت كلامه : وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه .

يامن على الجود صاغ الله راحته ... فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك أهل الأرض قاطبة ... فأنت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح ... لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة وقضيت ديني ، ووسعت على أهلي ، وجزيت المشيرين عليّ وعاهدت الله تعالى ألّا أترك الاشارة في جميع أمري ماعشت

« العقد الفريد »

ماخاب من استخار

ولا ندم من استشار

حكى : أنه خرج أحد الفلاحين ذات يوم من قرية ، لقضاء حوائج له من المدينة المجاورة ، ولما انتهى من عمله ، استحسن أن يستشير محامياً

مشهورا ، فحين مثل بين يديه القى التحية ، وقال : قد سمعت صيتك الذائع ياحضرة المحامى ، فجئتك لأستشيرك فى كيفيه التصرف فى المعيشة الدنيوية

فقال له المحامى · أشكرك ياصاح على ثقتك بنا ، أظن لك تعلقا ببعض القضايا ؟

فقال لا . لا إن عائلتنا لم تقسم أبدا ، فقد توارثنا الاتحاد عن أجدادنا

فقال المحامى : إذاً تبغى رفع شكوى على أحد ببيع أوشراء ؟

فقال · لست غنيا الى هذا الحد لاشترى ، أو فقيرا لأبيع

فقال وما تريد منى إذاً ؟

قال : قلت لمولاى ، انى اريد استشارة تنفعنى فى أحوال معيشتى لأنى أحب أن أغتنم الفرصة

فعند ذلك أخذ المحامى قلما وورقة ، وسأل القروى عن اسمه

فأجاب : عمر

فقال له · كم سنة عمرك ؟

قال : نحو الثلاثين سنة

فقال · وما مهنتك ؟

أجاب مهنتى ؛ تعنى صنعتى ، أنا مزارع

فكتب المحامى سطراً على الورقة ، ثم طواها وأعطاها للقروى فقال : هده كم ثمنها ؟

فقال : اثنا عشر قرشا ، فدفعها بطيب خاطر ، وخرج مسرورا ، وقصد قريته ، وكان قد حصد قمحه قبل ذلك بيومين

وعند ماوصل منزله ، سأله أحد أولاده عما اذا كان يعنى إدخال الحنطة فانهـا ييبس ، فوعد أن يجيبه فى المساء ، ولما أقبل الليل أمر الرجل بادخال الغلة فى مخازنها

فقالت زوجته ، من الغباوة أن تشتغل بالليل ياعمر

فقال أحد الأبناء . ان الجوّ سيتغير

فانتهرته أمه قائلة ان الهواء معتدل ، والجو صاف ، وسيمضى الليل هادئاً

فكان الأب بمعزل عنهم يفكر فى أمره ، فتذكر نغتة استشارة المحامى ، فنهض قائما وقال لزوجته : صه ، فقد ظهر الحق ، وزهق الباطل ، هـذه استشارة من أعظم المحامين دفعت عليها ريالا فخذيها واقرئيها ، لأنك تعلمت فى المدرسة ؛ ثم أخرج الورقة من جيبه ودفعها لزوجته

فأخذتها وقرأت فيها مايأتى · لاتؤخر الى غد مايمكنك عمله فى اليوم

فصاح عمر : الحق أحق أن يتبع ، هيا بنا إلى أشغالنا يا أولادى ،

هاتوا العربات يجرها بغالها ، وخذوا معكم الصبيان والبنات ، وأدخلوا الحنطة فى مخازنها؛ فأرادت زوجته معارضته ، فلم يتركها تتكلم ، وخرج يعدو ، وهو يقول :

(اننا لا نشترى استشارة كهذه بعشرين قرشا ، ونتركها عبثاً ولا نعمل بها)

ولم يزل يكرر مضمون الاستشارة على رؤوس العمال طول ليلته ، ولم يطبق جفنه حتى أدخل حنطته جميعها

وما أصبح الصباح إلا والجو قاتم ، والسماء متلبدة بالغيوم ، والبرق يلمع ، والرعد يقصف ، والريح تعصف ، وأمطرت السماء مدرارا ، ونزل الماء كما ينزل من أفواه القرب ، وعرفت علة أهل البلد إلا هذا الرجل الذى عمل بالاستشارة ، ولم يترك وقته يمضى سدًى ، ولسان حاله يقول :

تمتع من الدنيا بساعتك التى ظفرت بها مالم تعقك العوائق

فما يومك الماضى عليك بعائد ولا يومك الآتى به أنت واثق

حكايات وقصص فى فضل الاستقامة

الاستقامة طريق السلامة

حكى ، أنه كان رجلان يسيحان على نهر (اللوار بفرانسا) أحدهما يمشى فى وسط الطريق المعتدلة ، والثانى يسير على حافة النهر ، فكان الأول يحذر رفيقه ، ويستلفت نظره الى الخطر الذى يتوقع حصوله له ، بقوله : ياأخى لاتطوح بنفسك الى الهلاك بيدك ، أما تعلم أنك بعاصفة من الريح ، أو بحركة فجائية ، أو بهفوة منك لاترى نفسك الا فى قاع النهر ؟ أما ترانى لاخوف على من الخطر الذى يتهددك ، لأنى أسير فى طريق مستقيمة ؟ فأى حادث يصيبنى أكون على الأرض ، ولا ضرر على

ولكن مع الأسف لم يصغ لكلامه ، وكان كأنه يضرب فى حديد بارد ، كما قال الشاعر :

ومن البلية زجر من لايرعوى عن جهله وخطاب من لا يفهم

فكان ذلك المغرور يضحك من كلام الناصح ، مستهزئا ساخرا منه ، وتحكم فى عقله الطيش ، ولم يدر ماخبأه له القدر

فبينما هو كذلك ، واذا بطلقة نارية صدرت من الشاطئ الآخر ، أرجفت أعضاءه ، وجعلته يفقد حركة الموازنة ، فوقع فى الماء غريقا ، ولم

يتذكر قول الشاعر :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وأراد رفيقه أن يدركه قبل وصوله الى قاع النهر ، لكنه للأسف قد سبق السيف العذل ، وذهب المغرور ضحية الجهل والغواية ، ولا معين له ولا مغيث ، فتأسف رفيقه على ما أصابه ، وواصل على الاستقامة .

جزاء الاستقامة

كان فتى فقير جالسا ذات يوم تحت شجرة وسط الغابة يبكي بدموع حارة ويتضرع الى الله بتلهف

وكان وقتئذ في الصيد أحد الأمراء لابسا ثوبا بسيطا ، فسمع صراخ الصبي الصغير ، ودنا منه ، وسأله : لماذا تبكي يابني ؟

فأجابه الفتى واحسرتاه ، أمي مازالت مريضة من زمن بعيد ، وقد أرسلني أبي في هذا الصباح الى المدينة لأحضر لها الدواء من الصيدله ؛ ولكن لسوء حظي أضعت الدراهم في الطريق مع الكيس الذي كانت فيه ، فتكلم الأمير بصوت منخفض مع الصياد الذي كان يرافقه ، وأخرج من جيبه كيساً صغيرا من حرير قرمزي به قطع ذهبية كثيرة لامعة ، وقال للغلام : هل هذا الكيس الذي أضعته ؟

أجابه : لا ياسيدى، لم يكن ظريفاً مثل هذا الكيس ، ولم يكن به قطع ذهبية أصلاً ، فأخرج الصياد من جيبه كيسا صغيرا ، وقال له أمثل هذا الكيس ؟

أجابه الصبى فرحا مسرورا نعم ، هذا هو كيسى بعينه

فردّه اليه الصياد ، وقال له الأمير : خذ ياولدى هذا الكيس أيضا مع كيسك ، فانى وهبتك إياه ، جزاء استقامتك ، وثقتك بالله .

بالاستقامة والاجتهاد ، تنال غاية الاسعاد

زار أحد الفضلاء غنياً من أغنياء أمريكا ، فرآه فى قصر منيف ، تحيط به حديقة غنّاء ، فيها من الأزهار والثمار ما يأخذ بالأبصار ، وعلى القصر من الآنيه والرُواء ما يجعل الانسان يظنه لأحد الملوك ؛ فأخذ الزائر العجب من اتساع ثروة الرجل وكثرة خدمه وحشمه ، وما فى قصره من النفائس ، وجعلا يتحدثان الى أن انتهيا الى وسط القصر ، واذا هما بكوخ صغير يظهر عليه الفقر وسوء الحال ، فَبُهِتَ الزائر عند رؤيته وظهرت عليه علامات التعجب ، فالتفت اليه رب المنزل متبسما ، وقال له : لعلك قد راعتك رؤية مثل هذا الكوخ وسط قصرى ؟ قال : نعم ، قد حيرنى ذلك . قال لا تعجب ؛ فان هذا الكوخ هو منبع هذه الثروة العظيمة التى أدهشتك ، فهو المنزل الذى وُلد فيه جدى ،

وهو مؤسس هذه الثروة ، ورافع هذه الأسرة بعد الضعة ، ولد في هذا الكوخ وترعرع فيه ؛ ولكنه جدّ وأعمل الفكرة ، وساعده الحظ والاستقامة ، فنال ما ترى ، ولم يشأ أن ينسى منشأه ، فبنى قصره حول هذا الكوخ ، وجعل يزوره كلما استطاع ذلك ، حتى لا ينسى حالته القديمة ، ولا يترك الاجتهاد والاستقامة ، اللذين كانا سببا في اصلاح حاله ، وبلوغ آماله ، فيحمد الله سبحانه وتعالى الذى هداه الى سواء السبيل ، ويشكر له طاعته لأوامره

وإنى أحفظ هذا الكوخ أثراً جيدا لهذا المجتهد التقى ، حتى لا أترك خطته ، ولا أسلك غير سبيل الاستقامة ، فانى أخشى أن مالاً جمعه العلم والحزم ، يبدده الجهل والطيش

الاستقامة طريق السعادة

كان لأحد التجار الأغنياء خادم فطن ، وكان يحبه محبة شديدة ، لأمانته واستقامته وحسن سيرته

في ذات ليلة ، سمعه يتذمر من دهره ، ويشكو من التشكوى من سوء حاله ، فرقّ قلبه ، ومالت عواطفه اليه ، وجاءه قائلا : لِمَ تشكو وأنت عندى فى أعظم منزلة ؟

فأجابه : أشكرك ياسيدى ، شكر العبد لمولاه ، وانى أشكو من سوء

حالى ، وكثرة عيالى

فقال له · وماالذى يمنعك من أن تكون غنياً وهو فى طاقتك ؟

قال : يمنعنى قلة المال ، فان كان للغنى باب غير تحصيله فدلنى عليه لأطرقه ، وأعيش آمنا مرتاح البال ؟

فقال اذهب فى الغد الى الساحل ، فترى هناك الناس يتزايدون على شراء مركب من الشاى ، فزد على الجميع واشتره لنفسك

قال : هل يتاح لى ذلك وأنا فقير لا أملك شروى نقير ؟

قال · ذلك لايهمك ، فاذهب وزد على الجميع واشتره وأنا أدبر أمرك بعد ذلك

فبات الغلام ليلته على أحر من الجمر ، يعدد مصائب الدهر ، وما طلع الصباح حتى هرع الى الساحل ، فوجده غاصا بالناس ، وجميعهم يتزايدون على شراء مركب الشاى ، فاخترق الصفوف حتى وصل الى الأمام ، ورفع الثمن على الجميع ، فتعجب البائع ؛ ولكنه لم يلبث برهة حتى سمع همساً فى أذنه ، إن المشترى غلام فلان التاجر الشهير ، فقبل البيع دون أن يفوه بكلمة ، فانتشر الخبر فى نواحى البلاد ، أن التاجر الفلانى الشهير يخزن الشاى ، وارتفعت أسعاره ارتفاعا عظيما

وفى اليوم التالى قال التاجر لخادمه ، اذهب وبع الشاى ، فاسرع وباعه بثمن أقل من الثمن المتداول ، حتى باعه فى وقت قصير ، وربح

منه مالاً طائلاً ، كان سببا فى سعادته ، وذلك بفضل إستقامته

من استقام نجا من التهم والملام

توفى أحد التجار فى مدينة (بوستن بأمريكا) ووجد بين أوراقه سنداً على تاجر آخر اسمه (صمويل ايلتس) فطولب به

فقال : ان الخط مثل خطى والامضاء ، ولكن السند ليس علىّ ، ولم أكن مديونا لهذا الرجل ، فرفعت الدعوى إلى الحكومة ، وكان القاضى متعصباً ، ويريد أن يثبت عليه السند ؛ ولكن الأعضاء ، كانوا يثقون باستقامته ثقة تامة ، ولم يروا وجها لانكاره السند لو كان حقيقة عليه ، لانه غنى ، ولم يسمع عنه أنه هضم حق أحد ، فحكموا ان السند مزوّر ، وبرؤوه من هذه التهمة ، وبعد مدة وجد انسان آخر باسم (صمويل ايلتس) وكان ربان سفينة ، فأقرّ من نفسه أنه هو الذى كتب السند ، وأنه مديون به لذلك التاجر ، فثبت بذلك براءة التاجر ، ونجا بفضل استقامته ، وحسن سمعته

الاستقامة سر السعادة والهناء

والاعوجاج مجلبة الفقر والشقاء

كان لتاجر ميسور الحال فى مصر ولدان ، أحدهما يدعى (عبدالرازق)

لم يسعده الحظ بدخول المدارس ، أو تلقى شيء من العلوم والمعارف ؛ بل كان جاهلا ساذجاً ، ضعيف الرأى ، فاتر العزيمة ؛ أما الثانى ، وهو أصغرها واسمه (سعيد) فقد أسعده الحظ بدخول المدرسة ، ثم خرج منها وله إلمام تام بالقراءة والكتابة والحساب ومسك الدفاتر وعلوم الدين ومشاهدات الطبيعة وغيرها

وكان لوالدهما تجارة رائجة اقتنى منها ثروة لابأس بها ، وأسس فرعا فى إحدى مدن الوجه البحرى فلما وافاه القدر المحتوم أخذ الأخوان يتحادثان فى تقسيم التركة فعرض سعيد على أخيه أن لاينفصل أحدهما عن الآخر ؛ بل يقوما بشئون التجارة معاً ، فلم يوافق عبد الرازق هذا الرأى ، بل طلب أن يأخذ كل منهما نصيبه ، فيستولى هو على تجارة أبيه فى مصر تاركا لسعيد الفرع الذى فى الوجه البحرى

فلم ير سعيد بُداً بعد الالحاح الشديد من الإذعان ، فأخذ عبدالرازق يعمل بما يُمليه عليه جهله ، ويوحيه اليه سوء تدبيره من الاسراف والتبذير فى الملبس والمسكن ، وايلام الولائم لمن يحيط به من الجهال الساقطين ، تاركا حبل أمور تجارته على غاربها ، يتصرف فيها العمال على حسب أهوائهم ومشيئتهم ، غير مُصغ لنصيحة ناصح ولا وعظ واعظ

فما تم الحوَل حتى نفد ما تركه له أبوه من المال ، ثم ثقل عليه الدين ، وتعددت مطالب الوفاء ؛ ولكن كيف السبيل الى الوفاء ما دامت

التجارة قد أصبحت كاسدة ، والدفاتر مرتبكة ، باهمال الكاتب الذى لم يَرَ أمامه رقيبا ولاحسيبا وعلى الجملة أصبحت حالة عبد الرازق سيئة للغاية ، وأدت لشكاية الدائنين أمام القضاء الذى لم يَرَ بُداً بعد سماع القضية ودرس المسألة من الحكم بافلاسه ومصادرة جميع أملاكه ، وتصفية تجارته ، فأمسى هذا المسكين طريدا فى حالة يرثى لها . وكل ذلك بسبب اعوجاجه وعدم استقامته

أما سعيد فقد كان لحظه من اسمه نصيب وافر ، اذ أخذ بعد تسلمه أعماله يرقبها بنفسه ، ويطلع على كل مايجرى فى محله ؛ يبكر فى الصباح ، ويعكف على العمل فى منزله فى الليل ، ثم يريح جسمه وعقله من عناء العمل استعداداً للقاء اليوم التالى دئباً على الصدق وحسن المعاملة مستمعا للنصائح ، معتبراً للعبر ، مقيم الصلاة ، ومؤتى الزكاة ، يصل ذوى القربى واليتامى والمساكين ، فما تم عليه الحول حتى بارك الله له فى تجارته فعظم احترامه بين الناس ، وأصبح فى درجة يغتبط عليها

فانظروا رحمكم الله كيف كانت عاقبة الجهل والحَيْدَةِ عن الطريق المستقيم ؟ وكيف آلت حالة عبد الرازق التعس الذى جرَّ على نفسه العسر بعد اليسر ، والفقر بعد الرخاء ، حتى لوث سمعته وسمعة أسرته ، وأصبح عبرة لمن يعتبر ؟ وانظروا الى سعيد وكيف كانت عاقبة نشاطه واستقامته ومثابرته على العمل ، خير معوان له على ارتقاء حالته ، وتمكين قدمه فى التجارة

واحرازه النصيب الأوفر فيها حتى صار محله التجارى قِبلَةَ كل طالب ومعرله كعبة كل قاصد . « تهذيب السنين »

من يستقم يأمن شرّ المنتقم

قال مبارة صاحب شرطة الرشيد ومحل ثقته :

رُفع يوما الى الرشيد ، أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أميه ، كثير المال ، عظيم الجاه ، مطاع فى البلد ، له أولاد ومماليك ، وأتباع يركبون الخيل ، ويحملون السلاح ، فعظم ذلك على الرشيد ، فدعانى وقال

إنى قد دعوتك لأمر أهمنى ، حتى منعنى النوم ، ثم قصّ علىّ خبر الأموى ، وقال

قد أعددت لك كل مايلزمك للسفر ، من الزاد والنفقة والخيل ، فاخرج الساعة ، وضم اليك مائة غلام ، وخذ هذين الكتابين ، تعطى أحدهما للأموى ، فان أطاع فأوثقه فى الوثاق ، وائتنى به ، وإلّا فاذهب بالآخر الى نائب دمشق ، ليكون مساعداً لك عليه ، وجئنى به صاغرا ذليلاً ، ولا تكل أمره إلى غيرك ، حتى يكون بين يدى ، واذا دخلت داره ، فتعرفها وجميع من فيها ، من أهله وولده ، وغلمانه ، وقدر نعمته من الحال والمحال ، واحفظ مايقوله حرفا بحرف ، من وقت أن يقع طرفك عليه ، إلى أن تحضر به

فركبت وانطلقت أصل السير بالسرى ، الى أن بلغت دمشق ، فقصدت دار الرجل ، فولجتها على هيئتي ، بدون استئذان ، فلما صرت في صحنها ، ورأيت قوما جلوسا فقاموا اليّ ورحبوا بي ، فقلت أنا منارة ، رسول أمير المؤمنين ، الى صاحبكم فأين هو ؟

قالوا : في الحَمام

ومضى بعضهم يستعجله ، وأنا أتعرف الدار ، فوجدتها تموج بأهلها ، فلم أزل كذلك مدة طويلة ، حتى اشتد قلقي ، وخفت من أن الرجل يتوارى عني ، الى أن لمحت شيخاً مقبلا ، وعليه آثار الاستحمام ففهمت أنه هو ، فسلّم عليّ سلاما خفيفا ، ودعاني إلى الجلوس ، ثم سألني عن أمير المؤمنين ، فأخبرته بما وجب ، وما شعرت إلا وقد جاءنا الغلمان بأطباق فاكهة ، فقال الرجل . تقدم يامنارة وكل معنا . فقلت ماتتوق نفسي الى ذلك ، فلم يعاودني ، فأكل هو ومن معه ، ثم غسل يديه ، ودعا بالطعام ، فجاؤا بمائدة فاخرة ، لم أر مثلها الا للخليفة ، فقال يامنارة ساعدنا على الأكل ، فامتنعت ، فما عاودني ، فأكل هو ومن معه أيضا ، وقد كان غلمانه عند دخولي ، أخذوا غلماني وعدلوا بهم الى دار أخرى ، فبقيت وحدي ، وليس معي إلا خمسة غلمان ، وقوف على رأسي ، فقلت في نفسي . هـذا جبّار عنيد ، فان امتنع لم أطق إجباره ، ولا حفظه بنفسي ومن معي ، إلا أن يلحقني أمير البلد ،

وجزعت جزعا شديدا ورأيت استخفافه وتهاونه بأمرى ، فما كان يزيدنى أن يدعونى باسمى ، كما يفعل الخليفة ، ولا يفكر فى امتناعى من الأكل ، ولا يسأل عن سبب مجيئى اليـه ، ويأكل مطمئنا ، وأنا أعمل الفكر فى ذلك كله ، فلما فرغ من الأكل وغسل يديه ، قام الى الصلاة وصلى الظهر ، وأكثر من الدعاء والابتهال ، ورأيت صلاته حسنة ، ثم انتقل من المحراب ، وأقبل علىّ وقال . ما جاء بك يامارة ؟

فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ، ودفعته اليه ، ففضه وقرأه ، وحالما استتم القراءة ، نادى أولاده وحاشيته ، فاجتمع منهم خلق كثير

فلم أشك أنه يريد أن يوقع بى ، وبعد أن تكامل عددهم ، قال لهم :

هذا كتاب أمير المؤمنين بالمضىّ اليـه ، ولست أقيم بعد نظرى اليه ساعة واحدة ، ومالى حاجة أن يصحبنى أحد

ثم التفت الىّ ، وقال : هاتِ قيودك يامنارة

فأمرت غلمانى باتيانه ، وحمـله الى المحمل ، فجعلوه فى شقة منه ، وركبت أنا فى الشقة الأخرى ، وسرت من وقتى بالرحـل ، وليس معه أحد ، الى أن صرنا بظاهر دمشق ، فابتدأ يحدثنى بانبساط ، حتى انتهينا الى بستان فى الغوطة ، فقال لى : أترى هذا ؟

فقلت . نعم

فقال . إنه لى ، وفيه من غرائب الأشجار والأزهار كيت وكيت ،

ثم انتهينا الى آخر ، فقال لى مثل ذلك

ثم مررنا بمزارع فاخرة ، وقرى عامرة ، فأعاد كلامه السابق ، فاشتد غيظى منه ، فقلت : ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك ، حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك ، وأخرجك فريدا مقيدا ، لا تدرى كيف يكون أمرك ، وأنت خلىّ البال ، تصف ضياعك وبساتينك بعد ذلك كله ، ولا تفكر فيما يؤول اليه حالك ؟

فقال لى : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ لقد أخطأت فراستى فيك ، فإنى كنت أظنك رجلا عاقلا ، لم تحل من الخلفاء هذا المحل إلا لما عرفوا لك من الكمال ، إذ عقلك وكلامك يشبهان مالعوام

أما خروجى من بلدى على صورتى هذه ، فلا أبالى به ، لأنى على ثقة من الله عز وجل ، الذى بيده ناصية أمير المؤمنين ؛ على أنى لست بمذنب فأخافه ؛ فإذا عرف أمرى ، ووقف على صلاح ناحيتى ، أيقن أن الحسدة والوشاة رمونى لديه بما ليس فىّ البتة ، فيردنى الى أهلى مكرما ، وإن كان قد سبق فى علمه سبحانه ، أن يلحقنى منه سوء ، وقد اقترب أجلى ، وكان انتهاؤه على يديه ، فإنى على كل حال أحسن الظن بالله ، الذى يخلق ويرزق ، ويحيى ويميت

وقد كنت ظننت أنك تعرف هذا ، ولكنى وجدتك على خلاف ظنى ، وعليه فلا أكلمك من الآن بكلمة واحدة ، حتى يفرق بيننا

أمير المؤمنين إن شاء الله عزت قدرته

ثم أعرض عنى، فما سمعت منه غير التسبيح، أو طلب ماء أو حاجة، حتى شارفنا مدينة السلام، فحططت رحلى، ودخلت على الرشيد

فقال: هات ما عندك يامنارة، وإياك أن تفوتك كلمة واحدة، فسقت الحديث من أوله حتى وصلت الى ذكر الفاكهة والطعام، وما حدثتنى به نفسى من امكان إبائه، والغضب يظهر فى وجه أمير المؤمنين، ويتزايد، حتى انتهيت الى فراغ الأموى من الصلاة، والتفاته الىّ، وسؤاله عن سبب قدومى، ودفعى الكتاب اليه، ومبادرته الى إحضار أولاده وأصحابه، وكلامه لهم، وطلبه القيود، فأخذ محيا الرشيد يسفر، حتى انتهيت الى ماخاطبنى به، عند توبيخى له، وهو يصف لى أملاكه

فقال: والله ماهذا الرجل الا محسود على النعمة، مكذوب عليه، ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه، فبادر بنزع قيوده، وائتنى به

فخرجت، ونزعت قيوده، وأدخلته الى أمير المؤمنين، فما هو إلا أن رآه، حتى لاحظت ماء الحياة يجول فى وجه الرشيد

فدنا منه الأموى، وسلم ووقف، فرد عليه ردّا لطيفا، وأمره بالجلوس، وأقبل عليه يسأله عن حاله، وحال بلده، والرجل يجيبه أحسن اجابة، ثم قال له:

بلغنا عنك أمور أحببنا معها أن نراك، ونحسن اليك، فاذكر

حاجتك ، فشكره الأموى شكراً جميلا ، ودعا له بدوام العز والبقاء ، ثم قال ليس لى عند أمير المؤمنين إلا حاجة واحدة

فقال : مقضية والله ، فما هى ؟

قال : أن تردنى الى أهلى وبلدى

فقال : نفعل ، ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح معاشك ، فان مثلك لايخلو أن يحتاج الى شئ من هذا

فقال : ياأمير المؤمنين ، عمالك منصفون ، وقد استغنيت بعدلهم عن مسئلتى ، فأمورى كلها مستقيمة فى ظل أمير المؤمنين

فقال الرشيد ياخير انسان ، انصرف الى بلدك وولدك ، محفوفا بالأمان

فودعه الأموى ، ولما صار الى الخارج قال لى الرشيد :

احمله من وقتك الى محله ، ففرح به أهله ، وأعطانى عطاء جزيلا ، فرجعت شاكراً جميل صنعه (بحر الآداب ج ٣ - ص ٦١)

عدم الاستقامة سبب الفضيحة والملامة

قال أحد الأدباء دعتنى بعض الظروف للذهاب الى جهة المالية ، فجلست عند أحد باعة المرطبات ، وكان بجانبى خمسة شبان ، تلوح

عليهم مخائل الذكاء ، وشرف النفس ؛ ثم جاء شاب سادس ، وحياهم ، فلم يردّوا تحيته ، بل قالوا بلهجة شديدة تنح عنا أيها الولد الساقط الفاسد ، فما أحـد منّا يريد أن يدنس يده بوضعها فى يدك ، فمضى الشاب كاسف البال ، يتعثر فى أذياله ، ويرثى لسوء حاله ، فأردت أن أستفسر عن السبب الذى حدا بهم الى مقاطعة هذا الشاب ، فأجابونى . إنه كان فيما مضى حسن السير والسيرة ، محبوبا من الجميع ، يستأنس به ونجالسه ، ولـكن مع الأسف الشديد ، عرف شابا أكبر منه سنّا ، وأعرف بمواطن الرذيلة ، فأغراه وقاده الى حيث تذبح الفضيلة ، وتنتهك الحرمة ، فزلت قدمه معه فى الرذيلة ، فضـلّ عن طريق الهـدى والاستقامة ، وسلك مسالك التهم والملامة

وقد اتصـل بنا سوء خبره ، من اثنين من أسرته ، طالما نصحاه بالاقلاع عن هذه الخطة الشائنة ، والسلوك السىءً ، فلم ينتصح لهما ، ولم يرجع الى سيرته الأولى ، وذلك لشـدة تأثره بمؤثرات ذلك القرين السوء ، وقد أجهد أنفسهما معه ، فلم يظفرا ببغيتهما ، فتوسلا الينا لعلمهما بصداقتنا ، واخلاصنا معه ، بأن نوالى نصحه ، وننقذه من صحبة ذاك الشقى الفاسد ، فكان حظنا معه حظ قريبيه ، فلهذا السبب ، آلينا على أنفسنا أن نتركه وشأنه ، وأن نقاطعه ، ونبتعد عنه ، ابتعاد السليم من الأجرب ، لأنه يكون لنا نحن معشر التلاميذ سبّةً وعاراً

سمعت هذه الحكاية منهم ، فأكبرت شعور هؤلاء الطلبة النجباء ، وقلت · ياليت شعرى متى ترجع النفس عن غيها ، فلا تغرر بالنفوس الشريفة ، فتطوح بها إلى ميدان الرذيلة والفساد

ولله درّ الشاعر ·

لن ترجع النفس عن غيّها مالم يكن منها لها زاجر

إن مقاطعة أولئك الشبان الشرفاء ، المستقيمى السلوك ، لذلك الشاب ، له معنى شريف كبير ، لأن مصاحبة مثله ، يعتبر سيئة لهم ووصمة يوصمون بها ، وقرين السوء يشين سمعه قرنائه

وجدير بأن يحكم على هذا الشاب المغرور الفاسد الأخلاق ، السيئ السلوك ، بالموت الأدبى ، والطرد من جماعة مكارم الأخلاق ، فلا يصاحبه فاضل ، وتكون عاقبته الوبال ، والوقوع فى أسوء حال

حكايات وأمثال فى فضل القناعة

مثل من قناعة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه
وعدم قبوله أكل شىء ليس له ولا يعلم أصله

عن زيد بن أرقم قال · كان لأبى بكر غلام يغل عليه (أى يجوبه) فأتاه ليلة بطعام ، فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟

فقال : حملنى على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا ؟

قال مررت بقوم فى الجاهلية ، فرقيت لهم (أى صنعت لهم رقية)، فوعدونى ، فلما أن جاء اليوم ، مررت بهم ، فإذا عرس لهم ، فأعطونى

فقال أبو بكر : أف لكَ ! وكدت تهلكنى

فأدخل يده فى حلقه ، وجعل يتقيأ ، وجعلت لاتخرج

فقيل له · إن هذه لا تخرج الا بالماء

فدعا بعس « قدح كبير » فيه ماء فجعل يشرب به ، ويتقيأ ، حتى رمى بها

فقيل له يرحمك الله أكل هذا من أكل هذه اللقمة ؟

فقال : لَو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها

سمعنا رسول الله ﷺ يقول · « كل جسد نبت من سحت

فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت شئ من حسدى من هذه اللقمة

(محاسن الآثار ج ١)

فانظروا رحمكم الله الى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه لم يرض للقمة واحدة تدخل فى جوفه ؛ لأنها لم تكن له ، وأخرجها من بطنه ، لأنه كان حريصا على أكل الحلال ، وهذا منتهى القناعة وعدم النظر إلى ما فى أيدى الغير

مثال

من قناعة سيدنا عمر وورعه وزهده

كان من عادة سيدنا عمر ، إذا نزل بالقوم مجاعة ، ألَّا يأكل داخل بيته ، بل يأخذ طعامه ، ويشترك مع القوم ، الى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون معه

وقد قال فى حقه شاعر مصر حافظ بك ابراهيم

إن جاع فى شدة قوم شركتهم ... فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... فى الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته ... أو من يحاول للفاروق تشبيها ؟
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها ... من أين لى ثمن الحلوى فأشريها ؟
لا تمتطى شهوات النفس جامحة ... فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها

وهل يوفى بيت مال المسلمين بما توحى اليك إذا طاوعت موحيها

قالت : لك الله انى لست أرزؤه مالا لحاجة نفس كنت أبغيها

لكن أحب شيئا من وظيفتنا فى كل يوم على حال أسويها

حتى اذا ما ملكنا ما يكافئها شريتها ثم انى لا أثنيها

قال اذهبى واعلمى ان كنت جاهلة أن القناعة تغنى نفس كاسيها

وأقبلت بعد خمس وهى حاملة دريهمات لتقضى من تشتهيها

فقال نبهت منى غافلا فدعى هذى الدراهم لاحق لى فيها

ويلى على عمر يرضى بموفية على الكفاف وينهى مستزيديها

ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومى لبيت المال رديها

كذلك أخلاقه كانت وما عهدت بعد النبوة أخلاق تحاكيها

الزاهد القنوع

حكى أن رجلا زاهداً من أولياء الله ، لحقته الفاقة والحاجة ، فأخلقت ثيابه ، وتمزقت أهدابه ، فجلس الى جدار يرقع هدومه ، ويرتق فتوقه ، ويسد ثلومه ، ويقول فى نفسه : لئن بلغ منى التعب والجوع مبلغه وعزت على المضغة ، وبدد الفقر شمل اللباس ، فذلك أسهل لدى من بسط اليدين ، وأخف على من وطأة الدين .

فمرّ به أبناء السّبيل ، ورآه أحـدهم يخفى حاله بالانزواء فى أركان الجدران

فقال له : أيها الفقير ، كيف تبقى كذلك ؟ وفى هذا البلد الطيب محسن كريم الأخلاق ، وطاهر الأعراق ، وله على المعوزين أمثالك يد بيضاء ، تقودها الى فعل الخير شيم سمحاء ، فهو يسبغ على أهل الفاقة نعمته ، ويطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ، وينقذهم من الهوان ، ويشد أزرهم ، اذا أصابهم الضيم والحيف وأنه لو عرف حالك قتل فقرك ، وفرج أزمتك ، وستر عورتك وخفف عنك ويلتك ، لما عرفنا أنه يخذل فاضلا قعد به الزمان ، أو عالما لعبت به طوارئ الحدثان .

فقال الزاهد : اعلم ياأخى أن الزاهد يفضل أن يأوى الى جحر اليربوع ، وأن يموت من العرى والجوع ، على أن يستجدى ، وقد جاء فى الحكم أن ترقيع الثياب ، خير من سؤال الأصحاب ، وإحراق المرء بنار الوعيد سيداً ، أولى من أن يدخل الجنة عبداً

الوزير القنوع

حكى أن وزيرا عزل فانخرط فى سلك الدراويش ، فلما عاش فيهم ، وامتزجت نفسه بنفوسهم ، استل خيرهم ما كمن فى نفسه من الشرور التى تلصق برجال الدولة ، فعادت اليه القناعة بعد أن هجرته ، ووصلته

الفضيلة بعد أن عفا صفقته

وحدث أن السلطان عاد ، فرضي عنـه واستدعاه الى منصبه ، فأ
الوزير القنوع أن يعود الى متاعب الوزارة ، وفضـل الاعتزال ، :
السمر والمال ، واختار الوحدة فى التقشف ، على الاجتماع بالناس ، و
يقتضيه ذلك من التزين والتصرف ، وحسنت لديه حياة الزاهد
المتصوفين ، بقدر ماقبحت فى عينه عيشة الوزراء والسلاطين ؛ فلما أ
السلطان فى طلبه أجابه الوزير :

اعلم يامولاى ، أننى تركت وراء ظهرى حدائق أعنابا ، وكواعد
أترابا ، وخيلا مسومة ، وقناطير مقنطرة ، وعدة وعديد ، ومراكـ
وعبيدا ، وخرجت خروج الحيّـة من جحرها ، وبرزت بروز الطا
من وكره ، مؤثرا دينى على دنياى ، جامعاً يمناى الى يسراى لأنى
آثرت الفقر مع الحرية ، على الغنى فى المذلة ، ومن كان مثلى فقد عتق
رقبته ، واستل من قلبـه سخائم الضغن والحقد ، وأخرج سموم الغيظ
والحسد ، ودان بدين التساهل والتسامح ، وبذا نجوت من لوم اللائمين
وقطعت ألسنة القادحين

فأجابه الملك · لاريب أن الدولة محتاجة إلى حكيم مثلك ، طاهر
النفس ، قويم الخلق ، حسن السلوك ، ليدبّر شؤونها ، ويصلح مافسد
من أمورها

فقال الوزير : إنه من الحكمة التى تصفنى بها أن ابتعد بطهرى وعفتى عن شؤون الملك ، لئلا يعتريها الرجس ، ويشوبها الكدر

طالب الرزق بالحرص

ماذا يفيد ذا الغنى غناه ... ان لم يزِنْه الفضلُ فى دنياه ؟
فلا يجارى النفس فى مَطْمَعِها ... ويضع الأموال فى موضعها
بَرّا بنفسه وبالأوطان ... وبالفقير من بنى الانسان
هذا الذى يَعيش فى الحياة ... منشرحَ الصدر الى الممات
يقنعُ يستغنى يُلاقى حظاً ... ولم يَخَف لائمة ووعظا
أمّا الذى يعيش بالتقتير ... فعيشه بالذُّل والتحقير
مهما يبالغ فى طلاب الثروه ... فماله مما ينال حُظوه

(آداب العرب)

عظة الأحياء بالأموات

هى القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن فيها إلّا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

كم من ملك تحت التراب ، وكم عاهل طواه الثرى طىَّ السجل للكتاب ، وكلهم ذهب ولم يترك وراءه أثرا ، ولم يخلف بعده

ذكرا ولا خبرا ، إلاّ جسدا باليا ، وعظاما نخرة

أين كسرى ، وأين ملكه وسلطانه ؟ أين قصره وإيوانه ، أين حشمه وحوره وغلمانه ؟ أين مجده وثراؤه ؟ أين عماله ووزراؤه ؟

ألم يلحقهم الموت والخراب ؟ ألم يصبهم ما أصاب القرون الأولى من الدمار والتباب (الهلاك) ؟

فيا أصحاب الجدود المعزوزة ، والأردية المطروزة ، والدور المنجدة ، والقصور المشيدة ، إنكم لن تأمنوا حادثا ، ولن تعدموا وارثاً ، فبادروا الخير ما أمكن ، وأحسنوا الدهر ما أحسن

أطيب العيش القناعة

أصابت داود الطائي فاقة كبيرة ، فجاءه حماد بن أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، بأربعمائة درهم من تركة أبيه

وقال : هي من مال رجل لا أقدم عليه امرأ في زهده وورعه وطيب كسبه

فقال له داود : لو كنت أقبل من أحد شيئاً لقبلتها تعظيما للميت ، وإكراما للحي ، ولكني أحب أن أعيش في عز القناعة

حكيم يرفض خدمة السلطان

لقناعته

كان ابن أبى صادق الطبيب ، حسن الشمائل ، مهذب الأخلاق ، متقنا لأجزاء الحكمة ، دعاه السلطان الى خدمته

فأرسل اليه يقول : ان القنوع بما عنده ، لايصلح لخدمة السلطان ومن أكره على الخدمة لاينتفع بخدمته

من لايقنع بمملكة واحدة

لايقنع بالكون كله

لما عزم الملك (برهس) على محاربة الرومان ، تقدم اليه (سيبباس) الحكيم وقال له :

هب أنك حاربت الرومان ، وتغلبت عليهم ، فماذا تفعل بعد ذلك ؟

فقال أهجم على جزيرة صقلية وأفتحها

فقال سيبباس . ثم ماذا تفعل بعد فتح صقلية ؟

قال أعبر الى أفريقية وأفتح قرطجنة

فقال سيبباس ثم ماذا تفعل بعد فتح قرطجنة ؟

قال . أعيد الكرة على اليونان وأتغلب عليهم

فقال سيباس : ثم ماذا تفعل بعد ذلك ؟

فقال الملك : أقيم فى قصرى وأرتاح فيه

فقال سينباس ومن يمنعك الآن عن القيام فى قصرك والراحة فيه ؟

ثم قال · اعلم يامولاى ان من لاتقنعه مملكة واحدة لايقنع ولو ملك المسكونة كلها

فاقتنع الملك بكلامه وعدل عن محاربة الرومان . وهذا يؤيد قول الشاعر :

ليس كل مافى البسيطة كافيا وإذا اقتنعت فكل شيء كافِ

نصيب الانسان من الأرض

تصارع الملك فيلبس المكدونى مع أحد الصارعين ، فوقع على الأرض ، وكانت مفروشة بالرمل

فلما نهض ورأى أثره فيها قال :

إنى لأعجب ممن لا تكفيه الدنيا كلها وهو حى ، ونصيبه منها أشبار وهو ميت

لو كنت قنوعا لما طلبت شيئا

بنى أحد الأغنياء بيتا جميلا وكتب على بابه هذه الجملة :

« انني قد عاهدت نفسى بأن أهب هذا البيت لمن كانت له قناعة تامة »

فجاء اليه رجل وقال . إنى لم أكن قط فى حياتى غير قانع ، ولم تزل القناعة درسى وديدنى ، فان كان ما كتبته هنا حقاً يكون البيت لى شرعاً

فأجابه على الفور . ياصاحبى لو كنت قنوعا لما طلبت بيتى

لاخير في ملك يباع بشربة

قال ابن السماك الكوفى الزاهد المشهور للرشيد وقد دعا بحضرته بقدح ماء ليشربه

فقال له : ياأمير المؤمنين ، فلو منعت منك بكم كنت ترضى أن تبتاعها ؟

فقال الرشيد . بملكى كله

قال ابن السماك : ياأمير المؤمنين ، فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضى أن تفتدى نفسك ؟

قال بملكى كله

• قال ابن السماك : يا أمير المؤمنين لاخير فى ملك لا يساوى بولة ولا شربة

القناعة خير من متاعب المال

عاش فى زمن من الأزمان ، إسكافٌ قانع ، يعمل بياض نهاره فى مهنته ، مستعينا على متاعبها بالغناء ، وكان بجواره رجل غنى من أصحاب الملايين ، فاتفق أن قابله فى يوم من الأيام وسأله قائلا :

ماذا يُدِرُّ عليك عملك فى العام ياصديقى ؟

فأجابه الاسكاف ضاحكا تسألنى يا سيدى ماذا يُدِرُّ علىّ عملى فى العام ، ولست أجعل حسابى على هذه القاعدة ؛ لأنى أعيش من يدى لفمى ، وكل شمس تشرق تحمل لى معها رزق يومها ، وفى آخر العام أجد ايرادى على قدر نفقاتى

فقال له الغنى : حسناً ياصديقى ، وكم مبلغ رزقك فى اليوم إذاً ؟

فأجابه الاسكاف ان رزقى يختلف قلة وكثرة من يوم لآخر . وعلى أية حال فانى أدبر معيشة يومى على قدر ما أصيب فيه من الرزق

فقال له الغنى : إنى أريد أن أؤمنك مخاوف الفاقة ، وهذه مائة دينار فخذها وحافظ عليها لتنفق منها عند الحاجة

فدهش الاسكاف لهذه المفاجأة الغريبة اذ لم يتفق له مرة أن تجمع فى يده مثل هذا القدر الضخم

ولما اطمأنت نفسه الى أن هذه الثروة أصبحت ملكه ، ذهب فى الحال إلى منزله حيث طمرها فى أرضه ليكون آمنا عليها ؛ لكنه مع الأسف لم يدر أنه قبر معها سعادته وهناءه ، إذ أن الطمأنينة وهدوء البال اللذين لازماه فقيرا قد فارقاه غنيا ، فصار منقبض الصدر ، دائم القلق ، أذله الحرص واقضت مضجعه الوساوس ، ووصلت الأوهام بين ناظريه وبين المكان الذى أودعه تلك الثروة فلم يغمضا عنه طرفة

فلما ضاق بهذه المتاعب ذرعه ذهب الى جاره الغنى وقال له :

خذ مالك يا سيدى ، ورد إلىّ سعادتى وقناعتى ، فان الشقاء - فيما أرى - ملازم للثروة ؟

« التربية بالقصص »

الصحة كنز ثمين

سافر شاب قوى الجسم ، مملوء عافية وصحة ، فكان يطوى الفيافى والقفار ، وفى آخر النهار تعب ومال ليستريح فى إحدى الفنادق وتغدى مما حضر أمامه ، ولكنه كان يتذمر من فقره ، ويدعو الله أن يكون غنيا ، ليسافر إما فى مركبة ، أو راكبا جوادا ، وليأكل كل

مايشتهيه من أنواع الطعام

وبينما هو يفكر فى ذلك ، إذ أقبلت عربة بها رجل تلوح عليه سمات الغنى ، ولما وصل الفندق طلب مأكولات فاخرة فأكل وتلذذ وهو قاعد فى عربته وخدمه من حوله . فحسد الشاب الغنى على رفاهيته . فنظر اليه الغنى وناداه قائلا :

تعال أيها الشاب ، فأعطيك ان رضيت كل ما تملك يدى من متاع هذه الدنيا ، وأن تعطيني صحتك وقوتك

ثم أمر عبيده بحمله أمام الشاب فاذا هو مفلوج مقعد ، فى الحال تغيرت أفكار الشاب وقال له : أشكرك ياسيدى ، وأشكر الله على ماأنا فيه من الصحة والعافية ، وقد رضيت بحالتى ، وحقاً إن الصحة كنز ثمين ، والقناعة كنز لايفنى

حكايات وأمثال فى ذم الطمع

الطمع سبب الحرمان

يحكى : أنه لما اشتدت المجاعة فى بلاد مصر ، أيام عبد اللطيف البغدادى ، كان فيها رجل غنىّ احتكر القمح فى المخازن ، حتى يعلو سعره ، فلما اشتد الغلاء ، ونفدت الحنطة من البلاد ، وبلغ ثمنها مبلغا فاحشا ، فتح مخازنه ، وفى ظنه أنه صار أغنى أهل الأرض ، فوجد أن السوس قد أكل القمح كله ، ولم يبق منه إلا النخالة ، فكان طمعه ، سبب حرمانه ، وسوء حاله

نتيجة الطمع

يروى أن رجلا فرنسيا اسمه (فوسكو) جمع ثروة عظيمة فقاده حرصه وطمعه أن حفر لها بئرا عميقة تحت منزله ، وصنع للبئر باباً اذا أغلق انقفل من نفسه ، حتى يأمن نسيانه مفتوحاً وفى أحد الأيام نزل الى البئر ليتفقد أمواله وبيده شمعة فانغلق الباب وراءه من نفسه ، فأخذ ينادى ويستغيث ، ولا سامع ولا مغيث

ولا يعلم أحد شيئاً من أمره ولا من أمر البئر

ولما انقطع الرجاء من وجوده ، اشترى البيت رجل آخر ، وعزم

على أن يغيّر بناءه فعثر على البئر المذكورة ؛ ولما فتحها وجد فيها خزائن من الأموال التى لاعدد لها ، ووجد جثة صاحبها (فوسكو) وكان قد أكل الشمعة وأكل اللحم من ذراعه ، ثم مات جوعا وخنقاً ضحية طمعه وحرصه

عقاب الشره وعلاجه

حكى أنه كان لبعض الناس غلام مشهور بالشره ، وأنه كان يراقب غفلات أهله وينكب على الأطعمة ليقضى منها شهوته ، فاستيقظ أبواه لأمره ، وأخذا يرقبانه، وأرادا أن يصلحاه من علته ، فالتجأ إلى حيلة لطيفة وهى : أنهما أعدّا فى ليلة فطيرة بالعسل ، وأمرا الخادم أن يضعها في الخزانة بمرأى من الغلام ثم راقباه عملة منه ، وأبدلا الفطيرة بمثلها من الورق المقوى ؛ فى اليوم التانى عند ما آن وقت الفطور اختبأ فى مكان قريب ليبصراه منه ولا يراهما ، فأتى الغلام وهو يمشى على أطراف أصابعه ، ويلتفت يميناً وشمالا ، ثم فتح الخزانة ، فوقع نظره على الفطيرة عن بعد وهى مغطاة وقلبه يرقص طربا ، وقد سال لعاب الشره فى فمه ، ورفع الغطاء ، ومدّ اليها يده ، فأحس أنها جامدة فتأملها فوجدها ورقاً مدهونا بالعسل ، مكتوبا عليها : « هكذا يقع الشره الممنوع ، فى الفخ المصنوع » فاحمرّ وجه الغلام خجلا ، وارتبك فى

أمره ، وارتعشت مفاصله ، ووقع فى حيص بيص ، وبينما هو كذلك إذ سمع قهقهة عاليـة ، ورأى أباه وأمه واخوته قد دخلوا عليـه بغتة ووراءهم الخدم يضحكون من أمره ويهزءون من عمله ، فلم يعد الغلام يملك نفسه من البكاء والعويل ، وكاد أن يغشى عليه ، لولا أن أمسكه أبوه وسكن روعه ، فوقع الغـلام على قدميه يسأله العفو والسماح عن زلته ، ووعده أنه لا يعود إلى مثل مافعل ، فرضى أبوه عنه واستقام الغلام بعد ذلك ، ونال رضا الأهل والإخوان

جزاء الفلاح الجشع

كان لفلاح فقير حقل صغير يزرع فيه اللفت ، وكان ذلك الفلاح مجتهدا لايمل من العمل فى خدمة أرضه ، حتى أتى زرعه بحاصـل جيد يناسب عمله ، ووجد من بينه لفتة كبيرة لم يَرَ مثلها من قبل ، ففـكر فى أن يهديها لحاكم القرية ؛ فلمـا قدمها اليه قبلها مسروراً من اجتهاده وكافأه بجنيهين تشجيعا له على العمل

فسمع بذلك فلاح غنى جشع فى القرية نفسها ، فحسد الفقير على ماناله من العطاء وقال فى نفسه : اذا قدمت الى الحاكم أحسن نعاجى فلا بد أن يجزل لى العطاء عليها . فأربح أكثر من ثمنها أضعافا ؛ فجاء بها الى الحاكم ورجا منـه أن يقبل الهدية ، فأبى الحاكم لما يعلم فى الرجل من

الأثرة والطمع ، فألحّ عليه الرّجل ورجا منه أن يقبلها

فقال الحاكم : مادمت تُلح عليّ بقبول هديتك ، فأنا أقبلها على أن أعطيك شيئاً أنفقت فيه ضعف نفحتك ، فأبرقت عينا الرجل فرحاً بهذا الكلام اللطيف ، وظن أن الهدية تعوضه أكثر مما أنفق

ثم أهداه الحاكم اللفتة فانقلب وجهه ترحاً ، وأخذها وانصرف نادماً على خسارة نفحته « القراءة الرشيدة »

حكمة فى الدواء الشافى من الطمع

قال بعض الأبدال : مررت ببلاد الغرب على طبيب والمرضى بين يديه وهو يصف لهم علاجهم ، فتقدمت اليه وقلت : عالج مرضى يرحمك الله ، فتأمل فى وجهى ساعة ثم قال : خذ عروق الفقر ، وورق الصبر ، مع أزهار التواضع ، واجمع الكل فى إناء اليقين ، وصب عليه ماء الحياة ، وأوقد تحته نار الحزن ، ثم صفّه بمصفاه المراقبة فى جام الرضا ، وامزجه بشراب التوكل ، وتناوله بكف الصدق ، واشربه بكأس الاستغفار ، وتمضمض بعده بماء الورع ، واحفظ نفسك من الحرص والطمع ، فتشفى باذن الله تعالى

وصف جامع المال

جَمَعَ المـال كـادح   من جميع الموارد
وقصى العمر كُلّه   فى عَنـاء المجاهد
بين سعى لرزقـه   ودفاع لحاسـد
نال بعد العَنَا الغِنى   وتَمـامَ المقاصد
ماله غـيرَ أنه   لم يعش عيشَ راشـد
حبس المـال حاسبا   أنه غـير بائد
حيثُ جارت مَبَرّة   جارها لم يُساعد
ظَلّ فى بُخـله الى   أن مضى غـير عائد
وَهِمَ العمر خالدا   ليس شىء بخـالد
مات عن كل ماقتنى   من طريف وتالد
وبه النـاس مُتعت   من مُريبٍ وصائد
أنِعمى أمّ خالد   (ربّ ساعٍ لقاعد)

(آداب العرب)

وصف محب المال

مِنَ الريفِ فــلّاح تطلع للغنى	وبات له حبُّ المكاسب ديدنا
وكان له طين خَصيبٌ فرام أن	يزيد به أرباحــه مُتفننا
فقال أرى كلَّ المكاسب فى الرِّبا	به ينسى وافرُ الرزق هَيِّنا
فأوقرَ بالرهن الُمقسَّط أرضَــه	واقرض بعض المال بالكسب مُوقِنا
وأخفى الذى أبقاه فى الدّار راجياً	مزيدَ مُراباة به ان تمكنا
فأما مُدينوه ففاروا بماله	ولم يكُ منهم واحــد ليؤتَمنا
وأمّا الذى أبقــاه منه خبيئة	فأدركه لص وعمّاه مَوْهِنــا
فبات بلا مال وغَال حرامــه	مُحَلّلَه واعتاض بؤسا من الُمنى
بلوغ المنى ألّا تكاثر بالمنى	ونيلُ الغنى ألّا تفكّر فى الغنى
ومن كان للدنيا أشَــدَّ تصوُّنا	تجده عن الدُّنيا أشــدَّ تصوُّنا

آداب العرب

العمدة والمضارب

مِنَ الرِّيف فى إحدى المدائن عُمدَة	تَظاهر بين النَّاس بالكسب والغُنم
فصار يبيع الطينَ آنا ويشترى	سِواهُ بلا رَأى سديد ولا فَهم
يُسـدد من هذا لهــذا دُيونه	بغير تروّ فى الحساب ولا علم
إلى أن مضى عامٌ وأقبـل غيره	وزاد عليه الدين من قلة الحزم

فما قام بالدين الذى حلّ قِسطه ... وباع جميع الطّين فى الحال بالرغم
فما بال ما كانت عليه جُدوده ... وما زاد إلا النقص فى الجاه والاسم
وأيقن أن الدهر يهدم صرفه ... بِنَاء لمن يغتر فى الدّهر بالوهم
وإن وفاء الدين بالدين لم يكن ... وفاء ولكن كان عرما على غرم

(آداب العرب)

الجاهل المثرى

يضع النقود الجاهل المثرى ... فى غير موضعها ولا يدرى
فيَضَنّ فى الحاجات عن سَعَةٍ ... ويفيض للغايات عن بحْر
هذا هو المغرور تُبصرُهُ ... خَلْفَ الغرور مُؤملاً يَجرى
يَهوى من الدنيا الظهورَ بها ... فَيزيدُ فى التبذير للفخر
والجود ليس نافع أبدا ... إن لم يكن فى مورد البِرّ
شرّ المواهب ما تجود به ... فى غير محمدة ولا أجر

لاعب الميسر

حكاية الوارثِ للأموال ... نادرةٌ صارت مع الأمثال
قد كان يقضى الليل والنهار ... كِلَيْهما فى لعبة القِمار
وكان لا يلعب إلاّ بالذهب ... غير مبال إن تَبَقّى أو ذَهب

ولم يزل يُسلبُ منه المال   حتى انتهى وساء منه الحال
وبات بعد العز فى المَذلَّه   وبعد صحة أليفَ علَّه
قد كان يُدعى بعظيم الفضل   فصار يُدعى بثقيل الظل
هذا جزاء الطيش فى الشباب   والطيشُ لا يهدى الى الصواب
ومن أباح النفس ماتهواه   فإنما معبوده هواه
تلقى الفتى الأهواء فى العناء   وربما أفضت الى البلاء
(إنّ الشباب والفراغ والجِدَة   مفسدة للمرء أىُّ مفسده)

(آداب العرب)

مات فريسة طمعه

من غريب مايحكى عن الطماعين أن سفينة كبيرة ضربت فى الصخور بقرب « بلاد برازيل » وكان فيها صناديق مملوءة (بالريالات الاسبانية) فأخرج النوتيه بعضها الى ظهر السفينه أملا فى صلاحها ولـكنهم لما رأوا ان السفينة أخذت فى الغرق تركوها وأسرعوا الى القوارب ، وقبل أن تسير بهم القوارب التفت ربان السفينة فرأى واحدا من النوتية حاملا فأسا وقد عالج به صندوقا حتى فتحه وجعل يملأ جيوبه بالريالات فناداه : هلم الى القارب والا تركناك ؟

فقال : اتركونى فقد عشت فقيرا طول حياتى ومرادى أن أموت

عنيًا فما تم كلامه حتى عرقت به السفينة فمات فريسة طمعه

رب أكلة تمنع أكلات

هذا مثل يضرب فى الطمع والجشع ومعناه رب أكله هاضته فمنعت صاحبها من التلذذ بغيرها

وقال ابن هرمة فى هذا المعنى

ربّ أكلة منعت أخاها · بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يشقى لشىء · وفيه هلاكه لو كان يدرى

يحكى أن بعضهم دعى إلى وليمة ، فلما جلس على المائدة ، صار يأكل بشراهة وجشع ، حتى ملأ جوفه ، والناس حوله ينظرون اليه نظرة انتقاد واحتقار ، وهو لا يلتفت اليهم ، ولا يحسب لهم حسابا

ولما دخل الى مضجعه أصيب بحمى شديدة ألزمته الفراش مدة اسبوعين وكانت القاضية عليه ، فمات ضحية شراهته وطمعه

أطمع من أشعب

أشعب الطمَّاع هو رجل من أهل المدينة ، وهو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكنيته أبو العَلاء

سأل أبو البراء أبا عبيدة عن طمعه فقال :

اجتمع عليه يوما غلمان المدينة يعاتبونه ، وكان مزاحاً طريفاً مغنيا ، فآذوه فقال لهم : إن فى دار بنى فلان عرسا فانطلقوا اليه فهو أنفع لكم فانطلقوا وتركوه

فلما مضوا قال : لعل الذى قلت من ذلك حق ، فمضى فى أثرهم نحو الموضع فلم يجد شيئا ، وظفر به الغلمان هناك فآذوه

وقال له سالم بن عبد الله : مابلغ من طمعك ياأشعب ؟

قال : مانظرت قط الى اثنين فى جنازة يتساران إلا قدرت أن الميت قد أوصى لى من ماله شىء ، وما أدخل أحد يده فى كمه إلا أظنه يعطينى شيئا

وقيل له : مابلغ من طمعك ؟

فقال للقائل له : لم تقل هذا إلا وفى نفسك خير تصنعه بى

وقيل : انه لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وصيه أو وارثه ، وقال له : احلف أنه لم يوص لى بشىء قبل موته

ووقف على رجل يعمل طبقا من الخيزران فقال له :

وَسِّعه قليلاَ قال الخيزرانى : كأنك تريد أن تشتريه ؟

قال : لا ؛ ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدى الىّ فيه شيئا

وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ،

قال : أرى دخان جارى فأثرد عليه (أى أفت الخبز عليه)

وقيل له أيضا . مابلغ من طمعك ؟

قال : مارأيت عروسا بالمدينة تزف إلاّ كنست بيتى ورششته طمعا أن تزف الىّ

الرجل الأكول

قيل . نزل رجل من الأكالين بصومعة راهب ، فقدم له أرغفة وذهب ليحضر له عدسا ، فحمله وجاء به ، فوجده أكل الخبز ، فذهب وأتى اليه بالخبز ، فوجده أكل العدس ، ففعل ذلك معه عشر مرات ، فسأله الراهب أين مقصدك ؟

فقال الى الرى

فقال له لماذا قصدته ؟

قال . بلغنى أن بها طبيبا حاذقاً أسأله عما يصلح معدتى ، فإنى قليل الاشتهاء الى الطعام

فقال له الراهب ان لى اليك حاجة

قال . وما هى ؟

قال : إذا ذهبت وصلحت معدتك ، فلا تجعل رجوعك الىّ ثانيا

الطفيلى وما جرى له

بلغ المأمون أن عشرة من أكابر البصرة يسعون فى زرع الفتن بين أهاليها ، فقبض عليهم فى صبح ذات يوم ، وسيقوا الى ضفة نهر العرب ليقلع بهم الى بغداد ، فرآهم طفيلى هنالك فلم يظن إلاّ أنهم اجتمعوا لنزهة آخرتها وليمة فاخرة ، فاختلط بهم ، ودخل الزورق معهم ، فلم يشعر إلاّ بتقييدهم وتقييده أيضا فعلم حينئذ أنه وقع فى ورطة ، ورام أن يحتال للخلاص ، فلم يمكنه ، وسار بهم الزورق حتى وقف بميناء بغداد وأدخلوا على الخليفة ، وجعل يستدعيهم بأسمائهم واحدا فواحدا ، ويسألهم ويذكرهم أفعالهم وأقوالهم ، ويسمع أجوبتهم ؛ حتى تحقق جنايتهم ، فأمر بضرب أعناقهم فى الحال

فبعد ضرب العشرة ، بقى الطفيلى واقفاً فقال المأمون للوكيل · ومن هذا ؟

قال لاعلم لى بحاله ، غير أنى رأيته معهم فى الزورق فجئت به

فقال الطفيلى · والله ياأمير المؤمنين إنى برىء منهم ، ولا أعلم من أمرهم شيئا ، وإنما نظرتهم مجتمعين فظننت أنهم يذهبون الى وليمة فلحقت بهم .

فضحك المأمون وقال · لقد سلم هذا الجاهل من القتل ، ولكنه يؤدب لئلا يعود إلى مثل هذا الفعل المذموم (بحر الآداب)

الطبيب والملك

كل قليلاً تعش طويلاً وتسلم   من عوادى الأسقام والأدواء
انما يغتذى الكريم ليبقى   وبقاء السفيه للاغتذاء

ورد فى الآثار عن (أردشير بابكان) أنه سأل طبيبا عربيا خبيرا بالعقاقير وتركيبها والأمراض وأعراضها عن قدر ما يكفيه من الطعام

فقال الطبيب ، إن مائة درهم تسد الرمق ، وتحدد القوى ، وتعيد الى البدن نشاطه

فقال الملك وأى رمق تسد تلك الدراهم المعدودة ، وهى لا تشبع من سغب ولا تسمن من جوع ؟

فقال الطبيب : إن هذا القدر يكفى القنوع ، ويحفظ كيان الجسد ، وأما ما زاد عنه فمحملة العناء ، ومدعاة العلل والأدواء

واعلم أيها الملك ، أن المرء اذا وقف عمره على الموائد المتعة والمآكل الشهية هلك

سوء عاقبة الشراهة والطمع

لما كان الحرّ شديدا ذات يوم من أيام الصيف الماضى ، مضى أحد الأولاد الى البرية ، وسار مسرعا ، حتى احترق حذاه وكاد يموت عطشا ؛ فوصل الى عين ماء جارية تحت ظل شجرة عظيمة ، يتفجر ماؤها

صخرة ، ويسيل صافيا متلألئا كخيط من الفضة ؛ فأخذ الولد يشرب منه بشراهة ؛

ولكن مع الأسف ، حالما شرب منه وقع مغشياً عليه ، وعاد الى والديه مريضا ومصابا بحمى شديدة خطرة

وكان يقول متوجعاً على سريره · أواه ! من الذى يا ترى وضع لى سما فى هذا الماء ؟

فسمعه أبوه وقال له : ليس الماء علة مرضك ، لأنه طاهر نقى ؛ بل سبب مرضك شراهتك وقلة فطنتك وهذا عاقبة الشراهة والطمع فى كل شئ ، فتنبه الولد وعرف السرّ فى مرضه ، واتبع نصيحة والده ، وتأكد من قول الشاعر

يامن يؤمل نيلا من فتى شرهٍ　　يعده عارفوه من ذوى البطنه
لا ترج الخير ممن عند معدته　　يضيع العقل والادراك والفطنه

طالب الكنوز بغير الندم والحسرة لا يفوز

أتى رجل مغربى ، عند غروب الشمس ، لابس زياً غريباً ، حاملا كتاباً كبيرا تحت إبطه ، وبيده عصا بيضاء غليظة ، وتقدم أمام فلاح بسيط وقال له ·

جئت اليك لأبوح لك بسرّ مهمٍ فيه فائدتك ومصلحتك ، وهو ·

أنه يوجد فى حقلك كنز مدفون فيه كمية وافرة من قطع الذهب والفضة . فإن قبلت أن تعطيني عشرها ، لا أتأخر عن البحث والتنقيب عن هذا الكنز حتى تصير غنياً من أصحاب الملايين

فقابل الفلاح هذا الخبر بكل سرور وارتياح ، وقبل منه هذا الشرط آملا أن يكون غنيا فى أقرب وقت

فلما انتصف الليل ذهبا الى الحقل ، ومعهما مجرفتان وعجلة صغيرة ، فحفرا حفرة كبيرة عميقة وهما فى هدوء وسكون ، فلقيا صندوقا كبيرا وثقيلا ؛ كان وضعه هذا الرجل فى هذه الحفرة وحملاه على العجلة الى بيت الفلاح بكل سهولة ، وهناك أخذ ذلك الرجل الدجال يفحص الصندوق من جوانبه ، ويمسه بعصاه تارة من ناحية ، وتارة من أخرى ، وهو يقرأ فى كتابه جملا غير مفهومة ، ويشير باشارات سحرية ، وكان يهز رأسه بوجه مكفهر عبوس .

وأخيرا قال : قبل فتح هذا الصندوق يجب أن تستعمل بعض الأدوية السرية لفك السحر والطلاسم ، ولا توجد هذه الأدوية عند أحد فى العالم الا عند صيدلانى (أجزجى) قاطن فى محل بعيد عن هذا المكان بأربعين كيلو مترا ؛ ولكنه لايعطيها بأقل من عشرة جنيهات

وكان الفلاح يومئذ عنده هذا المبلغ ثمن فرس باعه من قبل بيومين ؛

فدفعها للساحر المكّار فأخذها منه ، وسافر فى تلك الليلة ، ولم يعد بعد ذلك

فانتظر الفلاح رجوعه زمنا طويلاً ، ولما يئس من حضوره اضطر أن يكسر الصندوق ، ولما فتحه لم يجد به لا ذهبا ولا فضة ؛ بل وجده مملوءاً بالحصى الذى أخذه من الساقية التى بالحقل ، وعليه ورقه صغيرة مكتوب فيها

طالب الكنوز ، بغير الندم والحسرة لا يفوز

خسر الفلاح ماله ، وساء حاله ، وأحدثته الحسرة والندم ، ولا ينفع الندم بعد العدم

الخبز أنفع للانسان من الكنز

قصد أحد السواح السفر فى الصحراء فتاه فى قفر من القفار المرملة من غير أن يصادف مسكنا للاستراحة فيه ، فلما أوشك أن يهلك جوعا وعطشا ، وجد نخلة تجرى تحت ظلها عين ماء بارد ، فاستراح بجانبها ، ووجد بالقرب منها كيسا صغيرا ، فلما حسّه صاح قائلا :

تبارك الله ، لعلّ هذا تمر يدفع عنى ألم الجوع ، ولكن لما فتح الكيس ، وجد به لؤلؤاً فتألم وتوجع ، وقال : ان الخبز الذى نقتات به أثمن من هذا اللؤلؤ

فهذا السائح المسكين كاد يموت جوعا فى جانب هـذه اللآلى التى تساوى ألوفا من الريالات ، وبينما هو يتضرع الى الله إذ ظهر له فى الحال رجل مغربى راكب جملا ، فدنا منه بسرعة ، وقال له : ياسيدى هذا الـكيس ملـكى ، وقد تركته هنا قبل سفرى

فسر السائح بوجوده وسلمه اياه ، فشكره على أمانته ، وأعطاه خبزاً وأثمارا لذيذة ، ثم أركبه معه على جمـله ، وقاده الى غاية سفره ، وقال له المغربى :

انظر ياسـيدى ، ماأعجب طرق العناية الآلهية : إننى كنت أعتبر فقدان لآلئى رزية كبيرة ، ولـكن ما أسعدنى اليوم ! حيث أراد الله أن أرجع على عقبى وأصل الى هنا لأنقذ حياتك ، وهذه سعادة ما كنت أحلم بها ، فشكراً لله على ذلك

ويل لطلاب الدنيا

كان فى زمن سيدنا عيسى عليه السـلام ثلاثة سائرين فوجدوا كنزا فقالوا : قد جعنا فليمض واحد منا فليبتع لنا طعاما ، فمضى واحد ليأتيهم بطعام فقال : الصواب أن أجعل لهما فى الطعام سما قاتلا ليأكلاه فيموتا وأنفرد أنا بالـكنز دونهما ، ففعل ذلك ، وسم الطعام واتفق الرجلان الآخران أنهما اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالـكنز دونه

فلما وصل اليهما بالطعام المسموم قتلاه وأكلا من الطعام فماتا. فاجتاز عيسى عليه السلام بذلك المكان، فقال للحواريين: هذه الدنيا، فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم، ويل لطلاب الدنيا من الدنيا

(التبر المسبوك)

قيمة الدنيا في نظر الأنبياء والصالحين

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوما: يا أبا هريرة تريد أن أريك الدنيا؟

فقلت نعم

فأخذ بيدي وانطلق حتى وقف بي على مزبلة فيها رءوس الآدميين ملقاة، وبقايا عظام نخرة، وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الآدميين

فقال: يا أبا هريرة، هذه رءوس الناس التي تراها، كانت مثل رءوسكم كانت مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا، وكانوا يرجون من طول الأعمار ما ترجون، وكانوا يجدّون في جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدون، فاليوم ثوت عظامهم، وتلاشت أجسامهم كما ترى، وهذه الخرق كانت أثوابهم التي كانوا يتزينون بها عند التجمل وقت الرعونة والتجمل والتزين، فاليوم قد ألقتها الريح في النجاسات، وهذه عظام

دوابهم التي كانوا يطوفون أقطار الأرض على ظهورها ؛ وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون في تحصيلها ينهبها بعضهم من بعض قد ألقيت عنهم بهذه الفضيحة التي لا يقربها أحد من نتنها

حكايات وأمثال فى ذم الحسد

سيدنا يوسف عليه السلام

وحسد إخوته له

كان لسيدنا يوسف أحد عشر أخا لأبيه ، وكان والده سيدنا يعقوب يحبه أكثر منهم ، ولا يقدر على مفارقته

فلما اشتعلت نار الحسد فى قلوبهم ، وأحدثتهم الغيرة منه ، فكّروا فى أن يبعدوا سيدنا يوسف عن أبيه حتى يستأثروا بمحبته ، فاتفقوا على أن يرموه فى البئر فذهبوا الى أبيهم وقالوا له ·

« يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون »

فأرسله معهم ولم يدر سوء نيتهم نحوه

ولما بعدوا عن البلد ألقوه فى البئر ولطخوا قميصه دماً ورجعوا الى أبيهم يبكون ويقولون : أكله الذئب وبكى أبوهم حتى ابيضت عيناه من الحزن ، ثم مرّ جماعة فأرسلوا احدهم ليحضر لهم الماء ، فأدلى دلوه فى تلك البئر ، فتعلق بها سيدنا يوسف ، فأخرجه وأحضره الى من معه ، ففرحوا به وباعوه لوزير ملك مصر ، فأكرمه واتخذه ولداً ، ثم ان الله سبحانه وتعالى علّم سيدنا يوسف تفسير الاحلام ، فكان اذا فسّر رؤيا لشخص تحصل كما قال

فلما رأى ملك مصر رؤيا خاف منها ، وعرضها على العلماء ، فلم يعرفوا تفسيرها ؛ ولما عرضت على سيدنا يوسف فسرها تفسيرا سرّ الملك فسأله عن حاله

فعلم أنه أمين صادق ، حسن المعاملة ، قوى الفكر ، فاتخذه وزيراً له فى مصر وفرح الناس به ، ويسّر الله لهم الأرزاق فى زمنه ، فارتقى شأنه عندهم

ثم جمع الله بأبويه واخوته فى مصر ، فرأوه فى هذه المنزلة الرفيعة ، وفرحوا فرحا شديدا ، واعترف اخوته بخطئهم ، واعتذروا له ولأبيهم ، وطلبوا منهما الصفح والمغفرة ، فغفرا لهم وسامحاهم ، وعاشوا جميعا فى صفاء وهناء ، عليهم الصلاة والسلام

المرأة الحسود

قيل ان امرأة كانت فى المدينة شديدة الاصابة بالعين لاتنظر الى شئ إلاّ دمرته ، فدخلت على أشعب تعوده ، وهو محتضر يكلم ابنته بصوت ضعيف ويقول يابنت اذا متّ فلا تنوحى على ، وتندبنى ، والناس يسمعونك تقولين وا أبتاه ! أندبك للصلاة والصيام ، والفقه والقرآن فيكذبونك ، ويلعنونى ثم التفت أشعب ، فرأى المرأة ، فغطى وجهه بكمه وقال لها : يا فلانة سألتك بالله العظيم إن كنت استحسنت

شيئا مما أنا فيه فصلى على النبى وآله

فقالت : سخنت عينك ، وفى أى شئ أنت حتى أستحسنه ؛ إنما أنت فى آخر رمق من الحياة

فقال أشعب قد علمت ذلك ؛ ولكن قلت قد تكونين استحسنت خفة الموت علىّ ، وسهولة النزع فيشتد ما أنا فيه

فخرجت من عنده وهى تشتمه ، فضحك من كان حوله حتى أولاده ونساؤه ، ثم مات رحمه الله تعالى

سوء عاقبة الحسد

قيل إن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقرّبه وأدناه ، وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير كثير الحسد فغار من البدوى وحسده ، وقال فى نفسه لا بد من مكيدة لهذا البدوى ، فانه قد أخذ بقلب أمير المؤمنين ، وأبعدنى منه ، فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله ، وصنع له طعاما وأكثر فيه من الثوم ، فلما أكل البدوى قال له احذر أن تقرب من الأمير ، فيشم منك رائحة الثوم ، ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به ، وقال : إن البدوى يقول عنك للناس ، ان أمير المؤمنين أبخر ، فلما أتى البدوى طلبه المعتصم ، فلما قرب منه جعل كمه على فمه مخافة أن يشم

الأمير منه رائحة الثوم ، فلما رآه أمير المؤمنين ، وهو يستر فمه بكمه قال : إن الذى قاله الوزير عن البدوى صحيح ، فكتب المعتصم كتابا الى بعض عماله يقول فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله

ثم دعا البدوى ودفع اليه الكتاب ، وقال له : امض به الى فلان ، وجئ سريعا بالجواب ، فامتثل البدوى ما رسم به المعتصم ، وأخذ الكتاب وخرج به من عنده ، فبيما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال له : أين تريد ؟ قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان ، فقال الوزير فى نفسه : إن هذا البدوى ينال من التقليد مالاً جزيلا . فقال له ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك الفى دينار ؟

فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ، ومهما رأيته من الرأى أفعل . فقال . هات الكتاب ، فدفعه اليه وأعطاه الوزير ألفى دينار ، فركب الوزير ، فسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب عنقه

وبعد أيام تذكر الخليفة أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ماظهر ، وأن البدوى بالمدينة مقيم ، فتعجب المعتصم من ذلك .

وأمر باحضار البدوى وسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير

فقال المعتصم : قاتل الله الحسد ، بدأ بصاحبه فقتله ، ثم خلع على البدوى خلعة واتخذه مكانه وزيراً



فكاهة

قدم صياد سمكة الى أحد الملوك فأنعم عليه بأربعة آلاف درهم فأخذها وخرج ، فاغتاظت الملكة ودبت فيها روح الحقد والحسد

وقالت له : ماهذا أيها الملك ؟ أتعطى ثمن سمكة ، لاتساوى أكثر من درهم ، أربعة آلاف درهم ؟ هذا مما يجعل رعاياك تستخف بك

قال فكيف العمل اذ لايمكن للملك أن يرجع فى هبته ؟

قالت : يوجد عندى طريقة حسنة تتخلص بها وهى ، أن تحضر الصياد وتسأله عن جنس السمكة فان قال ذكر فقل ، أنا طالب أنثى وإن عكس ، فاعكس

فأمر باحضار الصياد ، فلما مثل بين يديه قال

قل لى يارجل ، سمكتك ذكر أم أنثى ؟

قال : ليعش مولاى الملك ، ان سمكتى لاذكر ولا أنثى ، بل خنثى

فأعجب الملك وقال للملكة : يجب أن تدفعى له أربعة آلاف

درهم أخرى ، فأخذها الصّياد وانصرف مسرورا بما أنعم الله به عليه

الحسد يذهب بالبركة

إن أميرا من الأمراء خرج فى بلاده متنكرا ، فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات ، فتعجب من ذلك ، وحدثته نفسه بأخذها ، فلما كان من الغد حلبت النصف مما حلبت بالأمس

فقال الأمير : مابال البقرة حلبها نقص ؟ أرعت فى غير مرعاها بالأمس ؟

قال الرجل : لا ياسيدى ، ولكن أظن أن أميرا رآها ، أو وصله خبرها ، فهمّ بأخذها ، فنقص لبنها ، فإن الأمير اذا ظلم أو همّ بالظلم ذهبت البركة

فتاب الأمير ، وعاهد ربّهُ أن لا يأخذ البقرة ، ولا يحسد أحداً من الرعية ، فلما كان الغد حلبت مثل عادتها

الحسود لا يسود

كريستوف كولومب وحسّاده

حكى أن كريستوف كولومب بعد اكتشافه أميركا وعودته لاسبانيا احتفل به الشعب على اختلاف الطبقات ، ولم يمسك ذلك الاحتفاء

ألسنة الحساد للكابرين ؛ بل انطلقت ألسنتهم بالتنديد والتعريض ، والسخرية والتسفيه ، فنمى اليه الخبر فلم يحفل به ، بل دعاهم الى وليمة وآتى كل واحد منهم طبقاً وبيضة وقال : الحاذق منكم من يجعل بيضته تقف على طرفها ؟

فحاول كل منهم ساعة من الزمن ، فلما أعجزتهم أخذ هو واحدة وضربها بقوة سريعة فانكسر طرفها فاستقامت

فصاح الكل إذا كان الأمر كذلك فهو هين

فقال : ولكن سبقت الىّ الفكرة قبل أن ترد على بال أحدكم ، والفضل للمتقدم ، وهكذا كان استكشافى لأميركا

ربّ ضرة نافعة

غرس بستانى حول مسكنه كثيرا من عقل الكرم (العنب) التى أصبحت أغصانها وأوراقها تظلل البيت كله وتحمل أثماراً لذيذة ، فهيجت هذه الأغصان حسد أحد جيرانه

فأتى فى ليلة مدلهمة ، وقطع كثيراً من فروعها المدلاة خارج المنزل

فلما رأى البستانى فى الغد أن كرمه مقطوع هكذا تكدر واغتم جدا ؛ لأنه فى ذلك الزمان كان يجهل أن تقليم الكرم متمر — فأخذ يبكى على ما أصابه ولكن لحسن حظه حملت تلك الأغصان فى تلك

السنة عنبا أجود وأكثر من السنين الماضية ، فسر البستانى من هذه النتيجة الغير منتظرة ، وفكر جيدا من وقتها فى أن يقلّم كرمه فى كل سنة ليزيده خصبا وثمرا ، وتحقق له المثل السائر : ربّ ضرة نافعة وان الضرر الذى يفعله سا عدونا يصير غالبا مفيدا لنا

جزاء الحاسد

(سعى الى حتفه بظلفه)

حكى ان بكر بن عبد الله المزنى قال ان رجلا كان يقف على رأس بعض الملوك ويقول أحسن الى المحسن باحسانه والمسىء ستكفيه مساءته ، وكان الملك يحسن اليه

فحسده رجل من أصحابه على مقامه ، وتمنى أن يكون مكانه فى مقاله ، فبغى عليه الى الملك أشد البغى ، وسعى فى حتفه (أى فى هلاكه) أبلغ السعى حتى تغير عليه الملك

وكان الملك لا يكتب بخط يده إلاّ فى صلة أو جائزة ، فكتب بخطه الى بعض عماله لشدة حنقه (اذا وصلك كتابى هذا ، فاذبح حامله واسلخه واحش جلده تبنا ، وابعث به الىّ) ودفعه الى ذلك القائم على رأسه ، فأخذه وخرج به، فلقيه الساعى عليه فقال له : ماهذا ؟ قال خط يد

الملك الى عامله فلان ، فقال له: هبه لى بفضلك ، وأحينى به ، فانى محتاج اليه ، وأنت غنى عنه ، فرق له ودفعه اليه ، فأخذه وذهب به فرحا مسرورا حتى وصل الى العامل ، فلما قرأه العامل قال : أتعرف مافى كتابك ؟ قال · صلة الأمير المعلومة من خط يده . فقال العامل · بل أمرنى فيه أن أذبحك وأحشو جلدك تبنا وأرسل به اليه فقال · اتق الله فى دمى ، فان الكتاب لم يكن لى فراجع الملك فى أمرى قال : ليس لكتاب الملك مراجعة إلّا انفاذ الأمر ، لاسيما اذا كان بخط يده ، وأمر بانفاذ مافى الكتاب

قال : وجاء ذلك الرجل على عادته ، وقام على رأس الملك ، وجعل يقول أحسن الى المحسن باحسانه ، والمسىء ستكفيه مساءته

فلما رآه الملك قال ما فعل الكتاب الذى كتبت لك بخط يدى ؟

قال له : لقينى فلان فاستوهبه منى ، فوهبته له

قال له الملك : انه ذكر لى عنك كذا ، وسعى عليك بوجه كذا

فأظهر الرجل براءته ، وتبين عنده صدقه ، وجىء بجلد الساعى محشوا تبناً

فقال له الملك · صدقت ، وصدقت موعظتك ، قم كما كنت تقوم ؛ وقل كما كنت تقول ، وجزاؤه ماحلّ به « الهجاء والمطالعة »

للمرحوم أحمد ربانى بك

فى الحقد

حقد بعض القرويين على عمدة ناحية « سفاى » بمركز أبى قرقاص بمديرية المنيا فماذا صنعوا معه تبريدا لغلتهم وإطفاء لنار غيظهم ؟ عمدوا الى خط السكة الحديدية لهذه الناحية وقطعوه ، حتى اذا مرّ عليه قطار الاكسبريس ، الذى يقوم من مصر الى الوجه القبلى فى مساء كل يوم ، سقط وأصيب ركابه بمصائب فادحة ، فتقبض الحكومة طبعا على العمدة ، الذى يكون أقرب الى نقطة الحادثة ، هذا ما أرادوه وهذا ما كاد يتحقق لهم ، لولا لطف الله بعباده ، وبراعة السائق الذى أوقف القطار بسرعة متناهية ، وأبدى من ضروب الشجاعة الأدبية والجسمانية مايستحق عليه أجمل الثناء وجزيل المكافأة ، وفعلا كافأته المصلحة على ذلك

فانظر رحمك الله الى هذا الانتقام الغريب ؛ بل انظر الى هذا الجنون والاختبال ، وسوء حال الرجال

رجل يريد الانتقام من فرد حانق عليه ، فيوجه سهام انتقامه وغيظه الى جمع كبير من الأبرياء ، الذين لا ذنب لهم إلاّ أن سوء الحظ أوقعهم فى ركوب القطار فى الليلة التى نصحت فيها فكرة الانتقام ، فى رأس رجل من الأشرار ، رجل يريد أن يضرب زيداً فضرب عمرا ، لأن الأخير كان مارّا فى ساعة غيظه وحنقه

أليس ذلك ضربا من ضروب الجنون ؟

ماذا كانت الحكومة تعمل ، لو أن المصيبة حلّت بركاب القطار ، وكم عائلة كانت ترزأ فى هذا السبيل ؟

ولـكن لاتنفع الحيلة ، اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة ، ولايقع فى ملـكه إلا ما أراد ، والله لطيف بالعباد

فى الانتقام

كان النبى ﷺ فى غزاة فطلب الراحة بجانب شجرة فانفرد اليها وسيفه بجانبه ، فبصر به أعداؤه فأرسلوا من يغدر به فجاء اليه أحدهم وقال : يامحمد أرنى سيفك هذا ؟

فأراه النبى ﷺ السيف ؛ فأخذه وجعل يقلبه بين يديه وكلما همّ ليفتك برسول الله ألقى الله فى قلبه الرعب ، فرد السيف للنبى وانصرف الى قومه

فقالوا : لِمَ تركته حياً ؟ قال لهم : خفت الرجل ، وما كنت أظن أن له هذه الهيبة

فقالوا له : لا تخفه ، ارجع اليه واسأله لتنظر شيئا فاتك فى السيف ، فاذا قبضت عليه فحل نقتله ، فأطاعهم ورجع الى رسول الله وقال : يامحمد انه قد فاتنى شىء ، أرنى السيف مرة أخرى ؟

فقال النبي ﷺ لأصحابه · خذوه فاضربوا عنقه

فقال · يامحمد ما كنت لأعدر بك فى الأولى حتى تخافنى فى الثانية

فقال النبي ﷺ · والله لايتحدث الناس بحوار الكعبة بأنك خدعت محمداً ، اضربوا عنقه ، لايلدغ مؤمن من جحر مرتين ، فضربت عنقه وصار قول الرسول مثلاً

لاتنتقم لنفسك

واترك الأمر لله المنتقم الجبار

تشاجر رجـل غنىّ مع فاعل فقير ، ومن شدة غيظه ، رشقه بحجر فالتقطه الفقير ووضعه فى جيبه وقال : سيأتى يوم يمكننى فيه أن أرد هذا الحجر على رأس عدوّى

ونظراً لسوء سلوك الغنى وعدم استقامته واسرافه ذهبت ثروته وأصيب بالفقر حتى اضطر الى استجداء الناس ، فمرّ يوما أمام هذا الفاعل الفقير فلما نظر اليه الفقير أخـذ يبحث على الحجر ليرشقه به كما رشقه ولـكنه فـكّر فجأة وقال · لاأنتقم لنفسى من عدوّى ؛ بل أترك أمره الى المنتقم الجبار

ولا يليق بالانسان الانتقام ، لأنه ضرب من التوحش ، بل يلزمه الصبر لينال الثواب والأجر ، ويحميه الله بقوته .

لطف الاعتذار ينجى من الانتقام

ملك الفرس وصاحب المطبخ

كان ملك من ملوك الفرس ، عظيم المملكة ، شديد النقمة ، وكان له صاحب مطبخ

فلما قرب اليه طعامه صاحب المطبخ ، سقطت نقطة من الطعام على يديه ، فغير لها الملك وجهه ، وعلم صاحب المطبخ أنه قاتله . فكفأ الصفحة على رأسه . فقال الملك : علىّ به ؛ فلما أتاه قال له : قد علمت أن سقوط النقطة أخطأت فيها يدك ، فما عذرك فى الثانية ؟ قال : استحييت للملك أن يقتل مثلى فى شىء تافه ، بعد خدمتى ، وقديم حرمتى ، فى نقطة فأردت أن أعظم ذنبى ، ليحسن به قتلى ، ولئلا ينسبك الناس الى الظلم والجور ، فقال له الملك : إن لطف الاعتذار ، ينجيك من القتل ، فأنت حرّ لوجه الله (لابن عبد ربه)

حكايات وأمثلة فى الظلم

ظلم أحمد بن طولون

لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاثت الناس من ظلمه ، وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوه اليها فقالت لهم · متى يركب ؟

فقالوا : فى الغد

فكتبت رقعة ، ووقفت فى طريقه ، وقالت : يا أحمد بن طولون

فلما رآها عرفها ، وترجل عن فرسه ، وأخذ الرقعة منها وقرأها ، فاذا فيها مكتوب ·

ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ففسقتم ، وردت عليكم الأرزاق فقطعتم هذا ، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة ، ولا سيما فى قلوب أوجعتموها ، وأجساد عريتموها ، فعدل من ساعته

المغتصب الظالم

اغتصب بعض الأغنياء حقلا وحيدا لامرأة فقيرة كان بجوار حديقة له ، فأدخله فيها ، وخرج هذا المختلس ذات يوم يتنزه فى حديقته ، فدخلت عليه المرأة المسكينة ، وهى تحمل كيساً فارغا ، فحيته وقالت له ،

والدمع ملء عينها : قد أتيتك يامولاى راجية منك أن تمنحى إحسانا ، وهو أن تأذن لى بأخذ مايملأ هذا الكيس تراباً من أرض أبى

فأجابها الرجل بالايجاب ، وبعد أن ملأت المرأة كيسها قالت له ·

هل يسمح لى سيدى بأن يعيننى على حمل الكيس على ظهرى ؟

فأبى ، بدعوى أنه لم يتعود على مثل ذلك

فأخذت المرأة تتوسل لديه الحافا ، حتى رضى ؛ ولكنه مع ذلك لم يقدر أن يرفعه قدر شعرة من الأرض ، وقال وهو يلهث · مستحيل أن أقدر على ذلك أيتها المرأة

فقالت له بصوت يتهدج بالأسف والحزن إن كان هذا الكيس المملوء بالتراب يظهر لك ثقيلا الى هذا الحد ، فكيف تستطيع أيها الظالم أن تحمل هذه الأرض التى اغتصبتها منى ، وهى تملأ ألوف أضعاف هذا الكيس ، وأنشدت قول الشاعر

يا أيها الظالم فى فعله   الظلم مردود على من ظلم
الى متى أنت وحتى متى   تشكو المصاب وتنسى النعم

كيف حالك ، يوم لاينفعك شفاعة ولامال ولابنون ، والأمر يومئذ لله ؟ فى يوم يأخذ الله للمظلوم من الظالم حقه ، يوم يجازى الله الناس على قدر أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

عدا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون مازرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وان أساؤا فبئس ماصنعوا

كيف تجيب اذا سألك الله بأى حق اغتصبت حقوق الفقراء ؟ وبأية شريعة أخذت أموال الناس بالباطل أيها المغرور بنفسك ؟

فأثر هذا الكلام فى قلب الرجل حتى فاضت عيناه من الدمع ، وبادر بارجاع الحقل الى صاحبته ، وتندم على مافرط منه ، وتاب للخالق توبة نصوحا ، وتذكر قول القائل ٠

لاتظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

الموعظة الحسنة

خرج ملك ظالم مع وزيره لاستنشاق الهواء النقى بين الرياحين والأزهار ، فمرّا بشجرة يبست أغصانها ، فسمعا صوت بومة تكلم أخرى ، فسأل الملك وزيره عن غرضها ؟

فقال له : أيها الملك الجليل ، إنها تطلب صداقها من زوجها ، وقدره أربعمائة قرية خربة

فقال لها إن دام حكم هذا الحاكم أعطيتك ثمانمائة قرية خربة

فاتعظ الملك بهذا الكلام ، وعدل عن ظلمه ، فعمرت البلاد ، وحسنت الأحوال ، واستقامت الأمور ، فان العدل أساس الملك وبه رقى الأمم ، والبغى يصرع أهله ، والظلم مرتعه وخيم

(ثمار الانشاء)

مثال الاستبداد

اتصف أحد الملوك بالطائف بالظلم والاستبداد برعيته ، فمرّ بامرأة ترضع صبيا يتيما بلبن عنز لها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مجدبة ، فبقى الصبى بلا مرضعة ، فمات ضحية استبداد هذا الملك ، وشكت المرأة أمرها لله فرمى الله هذا الملك بقارعة ، فأهلكته فرجمت العرب قبره جزاء وفاقاً

الملك المستبد المتشائم

كان أحد الملوك يتشاءم من يومه لو رأى فى الصباح رجلا فى طريقه تدعو هيئته الى الاشمئزاز ، فخرج فى صبيحة يوم من قصره الى الصيد ، فرأى أعرابيا بائسا رث الهيئة ، دميم الخلقة

فقال لأتباعه · اقبضوا على هذا الرجل ، فانه شؤم ، فأخذوا الرجل

وحبسوه ريثما يعود الملك من صيده

فلما عاد فى آخر النهار بصيد كثير أمر باطلاق سراح الأعرابى ، لأن يومه كان يوم رخاء وسرور ومتعة

فلما أطلق الرجل ، وكان قد علم بما قال الملك ، قال : دعونى أكلمه

فلما حضر بين يديه قال : أيها الملك أتأذن لى بالكلام ولا بأس علىّ ؟

فقال الملك · قل ياأعرابى ماشئت

فقال الرجل : لقيتنى فى طريقك فى الصباح فتشاءمت منى ، وخرجت الى الصيد فعدت فى آخر النهار رابحا مسرورا ، وأنا لقيتك فى طريقى فضربت من غير ماذنب جنيت ، وحبست طول النهار ظلما ، فأينا كان شؤما على الآخر ؟

فضحك الملك وقال صدقت يا أعرابى ، وأمر له بجائزة ترضيه فانطلق وقد تحول بؤسه إلى رخاء

الرشيد والعابد

حج الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة ، معتزل فى جبال تهامة ، فأتاه الرشيد فسأله عن حاله ، ثم قال له · أوصنى ومرنى بما

شئت ، فوالله لاعصيتك . فسكت العابد عنه ، ولم يرد عليه جوابا ، فخرج عنه هارون الرشيد

فقال للعابد أصحابه . ما منعك إذ سألك أن تأمره بما شئت ، وحلف أن لايعصيك أن تأمره بتقوى الله وإحسانه الى رعيته

فخط لهم فى الرمل ، إنى أعظمت الله أن يكون يأمره فيعصيه ، وآمره أنا فيطيعنى

الفضل بن مروان وأبى فراس الشاعر

كان الفضل بن مروان وزير المعتصم ظالما غشوما ، مبجحا بالظلم متجبرا متكبرا

وكان المعتصم يقول : الفضل بن مروان أسخط الله وأرضانى فسلطنى الله عليه

دخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر، متظلما من بعض عماله ، فصرف وجهه عنه ، ولوى عطفه ، فخرج من عنده وهو ينشد :

تجبرت يافضل بن مروان فانتظر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادهم التغيير والموت والقتل
فان تك قد أصبحت فى الناس ظالما ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

ولما سمع الفضل أبياته قال . ماالذى عنى بقوله ؟

فقيل : إنه أراد الفضل بن يحيى ، والفضل بن سهل ، والفضل بن الربيع ، فتغير وجهه ، ولم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قبض عليه

الجزاء من جنس العمل

كان أحد الأطفال سائرا فى طريق ومعه خبز يأكله ، وبينما هو كذلك رأى كلباً نائما ، فدعاه وأظهر له الخبز ، فلما دنا وقرب منه ضربه بعصا على رأسه ، ففرّ يعوى من شدة الألم

وكان أحد أصحاب الدكاكين يراقبه ، فساءه هذا العمل ، فأخذ عصا ووقف بباب الدكان ، ودعا الصبى وأبرز له قرشا ، ولما مدّ يده ليأخذه ضربه على يده ، فصرخ صراخا شديدا

وقال : لِمَ تضربنى وأنا لم أطلب منك شيئا ؟

فقال له : ولمَ تضرب الكلب ، وهو لم يطلب منك شيئا ، فاذا شئت أن لا تؤذى فلا تؤذ غيرك ، فجزاء سيئة سيئة مثلها

الشر بالشر والبادى أظلم

كان ولد ينظر الفيل فى حديقة الحيوانات ، فمدّ يده اليه بتفاحة ، ولما همّ الفيل أن يأخذها قبض الصبى يده حتى لا يصل الفيل الى التفاحة ، ثم عاد ومدّ يده بالتفاحة مرة ثانية ، وعمل كما عمل أول مرة ، فغضب الفيل

وصبر على الصبى حتى سها عنه ، ومدّ خرطومه وخطف طربوشه ، فزعق الولد وبكى ، فمدّ الفيل خرطومه بالطربوش ، ولما همّ الولد أن يأخذه قبض خرطومه ، وعمل معه كما عمل هو مع الفيل ، فضحك الناس كثيراً منه ، وبكى الولد على ضياع طربوشه ، وعلم أن الذى يفعل الشر يلقى الشر (القراءة الرشيدة)
(جزء أول)

من حفر حفرة لأخيه وقع فيها

يضرب مثلا للظلم ترجع عاقبته على صاحبه ، ويقال أيضا : كالباحث على حتفه بظلفه . ويقال أيضا : كالعنز تبحث عن المدية

وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها ، فلم يجدوا شفرة ، فنبشت الأرض بظلفها فاستخرجت شفرة ، فذبحوها وقالوا : بحثت عن حتفها بظلفها فصارت مثلا.

وقال الشاعر الحكيم فى هذا المعنى :

قضى الله أن البغى يقتل أهله ... وأن على الباغى تدور الدوائر
ومن يحتفر بئرا ليوقع غيره ... سيدفع فى البئر الذى هو حافر

المتظلم من خصمه (الفقر)

بينما عبد الله بن جعفر راكب إذ تعرض له رجل فى الطريق فسلك بعنان فرسه وقال: سألتك بالله أيها الأمير أن تضرب عنقى ، قال: أمعتوه أنت ؟

قال: ورأس الأمير قال: فما الخبر ؟

قال: لى خصم ألد ، قد لزمنى وألح وضيق علىّ ، وليس لى به طاقة

قال ومن خصمك ؟ قال: الفقر

فالتفت عبد الله لفتاه وقال إدفع له ألف دينار

ثم قال له: يا أخا العرب خذها ونحن سائرون ، ولكن إذا عاد اليك خصمك متعشما ، فائتنا متظلما ، فانّا منصفوك منه إن شاء الله .

فقال الأعرابى . إن معى من قولك ماأدحض به حجة خصمى بقية عمرى ثم أخذ المال وانصرف

(محاسن الأدب ص ٢١٥ - جزء ٢)

من ذاق طعم الظلم لا يظلم

روى أن كسرى انوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق فى العلوم، فضربه المعلم يوماً من غير ذنب ، فأوجعه فحقد انوشروان عليه

فلما ولى الملك أمر باحضار مؤدبه، فجاء فرحا مسرورا ، وقال للمعلم : ماحملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما ؟

فقال له : لما رأيتك ترغب فى العلم ، رجوت لك الملك بعد أبيك ، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم ، فان الظلم أضر الأشياء بالملك فشكر له عمله ، ورفع منزلته وشأنه

متى حل الظلم بأرض زالت البركة منها

خرج كسرى انوشروان الى الصيد يوما ، واعتزل عسكره ، فعطش فرأى ضيعة قريبة منه ، فقصدها حتى وقف على باب دار قوم وطلب منهم الماء ليشرب ، فخرجت فتاة ، فلما رأته عادت الى البيت مسرعة ، فدقت قصبة سكر ومزجتها بماء ، وخرجت به فى قدح اليه ، فنظر القدح ، فرأى فيه تراباً وقذى ، فشرب منه شيئا فشيئا ، حتى انتهى الى آخره ثم قال نعم الماء لولا مافيه من القذى . فقالت له الفتاة أنا ألقيته عمدا فقال لها : ولِمَ فعلت ذلك ؟ فقالت لما رأيتك شديد العطش خشيت أن تشربه مرة واحدة فيضر بك شربه ، فعجب كسرى من ذكائها وفطنتها ، وقال كم عصرت فيه من قصبة ؟ فقالت : عصرت فيه قصبة واحدة ، فعجب من ذلك ، فلما مضى طلب اسم المكان وقد كان نسيه ، فرأى خراجه قليلاً ، فحدث نفسه أن يزيد فى

خراجه ، و بعد حين مرّ بذلك المكان مفرداً ووقف على ذلك الباب ، وطلب الماء ليشرب ، فخرجت له الصبية عينها ، ورأته فعرفته ، وعادت مسرعة لتمزج له الماء فأبطأت عليه

فلما خرجت اليه قال لها : قد أبطأت فقالت له : لم تُخرج حاجتك من قصبة واحـدة بل من ثلاث قصبات . فقال وما سبب ذلك ؟ فقالت : من تغير نية الحاكم ، فقد سمعنا أنه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلّت خيراتهم

فضحك انوشروان ، وأزال عن نفسه ما كان قـد أضمره لهم من زيادة الخراج ، ثم تزوج بتلك الفتاة لعجبه من فصاحتها وذكائها

الشكوى من الظالم

ابن حمدان وأبو الفضل الجوهري

لما هجم ابن حمدان على مصر فى أيام المستنصر بالله ، وأحرق داره بالزيت ، وتخطف عسكره اجتمع الناس الى أبى الفضل الجوهرى الواعظ فشكوا حالهم اليه فكتب الى المستنصر :

إن كنت خالقا ، فارحم خلقك ، وإن كنت مخلوقا ، فخف خالقك والسلام .

فرفع الظلم عنهم

فكاهة

الحجاج والأعرابى

انفرد الحجاج يوما عن عسكره فلقى أعرابيا فقال له : ياأخا العرب كيف الحجاج ؟

فقال : ظالم غاشم

قال · هلا شكوته الى عبد الملك بن مروان ؟

قال : أظلم وأغشم ، عليهما لعنة الله

فبينما هو كذلك إذ تلاحقت به عساكره ، فعلم الأعرابى أنه الحجاج . فقال الأعرابى · أيها الأمير السرّ الذى بينى وبينك لا تطلع عليه أحدا إلا الله

فتبسم الحجاج ، وأحسن اليه وانصرف

فكاهة أخرى

الحجاج وآكل الحلوى

حضر أعرابى عند الحجاج ، فقدم الطعام فأكل الناس منه ، ثم قدمت الحلوى ، فترك الحجاج الأعرابى حتى أكل منها لقمة ، ثم قال : من

أ كل من الحلوى ضربت عنقه

فامتنع الناس من أ كلها ، وبقى الأعرابى ينظر الى الحجاج مرة ، والى الحلوى مرة ، ثم قال : أيها الأمير أوصيك بأولادى خيرا ثم اندفع يأ كل

فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة

حكايات وأمثال فى ذم الخيانة

جزاء الخائن

استأجر أحد التجار حمالا يحمل له بضاعة نفيسة من الحرير والديباج اشتراها من (حلب) ليتجر بها فى (اسلامبول)، واتفق معه على أجر معلوم، وسار الركب يقطع الطريق آمنا مطمئنا، وبعد مسيرة أيام قليلة أصيب التاجر بمرض شديد اضطره إلى التخلف عن الركب والنزول فى أقرب قرية يتمرض فيها حتى يبل (يشفى) فوصى الحمال بمتاعه وأذن له بمتابعة السير على الطائر الميمون، وانتظاره فى (اسلامبول) إلى أن يلحق به.

وما كاد الحمال يبلغ ذلك المكان القصى، حتى وسوس الشيطان فى صدره، وسوّلت له النفس الأمارة بالسوء أن يخفر ذمته، وينقض عهده، ويخون من ائتمنه، فباع البضاعة بثمن بخس، وغير اسمه ولبوسه، وادعى أنه تاجر ليدلس على الناس، ولكيلا يهتدى التاجر إليه متى حضر، وجدّ فى البحث عنه

ولما قدم التاجر الى المدينة طلب الرحل، فلم يقف له على خبر، فطفق يطوف على انحائها لعله يقع به بالمصادفة، فرآه فى الطريق متنكرا مستخفيا فى زى التجار، فأمسك بتلابيبه، واستصرخ واستغاث

فأقبل رجال الشُرطة وساقوهما إلى القاضى ، وهناك قص التاجر قصته ، فأنكرها الجمال وقال :

إنها فرية كاذب محتال ، يريد أن يسلب مامعه من المال ، ولم يكن لدى التاجر المسروقة بضاعته بينة يقيم بها حجته على غريمه

ولكن القاضى كان ذكيا ، فأدرك فى خلال الحديث أن التهمة صحيحة ، فصمم على أن يسير المسئلة بالحيلة والدهاء ، فأمر الرجلين بالانصراف من أمامه ، حتى إذا مابعدا عنه قيد قصبة ، صاح عليهما : ياجمال

فالتفت ذلك الخؤون المتنكر ، وقال : مهيم (أى نعم)

فقامت عليه تلك الحجة البالغة ، وأجبر على رد المال لصاحبه ، ونال شديد العقاب ، جزاء مااقترف من الخيانة والعدوان

كيف يكون إصلاح الخائن

استودع تاجر بالكوفة رجلا من أهلها مالا جزيلا وتوجه إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، فلما عاد طالب الرجل بماله فأنكره ، وجعل يحلف له ، فانطلق التاجر إلى الأمام أبى حنيفة رضى الله عنه وأخبره بذلك ، فقال له الأمام : لاتكلم أحدا بجحوده

وكان عرف الرجل من جلسائه ، فقال له ، وقد خلا بهما المكان ·

إن القوم بعثوا يستشيرونني فيمن يصلح للقضاء ، وقد اخترتك لهذا المنصب الرفيع

ولما انصرف الرجل جاء صاحب الوديعة فقال له الأمام ·

ارجع إلى صاحبك ، وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا ، فرجع اليه فما احتاج معه إلى اشارة ، بل دفع اليه ماله

ثم توجه الرجل إلى أبى حنيفة يذكره بوعده

فقال له الأمام : إنى نظرت فى أمرك ، فأردت أن أرفع قدرك ، ولا أسميك ، حتى يحضر ما هو أهم من هذا

نتيجة الغش

يحكى أن شخصا كان له بقرة ، وكان يخلط لبنها بالماء ويبيعه ، فجاء السيل فى واد وهى واقفة ترعى فأغرقها ، فصار صاحبها يبكى عليها

فقال له أولاده يا أبانا لا تحزن ، فأن المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فأغرقتها

وهذا نتيجة غشنا ؛ لأن من يأخذ شيئا قليلاً بغير حق ، يضيع الله عليه شيئا من نعمه

أوتمن فخان ، فكان جزاؤه الذل والهوان

حكى أن رجلا قدم بغداد قاصداً الحج ، وكان معه عقد يساوى الف دينار أراد بيعه ، فلم يجد من يشتريه ، فوضعه أمانة عند تاجر مشهور بالصلاح ؛ ثم حج ورجع بهدية للتاجر ، وسلّم عليه ، فقال التاجر : من أنت ؟ فقال : أنا صاحب العقد الذى أودعته أمانة عندك

فقال التاجر : أنا لا أعرفك وليس لك عندى عقد ، ثم طرده من دكانه ، فذهب الرجل الى عضد الدولة ، وهو أمير تلك الجهة يومئذ ، وقصّ عليه خبره ، فقال له : اذهب واجلس عند التاجر ، وحينما أمرّ عليك وأقرؤك السلام ، ردّ على السلام وأنت جالس

ولما مرّ عضد الدولة بموكبه قال : السلام عليك

قال الرجل : وعليك السلام – ولم يتحرك

فقال الأمير : يا أخى ، أتقدم من العراق ولا تحضر عندنا ؟

قال الرجل : لم يتفق ، فذهل التاجر ، ولما انصرف الأمير ، قال التاجر للحاج : ماصفة عقدك ؟ قال كذا وكذا

فقام التاجر وأحضر له العقد واعتذر بالنسيان

فأخبر الحاج عضد الدولة بما حصل ، فأمر بصلب التاجر أمام باب دكانه جزاء خيانته ، فصلب ومات ، ولسان الحق يقول .

أد الأمانة والخيانة فاجتنب　　واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واحذر من المظلوم سهما صائبا　　واعلم بأن دعاءه لا يحجب

اللص الصغير

حكى أن أحد الناس ضرب ولداً له لاختلاسه شيئا من أحد اخوانه ، فقال الولد لوالده وهو يبكى أنا أخذت شيئا زهيدا وأنت ياأبت تعاقبنى عقاب شىء كبير

فقال له أبوه : ألم تعلم أنك اذا لم تعاقب من الآن تنمو على ماأنت عليه من العيب الذميم ، ويصعب علينا بعدئذ اصلاحك من علتك ، كما قال الشاعر

صغير السن فى التأديب يرجى　　ولا يرجى لتأديب الكبير

ألم تدر أن اللصوص ، وقطاع الطرق ، وسفاكى الدماء ، كانوا هكذا مثلك ، ولا يعاقبهم أولياء أمورهم ، فشبوا على ذلك ، وقد قيل من شب على شىء شاب عليه ، وقال الله تعالى .

« وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِى ٱلْأَلْبَابِ »

فلما سمع الولد كلام والده استقام ، وكان من المهتدين

حكايات فى ذم البخل

سوء عاقبة البخل

قال الحسن البصرى رضى الله عنه : لم أر أشقى عاله من البخيل ؛ لأنه مهتم فى الدنيا بجمعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى الآخرة من إثمه ، عيشه فى الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه فى الآخرة حساب الاغنياء

ويحكى أنه دخل رضى الله عنه على عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ، فرآه يصعد بصره ويصوبه الى صندوق فى زاوية من بيته ، ثم التفت اليه وقال ·

يا أبا سعيد ، ماتقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤد عنها زكاة ولم أصل منها رحما ؟

قال رضى الله عنه ثكلتك أمك ، ولمن كنت تجمعها ؟

قال : لصروف الزمان ، وطوارئ الحدثان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة ؛ ثم مات ، فشهد الحسن رضى ، الله عنه جنازته

فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر وقال الى وارثى أيها الوارث لاتخدعى كما خدع صاحبك بالأمس ، أتاك هذا المال حلالا ، فلا يكون عليك وبالا ، أتاك عفوا صفوا ، ممن كان جموعا منوعا ، من باطل جمعه ،

ومن حق منعه ، قطع به لجج البحار ، ومفاوز القفار، لم تكدح لك فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة ذو حسرات ، وان من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك فى ميزان غيرك ، فيالها من حسرة لاتقال ، وتوبة لاتنال ، ولله در من قال .

وما ضاع مال ورث الحمد أهله ... ولكن أموال البخيل تضيع

وصف حالة البخيل

يا حارم النفس لجمع مال ... تفنيه وراث من الجهال
أيجمع المال امرؤ يموت ؟ ... وماله فى المال إلا القوت
إن قلت انى جامع للخلف ... كم خلف يفقر قبل السلف
أو قلت أخشى من صروف الفقر ... من ذا الذى يأمن شر الدهر
ما أقطع الآجال للآمال ! ... وأسرع الآمال فى الآجال
قد كتب الله على الحريص ... أن يترك الأموال للصوص
يعيش بالتقتير فى دنياه ... وعن غنى يسأل فى أخراه
ما ضر من يبخل بالموجود ... أن يشترى الحمد ببذل الجود
فتلك حقاً حالة البخيل ... فى ماله الكثير والقليل
يدفع خيره ويحلب ضيره ... مال البخيل دائماً لغيره

(آداب العرب)

أموال الحريص للصوص

اتفق لغنى بخيل أنه توجه ذات ليلة الى ضيعة له فانتهز خدمه ، الذين ضاقوا ذرعا من سوء معاملته ، فرصة غيابه واحتالوا فى فتح خزانته وسلبوا مافيها من الحلى والنقود ، واقتسموه بينهم ، وأعادوا الخزانة الى حالتها

فلما عاد وفتحها وجدها خالية ، فأخذ يفكر فى الفاعل فلم يجد سوى الخدم ، فأراد استمالتهم لاعادة المال فلم يفلح ، فهددهم بالحبس والقتل فلم يجد من يعترف ، فرفع أمره الى القضاء وليس لديه من شاهد فلم تثبت عليهم الجناية

ولما شكا حاله الى أحد اخوانه العقلاء قال له . حقاً لقد أساء اليك هؤلاء الخدم الجهال ؛ ولكن الأجهل منهم هو الذى يخزن ماله ، ويحرم نفسه وعياله

ولقد أصاب من قال

قد كتب الله على الحريص   أن يترك الأموال للصوص

الايثار

مثال من ايثار سيدنا على بن أبى طالب

حصل لعلى بن أبى طالب ولأهله جوع فأخذ من يهودى صوفا لتغزله السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضى الله عنها بثلاثة آصع من شعير، فغزلت أول يوم شيئا منه وطحنت صاعا وخبزته؛ فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين، وقال: السلام عليكم ياأهل بيت النبوة، أنا مسكين من مساكين أمة محمد ﷺ، أطعمونى شيئاً لله، فدفعوا اليه الأقراص

وفى اليوم الثانى، جاءهم يتيم وقال السلام عليكم ياأهل بيت النبوة أنا يتيم من أيتام أمة محمد ﷺ، أطعمونى شيئاً لله، فدفعوا اليه الأقراص

وفى اليوم الثالث، جاءهم أسير وقال السلام عليكم ياأهل بيت النبوة أنا أسير من أسرى أمة محمد ﷺ، أطعمونى شيئاً لله، فدفعوا اليه الأقراص

وباتوا على الماء، فجاع الحسن والحسين رضى الله عنهما جوعا شديدا، فخرج علىّ الى النبى ﷺ وأخبره بذلك، فطاف على نسائه فلم يجد شيئاً، ثم جاء أبو بكر يشتكى الجوع فقيل: يارسول الله إن المقداد بن

الأسود عنده تمر ، فخرجوا اليه فلم يجدوا شيئاً

فقال النبي ﷺ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : خذ هذه السلة واذهب الى تلك النخلة وقل لها : إن محمدا يقول لك ، أطعمينا من تمرك ، فرمت عليهم رطباً باذن الله تعالى ، فأكلوا حتى شبعوا وأرسلوا الى فاطمة وولديها ما يشبعهم ، فأنزل الله تعالى فى حق على وأهله « وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا »

« نزهة المجالس »

مثال آخر

دخل ضيف على رجل من أصحاب النبى ﷺ ، ولم يكن عنده الا طعامه فاطفأ سراجه وقدم طعامه للضيف حتى لايحتشم من الأكل ، فأكل الضيف طعامه ، وبات هو طاويا

اسق أخاك النمرى

خرج كعب بن مامة الأيادى فى ركب معهم رجل من بنى النمر بن قاسط ، وكان ذلك فى صميم الصيف ، واشتداد حرارة القيظ ، فضلوا الطريق وقل ماؤهم ، فاضطروا أن يتصافنوا الماء أي يقتسموه بالحصص ، وذلك بأن يطرح فى أسفل القعب (القدح أو الاناء) حصاة ، ويصب

فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة ، فيشرب كل واحد قـدر مايشرب الآخر

ولما نزلوا للشرب ، ودار القعب بينهم ، وانتهى الى كعب بن مامة ، نظر فرأى الرجل النمرى ، يحدد النظر اليه ، فآثره بحصته من الماء وقال للساقى : اسق أخاك النمرى ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر وتصافنوا بقية الماء ، ونظر النمرى الى كعب كنظرته أمس ، وقال كعب للساقى ما قاله أمس

ثم ارتحلوا وقالوا : يا كعب ارتحل ، فلم يقو على النهوض من شدة فعل العطش به ، وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له · (رد يا كعب انك وراد) فعجز عن الجواب ؛ ولما يئسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله ، وتركوه مكانه ، فمات رحمه الله وذهب قوله (اسق أخاك النمرى) مثلا فى تضحية الانسان بنفسه ، وايثار غيره عليه ، أى تفضيل غيره عليه

مثال آخر

قال حذيفة العدوى · انطلقت يوم (اليرموك) أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء وأنا أقول : ان كان به رمق سقيته ، ومسحت به

وجهه ، فاذا أنا به ، فقلت أسقيك ؟ فأشار الى . أن نعم ، فاذا رجل يقول : آه ، فأشار ابن عمى أن انطلق بالماء اليه

قال : فجئته ، فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال : آه ، فأشار هشام ، أن انطلق به اليه ، فجئته ، فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمى ، فاذا هو قد مات ، رحمة الله عليهم أجمعين

مثال آخر

قيل : خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فيه غلام أسود يعمل به ، فاذا أتى الغلام بقوته دخل الحائط كلب ودنا من الغلام ، فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ، ثم رمى اليه الثانى والثالث فأكلهما ، وعبد الله ينظر اليه

فقال : يا غلام ، كم قوتك كل يوم ؟

قال : ما رأيت

قال . فلم آثرت به هذا الكلب ؟

قال . ماهى بأرض كلاب ، انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع

مثال آخر

من عجائب ماذكر فى الايثار ماحكاه أبو محمد الأزدى ، قال : لما احترق المسجد (بمرو) ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه ، فأحرقوا خاناتهم

فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات ، وكتب رقاعا فيها : القطع ، والجلد ، والقتل ، ونثرها عليهم ، فمن وقع عليه رقعة فعل به ماهو مكتوب فيها ، فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل ، فقال : والله ما كنت أبالى بالقتل ، لولا أم لى ، وكان بجانبه أحد الفتيان ، فقال له فى رقعتى الجلد ، وليس لى أم ، فخذ أنت رقعتى ، وأعطنى رقعتك ، ففعل فقتل ذلك الفتى – الذى آثر الرجل على نفسه – وتخلص هذا الرجل (الطرطوشى)

مثال آخر

يروى عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن ابن اختها عبد الله بن الزبير أرسل اليها ثمانين ألف درهم ، وكانت يومئذ صائمة فقسمتها بين الناس ، وأمست وما عندها من جميع ذلك درهم واحد فلما أرادت الإفطار قالت لجاريتها : هلمى فطريى ، فجاءتها بخبز

وزيت وقالت لها : ياسيدتى أما استطعت أن تشترى لافطارك لحما بدرهم ؟

ويروى عنها أيضا : أنها تصدقت مرة بسبعين الف درهم أرسلها اليها عبد الله بن الزبير ، وكان ثوبها مرقعا ، فلم تشتر منها ثوبا واحدا . وهذا فعل يعجز الانسان عنه ، وهذا منتهى الايثار ، وفعائل الكرام الأحرار

حكايات فى فضل المروءة

مروءة حاتم الطائى

حكى عن حاتم الطائى أنه مرّ يوما بحلة بنى عنز فاجتاز بأسير عنـدهم وكان الأسير لايملك الفداء ؛ فلما رأى حاتما صاح قائلا . أغثنى ياأبا سفانة ولم يكن مع حاتم مايفديه ، فضمن الفداء لأمير الحلة ، فأبى إلّا أن يقبضه قبل اطلاق الأسير

فأقام حاتم مكانه فى الأسر ، وأرسل الأعرابى الى قومه فى أحياء طى بعلامة منه حتى أتى بالفداء ، فدفعه الى القوم وأطلق نفسه من أسرهم

المروءة لاتقدر بمال

طغى نهر وكاد يكتسح بيتا صغيرا تسكنه امرأة فقيرة وأولادها ، فتبرع غنى بمائة دينار لمن ينقذ هذه المرأة وأولادها ، فأخذ جندى قاربا واقتحم الخطر وبعد برهة رجع ومعه المرأة ومن معها ، فأعطاه الغنى المكافأة فأبى أخذها قائلا : لا أبيع مروءتى بمال ، أعطه لهؤلاء الجماعة فانها فى حاجة اليه

مروءة كريم

قصد أحدهم صديقا فدق عليه الباب ، فلما خرج قال :

ماحاجتك ؟ قال أربعمائه درهم عليّ دين

فدخل الدار وأخرجها اليه ، ثم دخل الدار باكيا ، فقالت له امرأته هلا تعللت حين شقت عليك الاجابة ؟

قال : انما أبكي لأني لم أتفقد حالة صديقي حتى احتاج الى مكاشفتي

مثال المروءة

حكي أن جنديا وجد في طريقه صبيا يبكي وينتحب فسأله . مالك ياولدي ولمَ تبكي ؟

فأجابه الصبي · أنا تعيس ياسيدي

فقال له : ماذا جرى لك ياولدي ولمَ أنت تعس ؟

فقال له قضى الله عليّ بالشقاء واليتم لأني فقدت أمي وأبي منذ يومين

فقال له الجندي أنت تكذب ياصبي

فقال : لا يامولاي ، سل شيخ قريتنا ينبئك بالحقيقة

فأخذه الجندي من يده وسار به الى فندق قريب وقال لصاحبه ·

احتفظ بهذا الصبى حتى آتيك على عجل ، وانطلق الى مكان البريد وكتب الى شيخ قرية الصبى يسأله عن حقيقة حاله

فأجابه : أن الغلام أخبره بالصدق ، وأنه حقيقة صار يتيما ، وقال له فى آخر خطابه : أرسله لنا لعلّ الله يحنن عليه بعض قلوب أهل الاحسان ليعتنى به ، فرد عليه الجندى : لا ، يا حضرة الشيخ ، فانى سأتخذه ولدا ، وسأكون له أبا حنونا

ثم رجع الى الفندق وأخـذ الصبى وأدخله مدرسة بالمدينة ، وأنقد رئيسها المصاريف المدرسية السنوية وقال له : اعتن بتربية هـذا الصبى فهو ولدى ، وانصرف بعد أن أوصاه خيرا به ، وصار يواليه من وقت لآخر حتى انتهت مدة دراسته ونال الشهادة الأولى ، فنقله الجندى الى المدرسة الحربية ، فلم تمض عشر سنين على الصبى الذى حتى كان فى مقدمة الجيش الفرنسى وصار جنديا عظيما ، فجزى الله الجنـدى على مروءته خيرا ، وهكذا تكون المروءة

جزاء المروءة

سقط القائد (قديرال) يوم اشتدت نيران الحرب فى (فرجينا) أمام صفوف الأعداء متخنا بالجراح ، مخضبا بالدماء ، يصرخ مستسقيا لجرعة ماء ، فعطف عليه جندى من عسكر الأعداء اسمه (جميس مور) من

ولاية (يرك) شمال (كاردلينا) وأتاه بالمـاء ونيران المدافع وكراتها تتساقط كالأمطار الغزيرة من الفريقين ، فأخذ أصحاب (جيس) يحذرونه من الخطر ، ويروعونه من أن يلقى بيده الى التهلكة ، فلم يلتفت اليهم وظل يسرع الى عدوّه المستغيث فى معمعة الموت الأحمر حتى بلغ اليه وكأس الماء فى يده فسقاه

وكان مع ذلك القائد الصريع ساعة ذهبية فقدمها للجندى ، فأبى أخذها ، فسأله القائد عن اسمه ، فقال · انه (جيس مور) ثم رجع الى مركزه ولم ير أحدهما الآخر بعد ذلك

ثم خرج (جيس مور) وفقد بعض أعضائه فى إحدى وقائع (فرجينا) ورجع الى بيته فى ولاية (يرك) ثم مضى عليه سنين عديدة وفى هذه المدة بلغه خبر عن القائد (فدرال) الذى سقاه الماء فى ساحة الحرب أنه وهب له عشرة آلاف ليره جزاء مروءته يتقاضاها مدة أربع سنوات أى يعطى كل سنة ألف وخمسمائة ليره

محيي المروءة

هو صعصعة بن ناجية جد الفرزدق وسمى بذلك لأنه مرّ برجل من قومه يحفر بئرا وامرأته تبكى فقال لها · علام تبكين ؟ فقالت · يريد أن يئد ابنتى هذه (أى يدفنها فى التراب وهى حيّة)

فقال له : لمَ تفعل ذلك ؟ قال : لفقرى . فقال : انى اشتريتها منك بناقتى هاتين يتبعهما أولادهما ، فتعيشون بألبانهما ، ولا تئد الصبية

فقال : قد فعلت ، فأعطاه الناقتين وجملا كان تحته ، وقال فى نفسه : ان هذه لمكرمة ماسبقنى لها أحد من العرب

فجعل على نفسه ألّا يسمع بموءودة إلا فداها

فجاء الاسلام وقد فدى ثلاثمائة موءودة وقيل أربعمائة

وقال فيه الفرزدق مفتخرا بمروءته .

وجَدى الذى منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم توأد

الاحسان والصدقات

مثال

من احسان سيدنا عثمان وتصدقه

قالت عائشة رضى الله عنها . مكثنا أربعة أيام ماطعمنا شيئا فدخل علينا رسول الله ﷺ ، فقال : ياعائشة هل أصبتم شيئا بعدى ؟

قالت : لا ، فتوضأ وخرج يصلى ، هاهنا مرة ، وهاهنا مرة ، ويدعو فجاء عثمان رضى الله عنه آخر النهار فقال أين رسول الله ﷺ ، فأخبرته الخبر ، ثم خرج عثمان وبعث لنا دقيقا وتمرا وغيره

ثم قال هذا يبطئ ، فأرسل خبزا ولحما مشويا

ثم جاء النبى ﷺ فقال هل أصبتم شيئا ؟ فأخبرته بما فعله عثمان فلم يجلس حتى خرج الى المسجد ورفع يديه وقال . اللّهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه (قالها ثلاثا) (نزهة المجالس)

ملحوظة — ان مافعله سيدنا عثمان مع آل بيت النبى ﷺ لا يسمى صدقة بل هدية فشكره النبى ﷺ عليها بالدعاء

فالواجب الاقتداء بسيدنا عثمان رضى الله عنه فى الاكثار من الهدايا لأنها كالصدقة وبذل المال لمن يستحقه

اللذة والسرور فى فعل الخير ، لا فى أذى الغير

كان أحـد أبناء الأغنياء فى نزهة مع مؤدبه فوصلا الى حقل منفرد وكان ذلك قبيل الظهر ، فرأيا غلاما يشتغل هناك وقد ترك حذاءه عند مدخل الحقل ، فخطر للصبى أن يخفى حذاءه ليرى ما يكون من حيرة الفلاح اذا طلبه ولم يجده ، فكأنه تصور لذة عظمى من رؤية غيره فى ارتباك واضطراب

لـكن مؤدبه لم يغفل عن اغتنام هـذه الفرصة ليعظه بطريقة لطيفة فأشار عليه أن يضع ريالا فى كل فردة من الحذاء ويشهد ما يكون من أمر الفلاح متلذذا برؤيته فى حيرة

فعمل التلميذ باشارة معلمه ، ثم اختبأ الاثنان بحيث لا ينظرهما الفلاح ولا يفوتهما شىء من المنظر

فلما صارت الشمس الى كبد السماء ترك الفلاح شغله كعادته عند الظهر وجاء الى حذائه ، ولما وضع فيه رجليه أحس بشىء فيه ، فبحث فوجد الريالين ، فخفق فؤاده فرحا ، وخر ساجدا شكرا لله على هذه المنحة ، فقال أشكرك يا الهى من صميم فؤادى على هـذه النعمة التى فرجت بها عن ضيقتى وكربى ، سبحانك يا رحيم ، يا كريم ، يا حنان ، يامنان

فتأثر الغلام من مثل هذا المنظر وأخذ يقبل يدى معلمه قائلا ·

لك الشكر ياسيدى على ماعلمتنى، فقد هديتنى الى أفضل طريقة يتوفر بها للانسان السرور الصحيح واللذة الحقيقية

فحبذا لو يقتدى بمثل هذا الفتى كل الفتيان ، فيعدلون عن الألعاب التى كثيرا ماتعود بالأذى عليهم وعلى الغير ، فيطلبون اللذة والسرور بفعل الاحسان والخير

لذة الانعام خير من لذة الطعام

دعا تاجر كثيرا من أصحابه وأحبابه لتناول طعام الغداء فى بيت له فى البرية على شاطئ البحر، ووعدهم أن يطعمهم نوعا من السمك البحرى الغالى الثمن والنادر الوجود

فبعد أن قدم لهم أطعمة كثيرة أحضر فى آخر الأكل صحنا كبيرا مغطى ، فظن المدعوون أن فيه السمك الذى وعدهم به ؛ لكن حينما كشف الصحن وجد به بعض قطع ذهبية ، فأحدثهم الدهشة والاستغراب

وأخذ التاجر يخاطبهم قائلا : إخوانى وأحبابى ، إن السمك الذى وعدتكم باحضاره عال جدا ، حتى بلغ ثمنه فى هذه السنة ثلاث مرات مما كنت أظن ، وتباع السمكة الواحدة بعشرين فرنكا . فخطر فى بالى أنه يوجد فى هذه البلدة رجل مريض فقير، وهو وعائلته فى حالة بؤس شديد .

وان المبلغ الذى يصرف فى تهيئة صحن السمك يكفى النفقة على هـذه العائلة المسكينة مدة ستة شهور ؛ فان رغبتم فى احضار السمك فانى مستعد لشرائه وتقديمه اليكم على جناح السرعة ؛ وان رضيتم بأن أعطى ثمنه لتلك العائلة البائسة فتشاركوننى فى الاحسان اليها ، وانى أستعيض هذا السمك بسمك آخر أقل ثمنا منه ، ولـكن لا يقل لذة عنه

فجميع المدعوين استصوبوا رأى هذا الرجل المحسن الـكريم وقام كل واحـد منهم وأضاف قطعة ذهبية الى تلك القطع التى كانت فى الصحفة فنجت العائلة البائسة مما كانت فيه من الجوع والفقر ، وشعر المدعوون بلذة وسرور تام ، خير من لذة الطعام ، ولقد صدق من قال : عوضا من أن تبذر مالك فى المآكل اللذيذة أسعف به الفقراء والمحتاجين لتكتب فى عداد المحسنين ، وتنال الفوز والنصر من رب العالمين

الأمير الفرنسى المحسن

تقابل ضابط متقدم فى السن وذو عائلة من ضباط العساكر مع الدوق (دى بيرى) الذى كان عمره وقتئذ اثنتى عشرة سـنة بحديقة (فرساليا) فبينما كان يتمشى وحـده بعيدا عن حاشيته سلمه الضابط الشيخ عريضة بين له فيها مدة خدمته الطويلة فى الجيش الفرنسى والحالة السيئة التى هو فيها الآن . فأجابه الأمير بشاشة وحنو . ليس معى شىء فى

هذا الوقت ؛ ولكن يمكنك أن تقابلني غدا في الصيد فأمنحك ماتريد

ففي الميعاد المحدد أتى الضابط الى المحل المعهود ووقف بالقرب من الأمير ، فلما وقع نظره عليه تَقَدَّمَ قليلا ، ثم اغتنم فرصة عدم وجود أحد ناظر اليه وأخرج من جيبه كيسا به ثلاثون ليرة وألقاه في يد الضابط المسن . وكان هذا المبلغ مقدار مصروفه الخاص مدة شهر. ثم أوصاه بكتم هذا السر واخفائه ؛ ولكن اتفق أنه في مساء يوم الصيد طلب الملك أن يلعب الشطرنج مع الأمير الفتى ، فاعتذر عن ذلك باعذار مختلفة ، فتعجب الملك من امتناعه خلاف عادته ، وأخذ في الالحاح على حفيده ، فوقع الفتى في حيرة شديدة لأنه لايريد أن يكذب من جهة ، ويخاف أن يفتضح الأمر من جهة أخرى

وأخيرا احتج بعدم وجود نقود معه ، فسأله الملك : ماذا فعلت بالدراهم التي أخذتها أمس ؟

فأجابه الأمير الصغير وهو على استحياء · ياوالدي العزيز لقد أعطيتها لضابط شيخ كبير من ضباط الجيش الفرنسي أصابه فقر مدقع ، ولو كان معي أكثر منها لحرمت نفسي أيضا شفقة عليه، ورأفة به وبأولاده، إذ لا شيء يؤلمني أكثر من أن أرى في حالة الضيق والبؤس جنودا صناديد قد خدموا المملكة باخلاص وأمانة

فدهش الملك لويس الرابع عشر من حب حفيده للخير وحنو نفسه

الكريمة، وضمه الى صدره، ودعاه الى أن يأخذ منه مايريد من النقود حتى يمكنه أن يلعب معه، وفصلا عن ذلك أمر الملك بعلاوة مرتبه اثنى عشر فرنكا يوميا، وهذا نتيجة إحسانه

ولقد صدق من قال : إن السعادة الحقيقية والمسرة الخالصة هما قائمتان في عمل البر والاحسان

التفنن فى الاحسان

من ألطف ما قرئ فى تاريخ المحسنين حكاية عن (فرنكلان) الأمريكى وذلك . أن رجلا غريبا بعث اليه برسالة يسأله شيئا من المال يمكنه من العودة الى وطنه، فأجابه بقوله :

أخى العزيز، وبعد فقد اتصل بى خطابك المؤرخ فى كذا، فتأثرت مما بك من الضيق المالى، وهأنذا مرسل لك عشرة جنيهات ديناً عليك، لاهبة اليك، فبعد وصولك الى وطنك سالما لاتعدم واسطة تحصل بها على هذا المبلغ، فاذا تم لك ذلك، تبحث عن شخص يكون مثل ماأنت عليه الآن وتدفعه اليه، شارطا عليه أن يدفعها الى الى من كانت حاله مثل حاله وهكذا

وبذلك تكون أنت قد وفيت دينك، وأكون أنا بقليل من المال قد أنقذت خلقا كثيرين ممن قعد بهم الدهر دون الوصول الى أوطانهم .

بحر الاداب ج ٢ ص ١٠٣

الكرم والجود

كرم النبي صلى الله عليه وسلم

كان عليه الصلاة والسلام أكرم الناس خلقا ومالا ، لايبارى جودا وسخاء وسماحة نفس ، وصفه بذلك كل من عرفه وكانت حاله فى ذلك قبل النبوة كما كانت بعدها

فقد قالت له خديجة رضى الله عنها حين رجع اليها يرجف فؤاده بعد نزول الوحى عليه أول مرة كلا والله مايخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ « تقوم بالأمر العظيم » وتكسب المعدوم « تعطى المحتاج مايعز فلا يوجد » وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق

وكان جابر بن عبدالله يقول . ماسئل رسول الله ﷺ شيئا فقال لا

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما كان فى شهر رمضان

وروى أنه حمل اليه تسعون ألف درهم فقام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها

كرم الحسن بن على

قيل للحسن بن على بن أبى طالب · لأى شىء نراك لا تردّ سائلا وان كنت فى فاقة ؟

فقال : انى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا أستحى أن أكون سائلا وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض علىّ ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة ، أن يمنعى المادة ، وأنشد يقول ·

اذا ما أتانى سائل قلت مرحبا   بمن فضله فرض علىّ معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل   وأفضل أيام الفتى حين يُسئل

كرم صلاح الدين الأيوبى

إن كرم السلطان صلاح الدين الأيوبى كان أظهر من أن يسطر ، وأشهر من أن يذكر ، حتى أنه ملك ماملك ومات ولم يوجد فى خزائنه من الفضة الا سبعة وأربعون درهما ومن الذهب إلّا جرام واحد صورى

ويقال إنه اجتمع عنده جمع من الوفود بالقدس الشريف ، وكان قد عزم على التوجه الى دمشق ، ولم يكن فى الخزانة مايعطى الوفود ، فأمر ببيع أشياء من بيت المال وصرف ثمنها عليهم ، ولم يفضل منه درهم واحد

وكان رحمه الله يعطى فى وقت الضيق كما يعطى فى حال السعة

وكان أمناء خزائنه يخفون عنه شيئا من المال حذرا أن يفاجئهم مهم لعلمهم بأنه متى علم به أخرجه

وكان يقول : من الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب فكأنه يقول عن نفسه

وكان يعطى فوق مايؤمل الطالب فما سمع قط يقول : أعطينا لفلان

وكان يعطى الكثير ويبسط وجهه للعطاء بسطه لمن لم يعطه شيئا

فكان رحمه الله يعطى ، ويكرم أكثر مما يعطى

وكان قد عرفه الناس يستزيدونه فى كل وقت

جود حاتم الطائى

من أعجب ما يحكى أن أحد قياصرة الروم أراد اختبار حاتم الطائى فى جوده وكرمه ، وكان قد بلغه أن له فرسا من جياد الخيل عزيزة عنده فأرسل اليه بعض حجابه يطلب منه الفرس هدية ، فلما جاء الحاجب ديار طيئ سأل عن بيت حاتم حتى دخل عليه ، فاستقبله ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب الملك ، وكانت المواشي حينئذ فى المرعى ، فلم يجد اليها سبيلا لاكرام ضيفه ، فنحر الفرس ، وأضرم النار ، ثم دخل الى ضيفه يحادثه فأعلمه أنه رسول قيصر ، وأنه يستميحه الفرس ، فساء ذلك حاتما وقال . هلا أعلمتنى قبل الآن ؟ فانى قد نحرتها لك إذ لم أجد جزورا غيرها بين يدى

فعجب الرسول من سخائه وقال : والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا

وصار يضرب به المثل فى الكرم فيقال · أكرم من حاتم الطائى

حكمة الفلاح وكرم كسرى

وجد كسرى فلاحا طاعنا فى السن يغرس نخلا

فقال له متعجبا · أتؤمل أن تأكل من ثمر هذا النخل وهو لا يثمر إلّا بعد سنين كثيرة وقد فنى عمرك ؟

فقال أيها الملك غرسوا فأكلنا ، وغرسنا فيأكلون

فقال متعجبا من كلامه : زِه (وهى كلمة فارسية معناها حسن جدا) وأعطى الفلاح ألف دينار فأخذها وقال

أيها الملك ، ما أعجل ما أثمر هذا النخل ، فأعطاه ألف دينار أخرى فأخذها وقال أيها الملك ، وأعجب من كل شىء أن النخل أثمر فى السنة مرتين ، فاستحسن ذلك كسرى وقال زِه ، فأعطاه ألف دينار أخرى

ثم تركه وانصرف

سائل بباب أعرابي كريم

وقف سائل بباب أعرابي فخرجت له فتاة كئيبة حزينة وبيدها دجاجة ، فقال لها أين صاحب هذه الدار ؟

فقالت له . ثيابنا تجيبك على سؤالك

فقال أهو الذى حزنتم عليه ؟ لقد كان كريما ، كنت اذا جئت اليه أعطانى ناقة

فقالت له الفتاة . ياهذا ان اعطاءه لك الناقة بالأمس هو الذى دعانا أن نعطيك الدجاجة اليوم

كريم جاد بما عنده

قدم ابراهيم بن محمد المدينة ، فأتته عجوز من ولد الحارث ، فشكت اليه ضنك المعيشة ، فقال لها ما يحضرنى الكثير ، ولا أرضى لك بالقليل ، وأنا على ظهر سفر ، فاقبلى ما حضر ، وتفضلى بالعذر ، ياغلام ، ادفع اليها ما بقى من نفقتنا ، وخذ هذا العبد والبعير

فقالت : بأبى أنت وأمى ، أجزل الله فى الآخرة أجرك ، وأعلى فى الدنيا كعبك ، ورفع فيها اسمك ، وغفر لك يوم الحساب ذنبك ، فأنت والله كما قالت أم جميل بنت حرب

زين العشيرة كلها في البدو منها والحضر
ورئيسها في النائبا ت وفي الرحال وفي السفر
ورث المكارم كلها وعلا على كل البشر
ضخم الدسيعة [1] ماجد يعطي الجزيل بلا كدر

حاتم الطائي جاد بروحه [2]

خرج حاتم الى بعض القبائل في حاجة فاجتاز بأسير عندهم يتوقع الفكاك ولو الى الهلاك

فلما سمع بمرور حاتم تنفس تنفس الرجاء ، وأخذ يصيح : أغثني يا أبا سفانة (بنت حاتم وبها يكنى وكانت مثله في الجود ومكارم الأخلاق) وإلا ذهب دمي هدرا ، فالتفت حاتم فأبصر حياً في صورة ميت قد أضنته جيوش الشدائد والأحزان ، وهو بعيد عن الأهل والخلان ، فرثى له وتوجه الى سيد القوم ، وسأله الافراج عن الأسير ، وتعهد له بالفداء فأبى الا أن يتقاضاه أول بدء

فاستغرب حاتم إباء الرجل مع مثله ، وأطرق مفكرا فيما ينقذ به الأسير ، ويخلصه من هذا الخطب العسير ، وكأنه وجه أفكاره الى القتال ، وركوب حد النصال ، فدعاه سخاؤه المعروف . أدرك هذا

(١) الدسيعة المائدة الكبيرة (٢) سبق ذكرها مختصرة

الأخيذ (الأسير) ولو بالنفس ، وبدار بدار قبل أن يحل فى الرمس

فانتصب قائلا . ها أنا ضامن لأسيرك ، وراض أن أكون مكانه الى أن يأتيك فداؤه ، فانى لاأحب أن يقال : إن حاتما بخل ولو بروحه

فراقت السيد مروءته ، ولزم السكوت هنيهة متأملا فى مقاله ، دهشا من فعاله وانفعاله ، ثم أجاب .

عمّرك الله ياأخا طيئ . طالما سمعت بجودك حتى شاهدته عيانا ، وكفى بذلك برهانا ، فانى تحققت الآن أنك جدير بأن تسترق رقاب الأحرار وتملك على جميع القرى والأمصار ، إذ لم أجد لك فى الدنيا من نظير فاذهب بمن تفتديه أيها الأمير ، دمت جارا لكل مستجير

فانصرف حاتم وبيده مفديه ، حتى اذا وصل الى بعض مفارق الطريق قال له

الحق بقومك ، وارجع الى أمك ، كى تقر عينها فلا تحزن

قال إن جميلك هذا قد أنبت فى صميم قلبى شجرة لن تزال تثمر الشكر الطيب أهديه اليك مادمت حياً

فأجابه حاتم : دع القول ، فان المسرة بالخير لفاعله ، أكثر منها لقابله ثم ودعه ولسان حاله يقول

اذا مرّ بى يوم ولم أتخذ يدا ولم أستفد فخرا فما ذاك من عمرى

(بحر الآداب ج ٢ - ص ١٧٢)

مثال آخر

أراد رحل أن يتأسى بحاتم الطائى فى الكرم، فصار يبدل مافى وسعه ليصل فى الناس موصل حاتم ، فلم يفلح ، فرأى فى دلك أنه مادام حاتم موجودا فلا يمكنه أن يصل الى غرضه ، فسولت له نفسه أن يبعث الى حاتم من يقتله ، فأوفد من أشرار العرب لقتل حاتم ، ثم حعل له حعلا فى نظير ذلك ، فلما وصل الرحل حى طئ قابل حاتما ولم يعرفه ، فسأله عن حاتم الطائى وأراد أن يستعين بهذا الرحل على قصاء وطره ، فأسرّ اليه أمره ، وما هو آت اليه ، فدله حاتم على منزله بدون أن يريه نفسه ، فلما دحل أمر حاتم حدامه أن يوسعوا قراه ويريدوا فى اكرامه

فلما مضى أكثر من يوم ولم ير حاتما ، سأل عنه فأحبروه أنه على سفر وسيحضر قريبا ، فانتظره ثلاثة أيام

فبيما هو على هذه إد أقبل عليـه حاتم وبيده سيف مسلول ، ففزع الرجل منه حيما نعرفه أنه ذلك الرحـل الذى قابله وأراد أن يعينه على عرصه

فقال له حاتم : لاتخف ، وحد هدا السيف واضرب عنقى ، وادهب الى سيدك ، وحد منه ما وعدك به ، ولولا قلة دات يدى الآن لدفعت الك أضعاف ما أنت مؤحر عليه

فبهت الرجل ، وخرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق استسمحه قائلا : شلّت يد تريدك بالسوء

فزوّده حاتم بما فى وسعه وذهب الى حال سبيله

فلما وصل حيّه أخبر صاحبه أنه لايوجد أكرم من رجل جاد بروحه

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

نبذة صغيرة

فى حياة الأئمة الأربعة وما تضمنته من فضائل

١ — الامام أبو حنيفة

« تورعه وزهده ، اباؤه تولى القضاء فى بغداد مع الحاح أبى جعفر فى ذلك »

هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق ، وقدوة أهل الرأى ، وصاحب المذهب المقضى به الآن فى أكثر الممالك الاسلامية

ولد سنة ٨٠ هجرية بالكوفة ، وعاصر بعض الصحابة ، واشتغل بالفقه وأخذ كل علمه عمن شافهوه الصحابة ، ونقل عنهم واستنبط فقهه من القرآن الكريم ، وما صح عنده من الحديث على قلته مع استعمال الرأى والقياس وتابعه فى ذلك بقية أهل العراق لقلة رواة الحديث الصحيح بينهم وكثرتهم فى الحجاز ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه الأئمة من أصحابه ، كمحمد بن الحسن الشيبانى وأبى يوسف قاضى القضاة ببغداد وزفر بن الهُذيل التميمى

وكانت صناعته بيع الخز (أى الحرير) وكان عالماً عاملاً ، زاهداً عابداً ، ورعاً تقياً ، كثير الخشوع ، دائم التضرع الى الله

وعُرض عليه القضاء من قبل أمراء بنى أمية فأبى ، ثم استدعاه

أبو جعفر المنصور من الـكوفة الى بغداد وطلب اليـه أن يتولى القضاء فامتنع ، فحلف المنصور ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة ألا يفعل وقال : انى لن أصلح الى قضاء

فقال الربيع بن يونس الحاجب · ألا ترى أمير المؤمنين حلف ؟

فقال أبو حنيفة : أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر منى على كفارة ايمانى ، فأمر بسجنه فى الحال ، فسجن وأوذى ، حتى قيل أنه مات فى سجنه رحمه الله سنة ١٥٠ هجرية

قال الربيع : رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة فى أمر القضاء وهو يقول « اتق الله ولا ترع فى إمامتك إلّا من يخاف الله ، والله ماأنا مأمون الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليك »

ثم لو تهددتنى أن تغرقنى فى الفرات أو تلى الحكم لاخترت أن أغرق ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك

فقال له قـد حكمت لى على نفسك كيف يحل لك أن تولى قاضيا على امامتك وهو كذاب

وكان أبو حنيفه حسن الوجـه ، عظيم الـكرم ، حسن المواساة لاخوانه ، قوى الحجه جدا

٣ – الامام مالك

« وقاره وتعظيمه للدين ومواساته لغيره من الناس »

هو أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة وسيد فقهاء الحجاز ومن قيل فيه : لا يُفتى ومالك بالمدينة

ولد رضى الله عنه بالمدينة سنة ٩٧ هجرية ونشأ بها وأدرك خيار التابعين من الفقهاء ، ورحل اليهم ، وأخذ عنهم ، وجد وكدح ، حتى صار اماما فى السُّنة ، وعرف الخلفاء قدره فأجلوه وحملوا اليه طائل الأموال ، ووشى به بعضهم الى عامل المدينة فأحضره وضربه سوطا ، ولما بلغ ذلك الخليفة المنصور عزل الوالى وأقدمه اليها مهينا محتقرا وقابله فى العام القابل فى موسم الحج فاعتذر اليه وطلب اليه أن يجمع ماثبت عنده من السُّنة ويدونه فى كتاب ويوطئه للناس ، فاعتذر عن ذلك ، فلم يقبل منه عذرا فألف كتابه (الموطأ) فى الفقه والحديث وجاء ولى عهده المهدى من قابل حاجاً فسمعه منه وأمر له بخمسة آلاف دينار وألف لتلاميذه

كان رحمه الله أول أمره فقيرا ثم توالت عليه منح الخلفاء فحسنت حاله وأظهر نعمة الله وواسى أهل العلم وأشركهم فى ماله وكان منهم الشافعى رضى الله عنه

كان رحمه الله حسن الهيئة والسيرة ، يكره الثياب الخَلِقة ويعد ذلك مُثلَة

وكان نقش خاتمه « حسبنا الله ونعم الوكيل » فسُئل عن ذلك فقال : سمعت الله تعالى يقول عقيب هذه الآية : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل »

وكان مجلسه مجلس وقار وحلم يحوطه فيه المستفهم عن الشيء هيبة شديدة

وكان لايحدث إلا وهو متوضئ ، ولا يركب فى المدينة مع ضعفه وكبر سنه احتراماً لبلد فيها جثة رسول الله ﷺ وكان يقول . أنا أستحى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة

وكان يعظم الدين ولايتقطع عن المسجد وتشييع الجنائز وعيادة المرضى ومواساة الفقراء وقضاء الحقوق . فلما كبر انقطع عن ذلك كله واحتمل له الناس ذلك

وكان رحمه الله كامل النفس لايزداد مع الخلفاء عن الأدب الذى يوجبه عليه الدين

قدم المهدى المدينة فبعث اليه بألفى دينار فقبلها ، ثم وجه اليه الربيع يطلب منه ملازمته الى مدينة السلام فقال له : قل لأمير المؤمنين المال عندى على حاله

وكانت وجوه بنى هاشم تقبل يده ، ورزقه الله العافية من ذلك ، وكان شديد الحرص أميناً على العلم

قال حرير · ان أبا حعفر المنصور عزم على أن يحمل الناس على موطئه فقال له · لاتفعل يا أمير المؤمنين ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق لهم وعملوا به ودانوا وقد أصبح ردهم عما اعتقدوا شديدا فدع الناس وماهم عليه

وكان مالك ادا أراد أن يحدث الناس عن رسول الله ﷺ يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له · اخفض صوتك فان الله تعالى يقول :

« يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته

وكان رحمه الله شديد الكراهة للغيبة ومن قوله فيها : كان عندنا بالمدينة قوم لاعيوب لهم ، فتكلموا فى عيوب الناس، فصارت لهم عيوب ؛ وكان عندنا قوم لهم عيوب ، فسكتوا عن عيوب الناس ، فنسيت عيوبهم ارتفعت أمانة العلم عنده لدرجة لاتقوى عليها نفوس العالم فنزل منزلا لم يخرج عنه حتى خرج من الدنيا

جاءه رجل ليستفتيه فى مسئلة فقال له : لا أحسنها

فقال له · قد ضربت اليك من كذا وكذا لأسألك عن هذا وتقول لى لا أحسنها ، ماذا أقول لأهلى ؟

قال له : قل لهم سألت مالكا فقال لى لا أحسنها

امتحنه الله سبحانه وتعالى على مقدار مبلغ استطاعته ومكانته وأمانته فاستدعاه الخليفة واستفتاه فى أمر فأفتاه بما لا يوافق هواه وغرضه فأمر بضربه فضرب ومدت يده حتى خلع كتفه

مازال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر سيدنا مالك رضى الله عنه بعد ذلك الضرب حتى أصبح فى رفعة لا يسمو عليها مقام ، وتجلى عليه مولاه بمظهر العزة ، حتى كأن تلك السياط حلية تحلى بها وأفضلية سما قدره اليها

توفى رحمه الله فى المدينة فى شهر ربيع سنة ١٧٩ هجرية ودفن بالبقيع مقبرة المدينة

ومن حكمه · العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم

ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكنه نور يضعه الله تعالى فى القلب

الامام الشافعى

اشتغاله بالعلم وهو صغير – شهادة الامام مالك بسعة علمه

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن شافع عالم قريش وامام الشريعة وحبرها وأفضل من رأى الناس فصاحة وقوة حجة لم يناظر أحدا الا ظهر عليه

ولد بالشام سنة ١٥٠ هجرية ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ

بها فقيرا تربيه أمه ، ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع ، وأولع بالشعر واللغة ، ورحل الى البادية فى تطلبها ، ثم تفقه وحفظ موطأ مالك وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل الى مالك وقرأ عليه الموطأ حتى حفظه ، ثم رجع الى مكة وعلم بها العربية والفقه ، وقد تولى بعض الأعمال فى اليمن بمساعدة قاضى اليمن (مصعب بن عبد الله القرشى) فأحسن التصرف فيه ؛ لكنه وُشى به الى الرشيد بتهمة التشيع لعلى ، وكانت اليمن مهد الشيعة الذين يكيدون لبنى العباس ، فقبض عليه ثم تبين له براءته فأطلقه ووصله بجزيل العطايا

قيل : مرّ به رجل من الزبيديين بمكة وهو ينشد الأشعار ويذكر الآداب ويروى الأخبار

فقال له يا أبا عبد الله عزيز علىّ أن لا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه تسود به أهل زمانك

فقال · ومن بقى حتى يقصد ؟ فقال له مالك سيد المسلمين

فوقع فى قلبه ذلك ، وعمد الى الموطأ ، فحفظه ورحل الى مالك فأخذ عنه الفقه

وكان سيدنا مالك يثنى على فهمه وحفظه ، وشهد له بسعة علمه ووصله بهدية لما رحل عنه ، وكان الشافعى يقول · مالك معلمى وأستاذى ، منه تعلمنا وما أحد أمنّ علىّ من مالك ، وقد جعلت مالكا حجة بينى

و بين الله

دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه وأملى بها مذهبه القديم ، وفى سنة ٢٠٠ هـ خرج الى مصر وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته ، وأملى بها مذهبه الجديد بجامع عمرو — وكانت آراؤه وسطا بين أهل الرأى من أصحاب أبى حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك وأحمد

ظهر مذهبه رضى الله عنه فى مصر ، وكثر مقلدوه فيها ، ثم انتشر بالعراق وخراسان والداغستان وما وراء النهر ، والبلاد القاصية لا يعرفون حجة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى غير الشافعى

وكان رضى الله عنه كالشمس للدنيا ، والعافية للناس ، وقد ألف كتاب (الأم) وهو من أجل الكتب فى أصول الفقه جمع بين حجة المأخذ وبين متانة العبارة ، فهو الأم الولود حقيقة لكل حقيقة فى علم الفقه ومعرفة الأحكام

وكان فى صباه يجالس العلماء ، ويكتب مايستفيده فى العظام ونحوها حتى ملأ منها خبايا ، وقد انتقل الى رحمة الله تعالى ، وهو قطب الوجود يوم الجمعة سلخ رجب سنة ٢٠٤ هـ ودفن بالقرافة بعد العصر من يومه وانتشر علمه فى جميع الآفاق ، وتقدم على الأئمة فى الخلاف والوفاق وعليه حمل الحديث المشهور . عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً وفى

رواية : لاتسبوا قريشا ، فان عالمها يملأ الأرض علماً

قال جماعة من الأئمة منهم الامام أحمد . هـذا العالم هو الامام الشافعي رضى الله عنـه لم ينشر في طباق الأرض من علم عالم ما انتشر من علم الامام الشافعي

وروى عن الامام أحمد بن حنبل : أنه سألته ابنته عن الامام الشافعي وكان يعظمه كثيرا فقال لها ، هو رجل كالشمس فى الدنيا ، والعافية فى البدن ، فاذا ذهبا هل لها من خلف ؟

الامام أحمد بن حنبل

تفانيه فى مبادئه – وثباته على الحق مع تعذيبه وحبسه

هو الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى الأصل ، حافظ السنة ، وقدوة أهل الحديث ، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ فى ربيع الأول ، ولم يره أبوه لأنه تركه طفلا . نشأ فى بغداد فى طلب العلم وخدمته ، وسافر فى طلب الحديث من شيوخه ، وسمع من أئمة زمانه وكان الحديث قد كثرت رجاله ، وصنفت كتبه ، وتميز صحيحه من موضوعه ، فلقى العدد العديد من رجاله ، وجاب البلاد ، وطوف الأمصار حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ، وانتقى منها مسنده الذى

ضمنه نيفا وأربعين ألف حديث ، واستنبط مذهبه من السنة ، مشوبا بشيء من القياس والرأى . وكان يعتنق مذهب الشافعى ، وهو من أكبر تلاميذه البغداديين

نشأ عفيفا مستقيما ، يخاف الله ويخشاه ، فلا يتعدى محارمه أبدا

روى أبو عبد الله قال : كان أحمد بن حنبل معنا فى الكتاب ، وكان الخليفة بالرّقة ، ومعه خاصته فيكتبون الكتب الى منازلهم ، فتبعث النساء الى المعلم أن ابعث لنا بابن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم ، فكان اذا دخل البيوت لا يرفع طرفه أبداً حتى كان الناس تعجب من حسن طريقته وأدبه عند ذكره

بدأ فى طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة ، ورحل فكتب عن علماء كل بلد ، وأول من كتب عنه الامام أبو يوسف ، وكان يقول . أنا أطلب العلم الى أن أدخل القبر

واجتهد كثيرا فى نقل الأحاديث الصحيحة ، وبلغ مانقل منها مقداراً عظيما جدا ، فاق حد التصور ، وأعجب به معاصروه

كان متأدبا غاية الأدب ، متواضعا غاية التواضع ، يرى ذلك عليه من غير تصنع ولا محاباة ، فكان من فرط تعظيمه لمشايخه لا يتكلم فى مجالسهم بشيء ، ويجيب من يسأله فى ذلك بأن الانسان له لسان واحد وأذنان ، ليسمع أكثر مما يتكلم

كان وحيدا فى عصره فى الاشتغال بالعلم والحفظ . وكان يصلى العصر ثم يستند قائما الى أصل منارة مسجده، فتحتاط به الناس يسألونه الحديث، وهو يجيبهم ويحدثهم عن ظهر قلب، والكل قيام على أرجلهم لايفرغ ولا ينتهون الى أن تجب صلاة المغرب

لم يتزوج الا بعد الأربعين سنة، حتى لايتشاغل عن العلم، فبلغ من العلم ما أراد، كأن علم الدنيا كان بين عينيه، جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء، ويمسك ماشاء، كان امام المحدثين فى عصره، وكان من أصحاب الامام الشافعى، ولم يزل مصاحبا له الى أن ارتحل الشافعى الى مصر وقال الشافعى : خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل

مؤلفاته · المسند فى الحديث ، وكتاب طاعة الرسول ، وكتاب الناسخ والمنسوخ ، وكلاهما فى علم الأصول وتوفى رحمه الله ببغداد سنة ٢٤١ ﻫ ودفن فى مقبرة باب حرب . وحضر جنازته من الخلق مالا يحصى ، واليه ينسب أحد المذاهب الأربعة الاسلامية ، وتعرف اتباعه بالحنابلة ، ومقلدوه قليل ، لبعد مذهبه عن الاجتهاد ، وأكثرهم بالشأم والعراق . وكان كثيرا ما يتمثل بقول الصديق رضى الله عنه اذا مدحه مادح : اللهم أنت أعلم منى بنفسى وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى مالا

يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . ومذهبه منتشر فى بلاد نجد والحجاز ولما انتشرت فتنة القول بخلق القرآن فى عهد المأمون ، سيق الامام أحمد بن حنبل الى الحكومة ، وحمل على أن يقول بأن القرآن مخلوق مشايعة للرأى الرسمى اذ ذاك ، فلم يقلها ، وثبت على الحق ، فضرب وحبس وهو مصرّ على الامتناع ، وكان ضربه سنة ٢٢٠ هـ

وكان رحمه الله حسن الوجه ، ربعة يخضب بالحناء خضبا ليس بالقانى وكان فى لحيته شعرات سود، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل منهم : محمد بن اسماعيل البخارى ، ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، ولم يكن آخر عصره من يدانيه فى علمه وورعه

وكان يضرب به المثل فى التمسك بمبادئه ، وهى اتباع السنة واجتناب البدعة

اللّهم وفقنا لاتباعها ، والعمل بها ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أولاً وآخراً



﴿ تم بعون الله الجزء الثالث ويليه ان شاء الله الجزء الرابع ﴾

الفهرس

﴿ تم بعون الله ﴾

مجموعة قصص تهذيبية ، وحكايات خلقية ، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب



الأمين الأول لدار الكتب المصرية

الجزء الرابع

في الأخلاق

وفق منهج وزارة المعارف العمومية الأخير

الطبعة الأولى

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م

يطلب من ملتزمي طبعه ونشره

عيسى البابي الحلبي وشركاه

أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

السمير المهذب

مجموعة قصص تهذيبية ، وحكايات خلقية ، وأمثال أدبية

تأليف واقتباس وتعريب



الأمين الأول لدار الكتب المصرية

الجزء الرابع

فى الأخلاق

وفق منهج وزارة المعارف العمومية الأخير

الطبعة الأولى

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م

يطلب من ملتزمي طبعه ونشره

عيسى البابي الحلبي وشركاه

أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »

قرآن كريم

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

حديث شريف

« وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا »

شوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الموصوف بالخلق الكريم ؛ الذى مدحه الله بقوله « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا سنته ، وسلكوا طريقه المستقيم

وبعد فهذا هو الجزء الرابع من كتاب السمير المهذب

وهو يشتمل على مقرر السنة الرابعة للمدارس الابتدائية فى الأخلاق ، وفق منهج وزارة المعارف العمومية الأخير .

وقد ختمته بنبذة صغيرة فى خلاصة سير عمر بن عبد العزيز ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، وصلاح الدين ، ومحمد على باشا (رأس الأسرة المالكة) ليكون ذكرهم مثالا صالحا للأخلاق الفاضلة يهتدى به ، وقدوة حسنة لشبان اليوم ورجال المستقبل

وانى لأرجو أن أكون بعملى هذا قد قمت ببعض الواجب علىّ نحو خدمة أبناء وطنى العزيز الذى آمل أن أراه فى مقدمة الأمم تقدما وحضارة

وما أردت إلا الخير والاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وبه استعنت ، فنعم المولى ، ونعم النصير

علی فکری
الأمين الأول
لدار الكتب المصرية

مصر الجديدة فى أول مايو سنة ١٩٢٩

منهج الأخلاق

المقرر للسنة الرابعة بالمدارس الا بتدائية

١ – واجب الانسان نحو نفسه :

ترقية الانسان نفسه بنفسه . الاعتماد على النفس (الجدّ والسعى قوة العزيمة الثقة بالنفس . التواكل ومضاره) – الكرامة واحترام النفس وعدم التذل – الشجاعة والإقدام – الشجاعة الأدبية – الاعتدال - التوفير والاقتصاد – تدبير الوقت

٢ – واجب الانسان نحو أسرته

واجبه نحو أبويه واخوته ونحو الخدم . صلة الرحم

٣ – واجب الانسان نحو المدرسة :

احترام نظم المدرسه وقوانينها واجب التلميذ نحو المربين . واجبه نحو رفقائه ، وأصدقائه

٤ – واجب الانسان نحو مهنته

الاخلاص ومراعاة الذمة فى العمل . بذل الجهد فيه محبة العمل والثبات فيه والمثابرة عليه . التضحية فى سبيل المهنة . عناية الانسان بكل مايرقى مهنته ويعلى شأنها

٥ – واجبات وفضائل اجتماعية .

الصدق والأمانة — الوفاء بالوعد — العدل والانصاف — الحلم وضبط النفس (امتلاك النفس حين الغضب . كبح جماح الشهوات . صيانة اللسان) حسن المعاملة — التعاون (التعاون المالى . الشركات والمصارف . الأندية العلمية والأدبية)

٦ – واجبات المرء نحو الانسانية

المواساة . الرحمة والعطف الرفق بالضعيف . حقوق الحيوان وواجب الرفق به . الملاجئ المستشفيات .

الباب الأول

واجب الانسان نحو نفسه

للانسان نحو نفسه حقوق وواجبات لحفظ كيانه ، والدفاع عنها ، ولحفظ كرامته وسمعته وتلك الواجبات تنقسم الى ثلاثة أقسام : مادية -- وصحية — وأدبيه

الواجبات المادية — من واجبات الانسان نحو نفسه أن يكد ويشتغل ، وألا يتكل فى تحصيل رزقه على أحد ، بل يعتمد على نفسه ليكسب عيشه ، ومادة حياته ، ولكيلا يصير عاطلا وكَلاًّ على الهيئة الاجتماعية ، ففى الشغل مادام شريفا فائدة جوهرية للانسان ، وما اللذة إلا بعد التعب ؛ وأما البطالة والكسل فهما لايقلان ضررا عن شرور الرذائل ، واقتحام الشهوات ، وارتكاب الموبقات

وعليه ألا يكون مبذرا فى أمر معاشه ، بل يكون معتدلا ومقتصدا فى نفقاته ليحفظ نفسه من الوقوع فى الدين وذله ومضاره

وعليه ألا يضيع ماله فى لعب الميسر (القمار) أو المضاربات فى القطن أو الأوراق المالية أو (اليانصيب اللوترية) فانها نذير الخراب ، فضلا عن أنها حرام

الواجبات الصحية — أما واجباته الصحية فتكون باتباع ومراعاة القوانين الصحية ، بمعنى أن يحافظ الانسان على سلامة جسمه ، بتناول الغذاء الصحى الجيد ، وتعاطى المشروبات النقية الخالية من الغش المفيدة لصحته مع الامتناع قاطبة عن المشروبات الروحيــة (المضرة بجسمه وعقله) وكذا جميع أنواع المخدرات والمغيبات

وعليه أن يلبس الملابس الصحية المتينة ، وأن يتحرى النظافة والطهارة فى بدنه وملبسه ، وأن يتجنب الانتقال السريع من الحر الى البرد ، وألا يعرض نفســه لتيار الهواء ، وأن يروض جسمه بالمشى والألعاب الرياضية التى تعود عليــه بالقوة والعافيــة ؛ لأن سعادة الانسان فى حياته لاتــكون إلا بمقــدار محافظته على صحته ، وعنايته براحته ، وان شئت فقل السعادة هى الصحة

الواجبات الأدبية — أما واجباته الأدبية فتــكون :

أولا — فى الاستمرار على تغــذية عقله بالعــلوم والمعارف ، لأن الانسان مهما بلغت قيمته ، وعظمت منزلته لايزال محتاجا الى العلم فى جميع أطوار حياته

ثانيا — أن يعرف قدر نفسه ؛ لأن أفضــل مزية للانسان هى أن يعرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

وقد جاء فى الأثر « رحم الله امرأً عرف قدر نفسه . »

أى أن يعرف مبلغ علمه ، ومقدار مواهبه العقلية من ذكاء وفطنة وذاكرة وقريحة ، وقواه الجسدية والمادية ، ومقامه الأدبى ، ونفوذه ، ومركزه فى الهيئة الاجتماعية

وبالاجمال يعرف كل صفاته ومزاياه ، حتى لا يكون مخدوعا بحب نفسه ، مغرورا بها ، مدعيا بما ليس فيه ، ومن يقارن أفعال المرء العارف قدر نفسه ، بأفعال الشخص المغرور المدعى ظهرت له قيمة تلك المزية ؛ فالأول يتكلم بما يعلم فيُحترم ، والثانى يهرف بما لا يعرف فيُحتقر ، وذاك يدعى مافيه من المزايا فيحسن الظن به ، وهذا يدعى أكثر مما فيه ، فتكذبه شواهد الامتحان ، فيذل ويهان ، وذاك يسعى على قدر علمه وطاقته فينجح ، وهذا يسعى فوق طاقته فيخذل ويفشل

وذاك يسعى عن علم وخبرة فيسال على قدرها ، وهذا يخبط خبط عشواء فيخيب

وهكذا تكون مساعى الأول صائبة فى الغالب ، ومساعى الثانى خائبة

والناس يميزون بلا شك بين أفعال الاثنين ، فيمدحون الأول ويذمون الثانى

ثالثا — أن يكون محبا لنفسه ، أى مراعيا لخير نفسه ، دافعا عنها

كل مايضره ويؤذيه فى حياته ؛ لأنه ليس أعز على الانسان من نفسه ، ولولا حب النفس لما كان البقاء ، لأنه هو الدافع للمرء على السعى فى طلب الرزق والارتقاء ، وتنازع البقاء

ولكن يجب أن يقف به ذلك عند حد الاعتدال بحيث لا يدفعه للاساءة الى الغير ، فان ذلك رذيلة مكروهة تجر على صاحبها الوبال والخسران ؛ بل يجب أن يحب لأخيه مايحب لنفسه عملا بقوله ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه »

رابعا — أن يكون محترما لنفسه ، ملتزما مايوجب احترامها عند الغير باتباع أحسن الآداب ، وانتهاج خير السبل فى الأمور الاجتماعية ؛ لأن كل مايبدو منه شائنا فى كلامه أو زيه أو حركاته أو مخالفه حسه ، أو خشونة طبعه ، أو شراسة خلقه ، ينقص من قدره ، ويحط من منزلته بقدر ماعنده من الرذائل مهما كانت ثروته أو رتبته أو جاهه

خامسا — أن يقاوم نفسه وهواه ، وأن يحافظ على نفسه من الوقوع فى ثورة الشهوات والموبقات ؛ لأن الرجل الذى يدمن الخمر ، ويطرق بيوت الخنا والدعارة ، ويتعاطى الحشاس وغيره من أنواع السموم ليس فى حكم الشرع والأدب رجل الهيئة الاجتماعية الذى يرجى خيره ؛ بل هو شر على المجتمع الانسانى لكثرة ذنوبه ومساويه ؛ ومثل هذا يجب تجنبه تفاديا من ضرر أخلاقه المعدية كما يتجنب

السليم الاحرب

فواحب الانسان نحو نفسه يقضى عليه حيال شرفه ، وإزاء فائدته ونفع أهله ومصلحة هيئته ، ألا يكون سكيرا ، ولا حشاشا ، ولا محبا للفساد ؛ بل يكون رجلا مستقيما شريفا

الخلاصة

واجبات الانسان نحو نفسه ، أى نحو جسمه وروحه

واجباته نحو جسمه تكون بمراعاة القوانين الصحية من حيث جودة الغذاء وجودة الهواء ونظافة البدن والرياضة وغيرها

واجباته نحو روحه تكون باستمراره على تغذية عقله بالمعارف وتعلم العلوم ، والابتعاد عن البطالة والكسل وأن يكد ويشتغل ، وألا يتكل على أحد فى تحصيل رزقه بل يعتمد على نفسه

وأن يعرف لنفسه قدرها ، فلا يكون مغرورا ، ولا مدعيا فخورا ، وأن يكون محبا لذاته ، والدفاع عن كيانه ؛ بحيث لا يضر أحداً غيره فى جسمه أو ماله أو عرضه ، وأن يكون محترما لنفسه ليكون محترما عند غيره ، وأن يتغلب على نفسه وهواه ، ويبتعد عن ارتكاب المحرمات ، والوقوع فى ثورة الفساد والشهوات ، ليكون رجلا مستقيما شريفا

التربية الاجتماعية
لعلى فكرى

ترقية الانسان نفسه بنفسه

يجب على الانسان أن يرقى نفسه بنفسه ، لأن الرجل اذا صغرت نفسه لم يرض لها من أحواله وأطواره إلا ما يشا كل منزلتها عنده ، فتراه صغيرا فى علمه ، صغيرا فى أدبه ، صغيرا فى مروءته وهمته ، صغيرا فى ميوله وأهوائه ، صغيرا فى جميع شؤونه وأعماله ، فان عظمت نفسه عظم فى جانبها كل ما كان صغيرا فى جانب النفس الصغيرة

ولقد سأل أحد الأئمة العظماء ولده وكان نجيبا : يابنى أى غاية تطلب فى حياتك ؟ وأى رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون ؟

فأجابه أحب أن أكون مثلك ياأبت

فقال ويحك يابنى ! لقد صغرت نفسك ، وسقطت همتك ، فلتبك على عقلك البواكى ، لقد قدرت لنفسى يابنى فى مبدأ نشأتى أن أكون كعلى بن أبى طالب ، فما زلت أجد وأكدح حتى بلغت المنزلة التى تراها ، وبينى وبين على ماتعلم من الشأو البعيد ، والمدى المستطيل ، فهل يسرك وقد طلبت منزلتى أن يكون مابينك وبينى من المدى مثل مابينى وبين على ؟

وجاء فى المأثور عن معاوية رضى الله عنه أنه قال همّوا بمعالى الأمور لتنالوها ، فانى لم أكن للخلافة أهلا فهممت بها فنلتها

وجاء فى التاريخ أن الرجل العظيم (برنادوت) رأس الأسرة الحاكمة على السويد لم يكن فى إبان أمره الا عاملا صغيرا فى مصنع ، وكان يخيل اليه أثناء العمل أن هاتفا يهتف فى أذنه بكلمتى (ستكون ملكاً) فطفق من حينه يعمل لتحقيق هذه النبوءة حتى صار ملكا

وكذا (نابليون بونابرت) وصل بنفسه من ضابط صغير الى امبراطور فرنسا . وجاء أخيرا فى الأخبار عن أمريكا · ان المستر هوفر (رئيس الولايات المتحدة) كان فى بدء حياته بائعا للصحف فجدّ وسعى وارتقى بنفسه حتى وصل الى أعظم مركز فى بلاده

وكذا محمد على باشا (رأس الأسرة المالكة) وصل بجده من رتبة صغيرة فى الجيش الى مركز والى مصر الأكبر ومؤسس دعائم نهضتها الحديثة

وكان المرحوم عبد الله باشا فكرى (وزير المعارف سابقا) طالبا بالأزهر الشريف ثم كان كاتبا ولم يزل يطلب العلم فى وقت فراغه ويرقى من منصب الى منصب حتى ولى وزارة المعارف العمومية

ونشأ رفاعة بك رافع الطهطاوى فقيرا ثم غدا علما حاذقا من أعلام النهضة المصرية الحديثة بجده وقوة عزيمته وارتقى بنفسه

ومن أعظم الرجال المعدودين فى نهضة مصر العلميـة المرحوم على مبارك باشا وكان فقيرا وعهد اليه أبوه برعى الماشية ؛ ولكنه هرب

وذهب الى مدرسة الخانقاه وأخذ فى طلب العلوم والمعارف حتى وصل به الأمر الى التربع فى دست الوزارة فكان وزيرا للأشغال والأوقاف والمعارف ، وحياة هذا الرجل أكبر وأعلى مثال لترقية النفس بالنفس

فياطالب العلم كن عالى الهمة ، ولا يكن نظرك فى تاريخ عظماء الرجال نظرا يبعث فى قلبك الرهبة والهيبة ، فتتضاءل وتتصاغر ، كما يفعل الجبان المستطار ، حينما يسمع قصة من قصص الحروب ، أو خرافة من خرافات الجن ، وحذارِ أن يملك اليأس عليك قوتك وشجاعتك ، فتستسلم استسلام العاجز الضعيف وتقول : من لى بسلم أصعد به الى السماء حتى أصل الى قمة الفلك فأجالس فيها عظماء الرجال

ياطالب العلم أنت لاتحتاج فى بلوغك الغاية التى بلغها المتقدمون الراقون النابغون من قبلك الى خلق غير خلقك ، وجوّ غير جوّك ، وسماء وأرض غير سمائك وأرضك ، وعقل وأداة غير عقلك وأداتك ؛ ولكنك فى حاجة الى نفس راقية كنفوسهم ، وهمة عالية كهممهم ، وأمل أوسع من رقعة الأرض ، وأرحب من صدر الحليم ، ولا يتمطلك مايهمس به حاسدوك فى خلواتهم من وصفك بالسماحة ، فنعم الخلق هى إن كانت السبيل الى بلوغ الغاية ، فامض فى وجهك ، ودعهم فى غيهم يعمهون

جناحان عظيمان يطير بهما المتعلم الى سماء المجد والشرف : علو الهمة ،

والاعتماد على النفس ، والجد والسعى

فلترقية الانسان نفسه بنفسه ، يجب أن يكون قوى الارادة والعزيمة يجد و يسعى لما فيه نفعه وتقدمه ، واثقا بنفسه ، معتمدا عليها ، محترما لها ، حافظا لكرامتها ، شجاعا مقداما ، معتدلا ، مدبرا فى ماله ووقته

المرء حيث يجعل نفسه

كان كافور الإخشيدى وصاحبه ، عبدين أسودين ، فجئ بهما الى قطائع ابن طولون صاحب الديار المصرية وقتئذ ليباعا فى أسواقها ، فتمنى صاحبه أن يباع لطباخ حتى يملأ بطنه بما شاء ، وتمنى كافور أن يملك هذه المدينة ليحكم وينهى ويأمر

وقد بلغ كل مناه ، فبيع صاحب كافور لطباخ ، وبيع كافور لأحد قواد المصريين فأظهر كفاءة واقتدارا

ولما مات مولاه قام مقامه واشتهر بذكائه وكمال فطنته حتى صار رأس القواد وصاحب الكلمة عند الولاة ، وما زال يجد ويجتهد حتى ملك مصر والشام والحرمين

ثم مرّ يوما بصاحبه فرآه عند الطباخ بحالة سيئة فقال لمن معه : لقد قعدت بهذا همته ، فكان كما ترون ، وطارت بى همتى فكنت كما ترون ، ولو جمعتنى واياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد

ولله در عمرو بن العاص حيث يقول : المرء حيث يجعل نفسه ، إن رفعها ارتفعت ، وإن وضعها اتضعت

وقال الشاعر

وما المرء الا حيث يجعل نفسه   فكن طالبا فى الناس أعلى المراتب

الاعتماد على النفس

الحياة جهاد وكفاح ، ولا يفوز فى معتركها إلّا من ثابر على أداء عمله ، معتمدا على نفسه ، والاعتماد على النفس هو أن يباشر الانسان أعماله نفسه ، وينظر فى أحواله وحده ، فلا يحتاج الى معين يعينه ، أو شريك يشاركه ، مالم تكن تلك الأعمال ، وهذه الأحوال ، مما تجب فيه المساعدة والاعانة ، فان الانسان محتاج الى التعاون فى أشياء كثيرة ، لا يمت فيه خلق التواكل ، ولا تجعله من اهل الكسل إن اعتمد فيها على غيره

والاعتماد على النفس أصل كل نجاح ، وأساس الرقى والفلاح : يدعو صاحبه الى الجد ، ويسوقه الى النشاط ، ويميل من نفسه خلق التواكل ، الذى أخر الناس كثيرا ، وحط من قدرهم ، ووضع من شأنهم

فالواجب على المرء أن يتولى جميع أموره ، وألا يعول على غيره ،

وأن يعتمد على نفسه ، كما قال الشاعر :

ماحكَّ جلدك مثل ظفرك   فتول أنت جميع أمرك

وكما قال الطغرائى :

فانما رجل الدنيا وواحدها   من لايعول فى الدنيا على رجل

وقلّ من عاش فى الدنيا على أمل   واستنجد الجد إلا فاز بالأمل

وليس من حرج الاسترشاد بذوى العقول الراجحة ، والآراء الصائبة ، ممن يعتقد فيهم الصدق فى القول ، والاخلاص فى العمل ، فبذلك يضيف المرء عقولا الى عقله ، ويجمع آراء الى رأيه ، غير أنه لاينبغى أن يبلغ ذلك منه مبلغ الكسالى العجزة ، فيفقد شخصيته ، ويذهب بقوته ونشاطه ، والاعتماد على النفس من أسباب رقى الأمم وتقدمها ، فاذا وجد فى الأمة أفراد يعتمدون على أنفسهم ، ولا يحتاجون الى مشاركة غيرهم ، تقدموا وتقدمت بلادهم ، بكدهم واجتهادهم ، وارتقوا وارتقت أوطانهم ، وعزوا وعزت أمتهم

فرقى البلاد وانحطاطها ، وتقدمها وتأخرها ، كل ذلك مرتبط بالأفراد ، وارتباطهم بقوة الاعتماد ، وما الأمة إلّا جسم أعضاؤه الأفراد ، فالعامل المجد النشيط ينشطه ، والخامل يضعفه ، فلو استؤصل الجهلاء ، وقطع دابر الكسالى ، نما ذلك الجسم ، وترعرع وقوى واشتد ، وقدر على أن يرتفع بنفسه إلى ذروة العلا والكمال

فكل واحد من أفراد الأمة العاملين يعمل لنجاحها وتقدمها ، ورقيها وفلاحها ، ينفعه ماينفعها ، ويضره مايضرها ، لا فرق فى ذلك بين الصانع الصغير ، والأمير الكبير ، فلولا الصغير ما كان الأمير ، ولولاهما ما كانت الأمة

وأن كثيرا من العظماء والكبراء اكتسبوا عزهم هذا ، باعتمادهم على أنفسهم ، وجدهم ونشاطهم ، ولم يكونوا من أولاد الأغنياء ، وأهل الثراء ، فرب عامل فقير معتمد على نفسه سبق الغنى الخامل المعتمد على غيره ، وكان نورا يهتدى به مفاخروه ، ومن يخلفهم جيلا بعد جيل

فالغِنَى ليس شرطا لنيل السعادة والمجد ، بل قد يكون سببا فى التأخر ، وعدم النجاح والسقوط فى مهاوى الجهل ، لأن صاحبه قد يعتمد على ثروته ، فلا يعمل لمستقبله ، حتى اذا ذهبت تلك الثروة ، وبددت تلك الأموال ، ساءت حاله ، فكان من الخاسرين . وذلك جزاء من لم يعتمد على نفسه

ومما يبعث هذا الخلق الطيب ، (والاعتماد على النفس) فى نفوس الأفراد اطلاعهم على أعمال من اجتهدوا وجدوا ، معتمدين على أنفسهم ، غير مبالين بالشدائد ، ولا مكترثين بالنوائب ، حتى نالوا أعلى الرتب والألقاب ، واستحقوا غاية الاعجاب

فالعاقل من اقتدى بالفضلاء والعظماء ، واعتمد على نفسه ، حتى

يكون مثلهم ، وينال شرفهم

عزيز النفس يعتمد على نفسه

دخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال له معاوية الى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟

قال : إن أبى أوصى إلىّ ، ولم يوص بى

قال : وبأى شىء أوصاك ؟

قال : أوصانى ألّا يفقد إخوانه إلّا شخصه

فقال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا سيكون نعم الخلف لأبيه

ذكر بعض من نبغوا من العرب

باعتمادهم على أنفسهم

إن تاريخ العرب حافل بالأمثلة والشواهد على أن الاعتماد على النفس قد يصل بالانسان الى مايقصر عنه جاهه وحسبه . واليك ذكر من نبغوا من العرب وأم الشرق وداسوا الفقر الذى ولدوا فيه وجعلوه سلماً لبلوغ ذرا المجد

١ — أبو الطيب المتنبي . كان أبوه سقاء ؛ ولكنه رقى بتوقد ذهنه ، وبلاغة شعره ، أسمى المراتب . وجمعت حكمه فكانت مثل حكم أرسطاليس كبير الفلاسفة في اليونان

٢ — جرير الشاعر المشهور – كان أبوه فقيراً معدماً . وأحد سأله رجل

من أشعر الناس ؟ فقال له : قم حتى أعرفك الجواب

فأخذ بيده وجاء به الى أبيه (عطية) وقد أخذ عنزاً وسقاها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : أخرج يا أبتِ

فخرج شيخ دميم الخلقة ، رث الهيئة ، وقد سال لبن العنز على لحيته

فقال جرير للسائل : أشعر الناس ، من فخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً ، وقارعهم به فغلبهم جميعاً

٣ — أبو تمام حبيب الطائى – نشأ بمصر ، وكان يسقى الناس ماء بالجرة فى جامع عمرو وقيل انه كان يخدم حائكا ، ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خمّارا بها

ثم قال الشعر البليغ ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان واحد عصره ، فى ديباجة لفظه ، وصناعة شعره ، وحسن أسلوبه ، وله كتاب الحماسة الذى دل على اتقان معرفته بحسن اختياره

٤ — أبو بكر الرازى الطبيب المشهور – كان فى شبيته يضرب بالعود ، ثم أقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فصار إمام عصره فى علم الطب ، وصنف فيه الكتب النافعة كالحاوى ، والجامع ، وغيرهما

٥ — ياقوت الحموى المؤرخ المشهور صاحب كتاب معجم البلدان – أسر من بلاده صغيرا واشتراه تاجر ببغداد اسمه ابراهيم الحموى ، فلما كثر شغله بالأسفار فى متاجره فأحرز أشتات الفوائد التى دوّنها فى مصنفاته الجليلة ومعجم البلدان من أجلّ الكتب الموضوعة فى علم تقويم البلدان (الجغرافيه)

٦ — المعز لدين الله أول خلفاء الفاطميين ومؤسس القاهرة . يقال انه لما دخل مصر قام له عالم جرئ من العلماء يسمى ابن طباطبا وقال له · الى من ينتسب مولانا الأمير ؟ فقال له المعز سنعقد مجلسا

بجمعكم ، ونقص عليكم نسبنا ، ولما استقر له الأمر جمع الناس بقصره وقام بينهم وجرد سيفه من غمده ورفعه قائلا : هذا نسبى ، ثم نثر عليهم بدرًا من الذهب قائلا : وهذا حسبى

٧ — الأمير أبو شجاع — أسر صغيرا من بلاد الروم ، ثم اشتهر بالشجاعة والإقدام ، وصار من الأمراء العظام ، وهو الذى مدحه أبو الطيب المتنبى بقصيدته المشهورة التى فى مطلعها

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

٨ – ابن الزيات وزير المعتصم ـ كان أبوه زياتا وكان هو كاتبا بباب المعتصم فاستوزره لأدبه وعلو همته وهو الذى مدحه البحترى بقوله :

وأرى الخلق مجمعين على   فضلك من سيد ومسود

الجد والسعى

ان نظام الحياة يتطلب السعى والجد ، ومصالح الحياة لا تقوم إلا باشتراك الأفراد ، حيث يقوم كل واحد بعمله ، فيجب على كل مخلوق أن يكد ويشتغل ولا يتكل فى تحصيل رزقه على أحد ، بل يعتمد بعد اعتماده على الله ، على نفسه وقوته ، ليكسب عيشه ، ومادة حياته ، بعرق جبينه ، ولكيلا يصير عاطلا ، وعالة على الهيئة الاجتماعية ، عملا بقوله تعالى : « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِى

حَنَا كِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » وقوله ﷺ :
« ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده »

الرزق وان كان مقسوما ، ولكن السعى فى طلبه أمر محتم على كل فرد ، والناس فى ميدان الحياة يتسابقون الى الرزق ، فأقواهم أسبقهم ، وأكثرهم سعيا أرقاهم ، وأسعدهم حالا ، وأهدأهم بالا ، وقد جاء فى الأثر : « إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا »

وبعض الناس يغلو فى التوكل ، والتسليم الى القضاء والقدر ، حتى يكفر نعمة الله ، فيعتقد أن لكل انسان ماقسم له من سعادة أو شقاء ، ومن سعد أو نحس ، وأن المساعى والوسائط كلها عبث وباطل ، مع أن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته تنزه عن الأعراض ، حث على السعى فى طلب الرزق ، فقال تعالى : « وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلأَوْفَى » وقال عز وجل : « وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ » كما أن رسول الله ﷺ روى عن ربه ، أن الله يقول : ياعبدى حرك يدك أضمن لك الرزق

ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام الى العمل وطلب الرزق ، كما روى فى بعض الآثار : اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض

وقال عليه الصلاة والسلام : « إعملوا فكل ميسر لما خلق له »

وقال عمرو بن العاص : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

وجاء فى الأثر : « إن الله يحب المؤمن المحترف »

وجاء أيضا : « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة يكفرها الهموم فى طلب المعيشة »

وجاء فى بعض الكتب السماوية « ابن آدم امدد يدك الى باب من العمل أفتح لك بابا من الرزق » وجميع الشرائع تحتم السعى للرزق ، وتأمر بالكسب مع الرفق فى الطلب ، والتوكل على الله فى السعى ، ليكون الرجاء بالكسب أقوى ، والاستئصال لجرثومة اليأس أقطع ، والعزيمة على السعى أمضى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يحض الناس على السعى ، ويحثهم على العمل والكسب فمما يؤثر عنه أنه مر بأناس من أهل اليمن فقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون ، فقال : كذبتم ، ما أنتم متوكلون ؛ إنما المتوكل رجل ألقى حبه فى الأرض وتوكل على الله

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا معشر القوم ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق واستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين

وقال أيضا : تعلموا المهنة فانه يوشك أن يحتاج أحدكم الى مهنة

وقال أيضا : لولا هذه البيوع لصرتم عالة على الناس

وقال أيضا : مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسئلة الناس (أى سؤال الناس) وكان رضى الله عنه اذا رأى فتى فأعجبه حاله سأل عنه : هل له حرفة ؟ فان قيل : لا . سقط من عينه

وكان يقول : لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللّهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض

وقال أيضا : يامعشر القوم التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس

وقال بزرجمهر : ان يكن الشغل مجهدة ، فان الفراغ مفسدة

وقال بعض الحكماء : اجعل الاجتهاد غنيمة صحتك ، والعمل فرصة فراغك ، فليس كل الزمان مؤاتيا لك ، ولا مافات مستدركا

وقال بعض السلف : إن الله تعالى جعل طلب الرزق مقصوراً على الخلق كله ؛ وأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرر وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة (الخديعة) والاحتيال

وقال بعض العقلاء : لاتمض يومك فى غير منفعة ، ولا تضع مالك فى غير مصنعة ، فالعمر أقصر من أن ينفد فى غير المنافع ، والمال أقصر من أن يصرف فى غير الصنائع ؛ والعاقل أجل من أن يفنى أيامه فيما

لايعود عليه نفعه وخيره ؛ وينفق أمواله فيما لايحصل له ثوابه وأجره

وقال الشاعر :

وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دَلْوَك فى الدلاء
تجىء بملئها طوراً وطوراً تجىء بحمأة وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمنى تحيل على القدر والقضاء
فان مقادر الرحمن تجرى بأرزاق الرجال من السماء
ومقدور بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

وقال آخر :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

وقال آخر

على المرء أن يسعى ويبذل جهده ويقضى إله الخلق ما كان قاضيا

وقال :

دع التكاسل فى الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

وجاء فى الحكم : العاقل من يعتمد على عمله ، والجاهل يعتمد على أمله

والنتيجة أن حظ الانسان من المكافأة والنجح فى الدنيا والآخرة سيكون على قدر مايبذله من العمل والسعى ، خيرا أو شرا ، قليلا أو كثيرا ، وجاء هذا المعنى أيضا : إن الله يعطى العبد على قدر همته ونهمته

ومما ورد فى السنة النبوية من التنويه بشأن العمل أن النبي ﷺ كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذى جلد وقوة قد بكر يسعى فقالوا . ويح هذا ! لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله أى فى الطاعات البدنية من صلاة وصيام وجهاد

فقال ﷺ : « لاتقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه ليُعفّها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رِياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »

وسبيل الله كما يفهم من هذا الحديث - كل طريق يسلكه الانسان فى تحصيل ما به خيره وسعادته وهناؤه بشرط أن يكون سعيه مرتكزا على نية صالحة وقصد كريم

حكاية الراعى جان

مثال الجد والاجتهاد

جان فتى صغير ، كان أبوه راعيا يرعى قطعان بلده وخراف الأغنياء فيها ، فمات ، وجان يكاد يكون طفلا لايملك سوى كوخ صغير حقير ونعجتين ضعيفتين فلم يسلمه الاغنياء نعاجهم ليرعاها ، ولكنه رزق شيخا شابت فى الحروب ناصيته فكفله بعض الكفالة ومرنه على رعى الخراف وتربيتها حتى جاء موعد معرض القاطعة ، فذهب جان الصغير بنعجته الى ذلك المعرض الذى يتسابق فيه الكبراء والأغنياء والعلماء ويعد الجمهور الفوز فى هذا المعرض فوزا كبيرا يزف الى صاحبه التهانى ويحتفون به الحفاوة الكبرى

عرضت الخراف السمنه فى ذاك المعرض ، فحكم لجان بالجائزة ، وحكم لنعجته بالتفوق على سواها ، وعلق مدير المعرض على صدره المدالية ، ووصل الخبر الى قريته ، فنهض أهلها نهضة الرجل الواحد للحفاوة بجان واكرامه واجلاله ، وأعدت الفتيات له الهدايا وعمل الغلمان الأزاهير والتحف ، وقرع الشبان ناقوس الكنيسة ، وخرج رجال القرية وأمامهم عمدتها وشيوخها لمقابلة جان الراعى فخر القرية ، ولمقابلة نعجة جان التى كللت بالأزاهير والرياحين وسار جان الراعى

الصغير فى هذا الجم الى كوخه وربط نعجته كما يسير البطل المثوار الى عاصمة الملك ومقر الغزاة الظافرين

وصل جان الى ذاك الكوخ الذى غادره خاليا خاويا فاذا به ملآن بهدايا أهل القرية جزاء له على جده واجتهاده . فقد أهدى له كل رجل وكل امرأة شيئا يروقه . فالمشروب والمأكول والأزاهير والملابس حتى الحذاء أهدته الى جان إحدى السيدات لأن جان لم يكن يملك حذاء

وهناك أمام كوخ جان وقفت الموسيقى تعزف بأطيب الألحان وأخذت فتيان القرية وفتياتها يرقصون ويطربون اكراما للـ... الصغير فخر قريته ، وجاء لزيارته وزيارة تلك القرية كبار القرية ... تقدمهم جان فهنؤوه وعرضوا عليه رعاية أغنامهم بأجور عالية بعد ان ... يطلب منهم ذلك فيردونه ولا يصغون الى طلبه

هكذا كوفئت الفضيلة ، فضيلة العمل ، وبمثل هذا يحتفى ... القوم الذين تقدموا كثيرا بالمتعلمين من أبنائهم ، وليس الاطلاع عندهم بالشعر والنثر فقط ، بل هو بالاجادة فى كل عمل من الأعمال ، ولا يحتقر العمل لذاته بل يعظم كل عمل لنفعه وفائدته

الاهرام

حسن نتيجة السعي والعمل

يحكى أن أحد الأغنياء كان له أرض دخلها خمسمائة جنيه فى السنة فكثرت عليه الديون بسبب إسرافه وتبذيره حتى التزم أن يبيع نصفها لأحد الفلاحين المجتهدين المدبرين ويرهن النصف الآخر

وبعد مضى مدة أتى الفلاح الى الغنى صاحب الأرض وسأله اذا كان يريد أن يبيعه بقية الأرض فدهش الغنى من سؤاله وقال له : هل تقدر أن تشتريها ؟ فقال الفلاح : أقدر اذا اتفقنا على الثمن . فقال الغنى : عجبا ! اخبرنى لماذا لم يكن ايراد هذه الأرض يكفينى ولم أدفع منه شيئا ؟ وأما أنت تدفع لى مائة جنيه سنويا ضمانا وقد صرت قادرا على مشترى الأرض كلها وليس لك مدة طويلة

فأجابه الفلاح : السبب واضح ياسيدى وهو أنك تجلس فى قصرك على بساط الراحة معتمدا على ثروتك وايرادك وتقول لعمالك : اذهبوا للعمل ، ولكن أنا أقوم مبكرا من بيتى وأقول لولدى :

هيا بنا نسعى الى الغيط لنحرث الأرض ونزرعها ونحصدها ونجنى ثمرها

أنت تنام على سرير الراحة وتصرف أموالك فى نزهتك ومسرتك ، وأنا أقوم صباحا وأشتغل بنفسى وأدير حركة أعمالى معتمدا

فى كل الأمور ولا أصرف أموالى إلّا فى تحسين أحوالى ،
غنى من كلامه وعرف أن السعادة لاتنال الا بالسعى والعمل
طالة والكسل

البطالة والكسل

أما البطالة والكسل فهما لايقلان ضررا عن شرور الرذائل
قتحام الشهوات ، وارتكاب الموبقات ، كما قال الشاعر :

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسده

وقال أحد العلماء البطالة شر من الرذيلة بل هى أم الرذائل
الشرور ، ومصدر الانحلال والاختلال ، كما أن الكسل سبب الاعتلال
والذل والشقاء ، فقد يضع الرفيع ، و يذل العزيز ، وكم من غنى أصبح
معدما بكسله ، وكم من فقير انتقل من الفقر الى الغنى بعمله وكده

وقد نظم أحد الشعراء قصيدة فى وصف أحوال الشبان الكسالى
نقتطف منها مايأتى :

لقد تحسم فى شبابنا الكسل وفى ملاهى الهوى أمسى لهم عمل
أراهم فى القهاوى يصرفون سدى وقتا ثمينا سواهم فيه يشتغل
سواهم أدركوا فيه العلا وهُم لولا الجهاد الى العلياء ماوصلوا
تُحيا لياليهم بالمسكرات وفى إحياء تلك الليالى يُقتل الأمل

الى الملاهى صرفتم كل همكم — شباننا ليس هذا شأن من عقلو
قصف ولهو وسكر ميسر وزنا — تصيب أجسامكم من بعدها العلل
أنتم أصحاء فى الأبد ان لاعوج — فيكم ولا عرج كلا ولا شلل
عن النبوغ ترى ماذا يعوقكم — وفى البطالة كل منكم به
أنتم تريدون أن ترقوا بلا تعب — وأن يخر لديكم صاغرا زحـ
وسائر الناس يقضون الحياة على — حد وكد ولا شكوى ولا ما

وفى الحقيقة أن الانسان فى هذه الحياة لايرقى ولا يسعد الا بالـ والعمل لا بالاستسلام الى البطالة والكسل

سوء عاقبة الكسل

كان لرجل غنى ولد وحيد اسمه (موسى) وعنده وكيل على أملا له ولد اسمه يوسف : وكلا الولدين فى عمر واحد وأحب بعضهما بعضا محبة شديدة ، لانهما ربيا معا ، وأحب أبو موسى ابن وكيله يوسف وأدخله المدارس على نفقته الخاصه

وموسى هذا لم يكن يرغب فى الدرس كثيرا ؛ أما يوسف فلم ينقطع عن الدرس ولا فى أوقات الفراغ فاجتذب قلوب معلميه ورفقائه اليه

وباجتهاده نبغ فى دروسه وفاق أقرانه بخلاف موسى فانه كان

لايدرس ولا يصغى الى إرشاد معلميه ؛ بل يصرف أوقاته فى اللعب واللهو ، ومتى حثّه أحد على الدرس أجاب : إن لأبى أملاكا واسعة ، وفى عزمى أن أكون فلاحا ، وزد على ذلك فإنى الآن فى أول الحياة وأمامى سنون طويلة أستطيع فيها تحصيل العلوم بأسرها فى أى وقت انعكفت فيه على المطالعة والدرس

وكان أبوه يشجعه على هذا الفكر ولم يشأ أن يزعجه أو يكدره

وهكذا مضت عليه سنوات عديدة فى المدرسة بلا فائدة ، ثم أخرجه والده من المدرسة وأراد أن يقيمه وكيلا على أملاكه ؛ ولكن موسى اتخذ له أصحابا من السفلة الأشقياء ، وتعلم لعب القمار ، وصار يلهو عن الأشغال بالملاهى والطرب والمزح ، فاجتهد أبوه أن يهذب أخلاقه فلم يقدر ؛ لأنه مضى عليه الوقت

وأخيرا مات الأب وفى قلبه من الندامه والحسرة والأسف على تركه ابنه فى الصغر بدون تعليم وتأديب مالا يوصف

وتوغل موسى فى الشرور والاسراف بعد موت أبيه الى درجة أوصلته الى بيع أملاكه كلها حتى أمسى بلا مأوى . وكانت عاقبته وبالا وحسرانا

أما يوسف رفيقه بالمدرسه فقد نجح وتقدم ، فالتفت اليه وساعده

كثيرا ، وقبله فى بيته طول حياته ، وأصبح السيد المسود بفضل جده واجتهاده ، وحقيقة · إن من جدّ وجد ، وأن من كسل خاب وندم

قوة العزيمة

هى القوة التى تدفع الانسان الى الاقبال على الأعمال بلا تردد

ينظر الانسان الى العمل فى أول الأمر فيراه صعبا يستلزم جهدا ووقتا طويلا ، فيخاف منه قبل الشروع فيه ، ولذلك يتردد فى الإقدام عليه . وكلما طال تردده استصعبه ووهن عزمه فيرجع عنه

على أن هذه الصعوبة تزول عند مزاولة العمل ، والاستمرار فيه والثبات عليه ، حيث يألفه ويعتاده ، ويهتدى الى طريقه القويم

فاذا أقدمت يابنى على عمل فلا تتردد فيه ، واعمل بقول الشاعر الحكيم :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن تترددا
وان كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا فان فساد العزم أن تتقيدا

فبذلك يسهل عليك كل صعب ، وتبلغ كل طلب

ولقد حثّ الدين على الثبات فى الأمور ، وقوة العزيمة فيها ، فى قوله تعالى :

« فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »

لأنه كثيرا ما تعرض بعض العوائق فتخور همم ضعاف العزائم ، فلا يتمّون أمرا ، ولا يصلون الى غاية ؛ بخلاف أرباب العزائم القوية فإنهم يقابلونها بصدر رحب، وعزيمة لاتملّ ، وكلما عرض لهم عائق بذلوا النفس والنفيس فى تذليله حتى يتغلبوا عليه، وينالوا بغيتهم، علما منهم أنه لاصعب مع الاجتهاد ، وتوجه النفس والرغبة فى العمل ، والدأب عليه ، والتدبر فى كل شىء بوضعه الموضع اللائق به كما قال الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

وما حال الأمم إلاّ كحال الأفراد ، فلا تسمو أمة ولا تعلو كلمتها إلاّ بالنتاج والعمل المتواصل، والاختراع والابتكار . ولن تجد مظهرا أجلى ولا برهانا أوضح ، تفرق به بين أمة راقية وأخرى منحطة بمقدار ماتجده من قوة الثبات ومضاء العزيمة ، فتجد الأفراد فى الأولى يكدون ويجدون، دون أن يلحقهم فتور ولا خور فى العزيمة، وبذا يتم لهم الظفر والفوز أخيرا ، بعد سهر الليالى والكدح والنصب ، ويغمرون أسواق العالم بمبتكراتهم ومخترعاتهم ، بينما أفراد الثانية يتحمسون ويصيحون مع الصائحين ، ثم لاتزال تفتر عزائمهم رويداً رويداً حتى تنتهى الأعمال بالفشل ، وتصبح أثرا بعد عين ، ولله در القائل :

وقلّ من جدّ فى أمر يحاوله واستصحب الصبر إلاّ فاز بالظفر

أما اليأس، فحالة تعترى النفس فتثنيها عن عزمها ، وتثبط همتها ، وتحول

بينها وبين النجاح ، واذا تسرب اليأس الى فؤاد شخص ، وتملك القنوط من قلبه ، قعد عن العمل ، وكفَّ عن السير فى سبل الحياة ، حتى تضيق به الأرض بما رحبت ، كما قال الحكيم · لاحياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، وربما طلب الفرار من الحياة ، وأهلك نفسه تخلصا منها فيذهب غير مأسوف عليه

وقد حذر الله تعالى من هذه الخصلة الذميمة فقال : « وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ ٱللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ »

وقال جل شأنه · « وَمَنْ يَقْنَطُ (ييأس) مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا ٱلضَّالُّونَ » وقيل · قتل القنوط صاحبه

وقال الطغرائى :

ولا تيأسن من صنع ربك إنه ... ضمين بأن الله سوف يُديل
فان الليالى إذ يزول نعيمها ... تبشر أن النائبات تزول

وقال آخر :

لاخير فى اليأس كل الخير فى الأمل ... أصل الشجاعة والاقدام فى الرجل

قوة عزيمة الاسكندر

لقد أمر (الاسكندر المقدونى) أحد قواده بالاغارة على حصن أمنع من عقاب الجو ، فخالفه القائد قائلا : ياسيدى ان ذلك مما لايستطاع

فصاح الاسكندر فى وجهه مغضباً : لاشيء فى العالم محال على من يبذل جهدا ، ويمضى عزما ، ولم يمض غير يسير حتى قهر الاسكندر عدوه ، ودمر حصنه ، وأذل حُماته

نابليون وعزمه الماضى

يحكى أن (نابليون بونابرت) امبراطور فرنسا كان يكره من الكلمات ثلاثا · لا أقدر — لا أعرف — مستحيل

فكان جوابه للأولى · حاول ، وللثانية تعلم ، وللثالثة · جرّب

ولم يرض (نابليون) لنفسه أن يكون عبداً حتى للعوارض الطبيعية التى لا قِبَلَ للانسان بمقاومتها ومغالبتها

فلقد قيل له وهو يكتسح الممالك بجيشه الجرار إن جبال الألب الشاهقة تعوقك عن المسير ، وتحول دون أمانيك

فأجاب على الفور يجب أن تمحى من الأرض

وهكذا كان (نابليون) وهكذا كانت إرادته وعزيمته التى عنت لها وجوه الجبابرة ، ودانت لها رقاب القياصرة

الثقة بالنفس

الثقة بالنفس أول شرط للفوز فى معترك الحياة ، وتيقن الظفر بالمراد منه . الثقة بالنفس فضيلة إذا أتيحت لصاحب العزيمة الصادقة كانت عونا له فى تذليل ما يعترضه من المصاعب

الثقة بالنفس تستدعى وجود الأمل ، والأمل يدفع الانسان إلى العمل ، والاخلاص فيه ، والتفانى فى إنجاحه

واذا كانت ثقة الانسان بنفسه ضعيفة لم يجترئ على بذل مجهود ، أو صرف نقود ، وكانت نتيجته الخيبة والخسران

جدير بالطامح الى إحراز السبق فى معترك الحياة ، أن يأخذ نفسه بالثقة بمستقبله ، وتحقق مراده فيه ، وإلا عاد من جهاده فى الحياة بما هو مقدر من الفشل للضعيف خائر العزيمة ، ذلك الذى إذا عبس الزمان فى وجهه وبسر ، داخله الوهم بأنه شقى ، وأن الشقاء ملازم له ما دام حياً ، فاذا تحرك لعمل مّا وهو فى أسر هذا الوهم الجائر آل جهده حتما الى الفشل والبوار

وخليق به أن يتدبر الحقيقة الآتية وهى : أن المرء اذا انحرفت أعماله عن الغاية التى يتطلع اليها ، لايحسن به أن يتهم الحظ والطالع ويقول ماذا أعمل وحظى سيئ ؟ لأن الناس رجلان رجل يضرب فى

الغرض الذى يسعى اليه بسهم همتــه غير هيّاب ولا وجل ، لمضاء عَزمه ، واطمئنان نفسه ، وثقته بها

ورجل يتردد فيفشل ، ثم يتهم الحظ والبخت

فيجمل بهـذا الأخير ألّا يمهد لليأس سبيلا الى نفسه ، إذا جاءت جهوده بمـا لم يجر فى ظنه من الفشل ، ولا يجزع إذا مسته خيبة ، بل يتعزى عنها بالمقابلة بين حاله وما يقع فى الـكون من الحوادث والعبر

فيقول مثلا : إن الرياح لا تهب من مهب واحد ، ولا تأتى دواما بما تشتهى النفس ، وان المرء إذا أخطأه التوفيق مرة ، كثيرا مايصيبه مرات أخرى ، إذا استأنف العمل عينه غــير يائس ، واقتدى بالربان اليقظ فى السلوك بسفينته الى المرسى الأمين بين الرياح المختلفة ، الى غير هذا من التعزى المنشط للهمة ، المثبت للايمان

إن الثقة بالنفس للمور فى معــترك الحياة المحفوفة بالمتاعب والعقبات فضيلة اختص بها أهل الايمــان وأصحاب العزيمة ، وهى تستفز صاحبها الى الثقة بأهليته ، والاعتماد على قوته ، فقــد قال أحد الحـكماء : مِن الخطإ إخماد جذوة الثقة بالنفس فى أفئدة الشبيبة ؛ لأنها من أقوم الشيم فى المرء وأشرفها ، ولأن الاعتداد بالنفس خــير مظهر لثقة الإنسان بأهليته ، الثقة التى يترتب عليهــا النجاح فى الحياة والظفر بمطالبها العديدة

حقا إن اعتقاد المرء النجاح فى عمله ضرب من الخيلاء ؛ ولكن ماذا يضره اذا كان هو الذى يستفزه الى الخطوة الأولى التى إذا جاءت بشىء من النجاح ، حملته على الأخذ بالثقة فى نفسه والاعتماد على مواهبه الذاتية

يستنتج من هذا كله أن بث روح الهمة لا يكون إلا بإنماء الثقة فى النفس ، والاعتماد على القوى النفسية

مثال الثقة بالنفس

محمد طلعت حرب بك مدير ومؤسس بنك مصر هو المثل الأعلى للثقة بالنفس

نعم ، إن الثقة بالنفس هى أكبر مزية لهذا الرجل العظيم ، لهذه الشخصية الكبيرة البارزة التى وضعت الحجر الأول فى بناء حرية مصر الاقتصادية

فهو فى الحق أكبر اقتصادى ، وأكبر رجل مالى فى مصر بل هو من الرجال الأفذاذ الذين يعيشون لأمتهم أكثر مما يعيشون لأنفسهم

وهو المصرى الأول الذى اتخذ المال فناً ، فاذا لم تصدق فزيارة واحدة الى (بنك مصر) كفيلة بتصديق ما نقول ، حيث تجد شبان مصر العاملين فى سبيل حرية مصر من الوجهة الاقتصادية قائمين بأعمالهم

خير قيام ، بكل دقة وأمانة وحسن نظام

عرف طلعت بك حرب أن المال أعظم قوة على الاستقلال وسند للحرية ، وقوام للوحدة ، ونظام للجماعة ، فلم ينتظر حتى تسنح الفرص ؛ وانما جاء بالفرص التى كانت فى انتظاره ، ولم يتكلم أولا ليعمل ثانيا ، وإنما عمل أولا ، ثم لم يتكلم وجعل العمل يتحدث عن نفسه ، وجعل النفس تعمل لتزيد الناس حديثا

وقد فهم حقيقة الحال وعرف السبب والمآل ، فكان الرجل الحكيم ، الصادق لنفسه وللناس ، عامل الناس كبارا عقلاء ، فعاملوه كبيرا عاقلا ، أدخل الناس فى ثقته ، فأدخلوه فى ثقتهم ، وأقاموه أول رجل فيهم ، موثوق به منهم ولولا ثقته بنفسه ، وقوة عزيمته ، وحسن ادارته ، لما وصل الى تنفيذ هذا المشروع الخطير ، ولما وصل البنك الى التقدم والنجاح

التواكل ومضاره

لكل إمرئ فى هذه الحياة عمل يقوم به على قدر طاقته ، وهو مكلف بأدائه ؛ فاذا اتكل زيد على عمرو ، فكأنه أضاف عمله الى عمل عمرو ، وهذا لا يستطيع أن يحمل أكثر من حمله ، ولا يؤدى عملين فى وقت واحد ، فاذا اتكل كل شخص على الآخر أصبح الجميع

متوا كلين ، ووقفت حركة الأعمال ، واختل النظام ، وساءت الحال

فاعلم يابنى ، أنه ليس من أحد غيرك يقضى واجبك ، ويقوم بحاجتك ، مهما كانت زهيدة لا تكلف عناء ، وإن قضاها صاحبك فلا يحسن قضاءها مثلك

وما من أحد يفرغ من أعماله ومساعيه الخاصة ليسعى و يعمل لغيره فلا تتكل يابنى فى تحصيل علومك ورزقك على أحد ؛ بل اسع الى رزقك ، ولا تعتمد إلا على نفسك ، فتأكل العيش هنيئا لذيذا ، وترتشف الشراب سائغا ، وتنام على فراش الراحة والمسرة والهناء

قال سيدنا على بن أبى طالب · إياك والاتكال على المنى فانها بضائع الموتى

وبالجملة فان أعدى أعداء العمل التواكل الكاذب ، المقرون بالاهمال والتقاعد ، وترك السعى والحركه والنشاط ، واتخاد الأسباب الظاهرة التى أمرنا الله ونبيه ﷺ بمراعاتها والسير على سنتها

ويوضح ذلك ما كان من إرشاده ﷺ لذلك الأعرابى الذى أراد أن يسرح ناقتــه فلا يعقلها ولا يوثقها اتكالا على الله بعد سمع ما للمتوكلين من الفضل ، فقال له ﷺ مفسرا معنى هذا الاتكال بأوجز عبارة ، وألطف إشارة « اعقلها وتوكل » أى اجمع بين الأمرين ، بين اتخاد السبب ، وبين الاتكال عليه سبحانه وتعالى فى أن يجعل

ذلك السبب مؤديا الى حفظ الناقة ، فلا يعمد اليهـا لص يسرقها أو غلام عارم يحل وثاقها ويطلقها

هذا هو التوكل الشرعى الصحيح · أن توحد أيهـا الانسان عملك باتحاد أسبابه ثم تنفخ فيـه روح التوكل على الله فلا تقنط من توفيقه ، وكريم عنايته ، وخفى لطفه

فاذا فعلت هذا شعرت إذ ذاك ببرد الأمل فى قلبك ، ولذة العمل فى نفسك

أما التوكل من دون عمل ، والعمل من دون توكل ، فكلاهما ناقص التركيب ، ليس له من الفائدة والقيمه الشرعية أدنى نصيب ، بدليل قوله ﷺ · « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » تغدو أى تذهب مبكرة ، خماصا جائعة ، وتروح أى ترجع ، بطانا ، ممتلئة البطن ، فقد جعل للطير عمـلا ، ولم يجعلها تـكتفى بالتوكل فقط

سوء عاقبة التواكل

كان لرجل من أغنياء التجار ولد نجيب ، مرّنه من صغره على التجارة ببلده ، حتى عرفها جيدا ، ولما بلغ أشده أراد أن يعوده الأسفار ، فجهزه تجهيزا يليق بأمثاله ، وأرسـله حتى اذا كان على مسيرة أيام من بيت

أبيه ، نزل ببعض المروج فى ليلة مقمرة ، فأبصر ثعلبا طريحا قد أخذه الهرم وضعف عن الحركة ، فجعل يفكر فى أمره ، وهو يقول : كيف يرزق هذا الحيوان المسكين ؟ لا أظن إلا أنه يموت جوعاً ؛ وبينما هو كذلك ، إذأقبل أسد ومعه صيد ، ووقف قريبا من الثعلب ، وأكل مما معه الى أن شبع ، ولم يرَ الغلام ولا الثعلب ، فعند ذلك طفق الثعلب يزحف زحف الكبير ، حتى انتهى الى ماتركه الأسد ، فأكل منه كفايته ، والغلام يعجب من صنع الله فى خلقه ، وما ساق الى هذا الحيوان العاجز من الرزق ، وقال فى نفسه : اذا كان المولى سبحانه وتعالى قد تكفل لخلقه بالأرزاق ، فلأى شيء احتمال المشاق ، وركوب البحار ، واقتحام الأخطار ، ثم انثنى الى والده ، وأخبره بما رآه ، وأنه بسببه قد عدل عن السفر

فقال له أبوه : يابنى لقد أخطأت النظر ، فانما أردت أن تكون أسدا يأكل من فضلاتك الضعاف الكسالى الجياع ، لا أن تكون ثعلبا جائعا ، تنتظر قوتك من فضلات غيرك ، فقبل الولد نصيحة والده ، وعاد الى ما كان فيه ، وعلم أن الرجل الحازم هو الذى يعمل ويكد ، ويعتمد فى كل أموره على نفسه ، لاعلى بنى جنسه ، وأنشد يقول :

فانما رجل الدنيا وواحدها   من لايعول فى الدنيا على رجل

وقلّ من عاش فى الدنيا على أمل واستنحد الجـد إلّا فاز بالأمل

حقاً مامن شىء ينهض بالمرء من حضيض الفقر والخسة الى أوج الغنى والمجد مثل حده وسعيه وراء خير نفسه

أنظروا رحمكم الله الى فئة العاطلين من العمل تجدون أن هذه الفئة هى إحدى سيئات النظام الاجتماعى ، بل هى شر على ذلك المجتمع ، وهى لاتزال إحدى المعضلات التى يحاول المصلحون فى كل وقت حلها وعلاجها

وبالحرى أن فئة العاطلين من الأعمال الذين حرموا من وسائل الكسب قوة ضائعة سدى ؛ لأن المجتمع الانسانى لايعرف كيف يستخدمها وكيف يفيدها

وأى نفس لايزعجها أن تجد فى أعماق المدن والقرى جمهورا كبيرا من العاطلين ؟ وأى قلب لايتفجع لمنظر الشاب عاطلا من لذة العمل محروما من نعمة الكسب

الكرامة

لكل إنسان فى هذه الحياة كرامة ، يجب عليه صيانتها ، والمحافظة عليها ، وعدم التساهل فيها ؛ لأنه بها يعيش مكرما معززا ، وإلا عاش ذليلا محتقرا

وكرامة الانسان ، هي عزة نفسه ، أي إكرامها ووضعها في المقام اللائق بها ، وهذا يستلزم أن يعرف المرء قدر نفسه عملا بالأثر :

« رحم الله إمرأ عرف قدر نفسه »

وهي وسط بين الكبرياء والضعة ، وهي ضرورية لاكتساب مودة الناس

ولا تكتسب مودة الصديق إلّا اذا تحلت له محاسنك ومحامدك التي هي « أنت » فيستحسنها فيك ، ويميل بسببها اليك

وهي لاتتحلى له كما هي إلّا اذا لاءمت المقام الذي أنت فيه ، وملأته تماما ، ولم ترد عليه ، لأنك إن كنت متكبرا كنت في مقام من هو أعظم منك ، وإذ ذاك يرى صاحبك أن تلك المحامد والمحاسن قليلة عليك فيحتقرك لهذا النقص أو بالحرى يكرهك لادعاء الرفعة الباطلة

وإن كنت متضعا ، كنت في مقام من هو أدنى منك ، وإذ ذاك يتوهم محاسنك ومحامدك وهمية لاحقيقية ، لأنها تظهر كثيرة عليك ، وأليق عن هو فوقك منك ، فيكرهك لما يتوهمه من ريائك ، وبالحرى يسخر بك لابتذالك

وللمحافظة على كرامتك ومكانتك نفسك ، يجب أولا : المحافظة على حقوقك كلها ، فلا تفقد منها شيئا ، إلّا مايقضي التسامح أن تهبه

لصديقك عن طيب خاطر ، فان تركت حقا لك لايحسب لك ولا يعرف تسامحا منك ، حتى اذا تكرر ذلك منك كنت مبتذلا مستهانا . و إن ادعيت أكثر من حقوقك حسبت طماعا فتبغض

ثانيا - أن تقوم بما يجب عليك لغيرك ، وأن تعتذر عما لم تستطع القيام به من واجباتك، فان قمت بأكثر مما يجب عليك حسبت متزلفا ، وان لم تقم بكل مايجب عليك حسبت متدللا

فلا يرضيك أيها الانسان أن تضع نفسك فى موضع ينزلك من عيون إخوانك ، فينظرون اليك نظرامتهان ، و يعاملونك معاملة تنطوى على الاحتقار

ذلك لأنك لك كرامة تربأ بها أن تهينها ، ونفسا عزيزة تنزهها عن أن تشينها

وليس هناك شىء أذهب بالكرامة من النقص والتسفل

فمن النقص والتسفل مخالطة السفهاء ، ومعاشرة الأدنياء ، فان الطبع يسرق من الطبع والمرء لايعرف إلّا بقرينه ، كما جاء فى الأمثال : قل لى من تعاشر ؟ أقل لك من أنت

وكما قال الشاعر :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه　　فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقد تكون بريئا ، ولكنك باختلاطك بقرناء السوء تضع نفسك موضع الشبهات ، وتكون متهما بأنك منهم ، والعاقل من يربأ بنفسه عن موضع الزلل

ومن الأشياء التى تذهب بالكرامة كثرة المزاح ، فانه يدعو الى التطرف فى الكلام، والهجر فى القول، والخروج عن حد الأدب ، وهو من العيوب الاجتماعية الكبيرة، المزرية بالكرامة، المضيعة للهيبة والشرف، كما قال أحد الحكماء :

المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب ، وقول آخر : من قلّ عقله ، كثر هزله ، ومن كثر ضحكه ، قلّت هيبته

احترام النفس

إن احترام النفس من أهم الفروض التى يجب على الانسان أداؤها ، لأنه كما يحب المرء نفسه ويحافظ عليها ، ويتقى البرد والحر لأجلها ، ويسعى ويجد ليضمن رفاهيتها وتنعمها ، ويخرج الى المتنزهات والخلوات لرياضتها ونزهتها ، ويذهب الى محال الأنس والطرب لسرورها وانشراحها ، فانه يجب عليه أن يحترمها ، ويعطيها حقها من الاكرام والاعتبار

وليس الغرض من احـترام النفس وإكرامها الترفع عن الناس والتعاظم عليهم ، أو الغطرسة وشموخ الأنف ، بل الابتعاد عن كل مايشينها مع إعطائها قسطها من الاحترام والاكرام . وكما أن الانسان يسرخاطره وينشرح فؤاده عند مايرى الناس يحترمونه ويجلونه ، ويعتبر هذا من الواجبات المفروضة عليهم ، فانه خليق به وأحرى أن يكون في مقدمة الذين يحترمونه ويجلونه ، فيحترم هو أيضا نفسه

والمقصود من احـترام النفس أن الانسان لايتذلل ، ولا يجبن ، ولا يحط من قدر نفسه ، ولا يزرى بشرفه ومقامه ، وأن يفصـل فصلا تاما بين التواضع واحترام النفس ، ويجعل حدّا فاصـلا يقف كلاهما أمامه ولا يتعديانه

لأن التواضع بمعناه السامى لايفيـد إذلال النفس وتحقيرها ، وتعويدها الجبن والاستكانة ، ولا ينافى الشهامة وارتفاع الرأس والأنفة وعزة النفس ، ولا هو من العوامل التي تدفع الانسان الى الحط بقدر نفسه ووضعها فى مركز أقل من درجته ومقامه ؛ بل هو احترام النفس ، حليف للانسانية ، صديق للكرم والحلم ، شقيق للطف والظرف ، رفيق للحنو والرأفة ، وهو أيضا نقيض للكبر والخيلاء ، عدوّ للتيه والغطرسة ، مبغض للأبهة والفخر

وبالاجمال فان الذى يعتقد أن عدم احترام النفس هو انكار الذات

أو التواضع يعد مخطئا

والخلاصة أن احترام النفس صفة كمال ، بها تتفاوت أقدار الرجال ، بها ترفع النفس عن مداناة الدنايا ، بهـا تستطيب دون الذل كؤس المنايا ، بهـا أبانت الشريعة الاسلامية الغراء ، فضـل الأحرار على الأرقاء ، بهـا جعلت الرجال قوامين على النساء ، بهـا حظرت على الشريفات الاقتران بغير الأكفاء

عدم التبذل

التبذل هو الانحطاط ، وتصغير النفس ، بالخضوع والالحاح فى الطلب والمسألة ، وفى ذلك إراقة لمـاء الوجه ، وذهاب بالـكرامة ، وضياع للهيبة والاحترام

ومن التبذل كثرة الاعجاب بمـا يشاهده الانسان من الأشياء ، فان ذلك يشعر بصغر نفسه ، كما أن الحسد أيضا من دلائل التبذل ؛ لأنه يدل على نفس وضيعة حقيرة ، تستصغر شأنها وتعظم ماعند الناس

ومن التبذل سؤال الناس عن أشياء لك بهـا حاجة ، فان فى ذلك إعظام للناس ، وتحقير لك دونهم

وليس أذهب بالاحترام من تطلب زيادة الاحترام ، فان الانسان لينقص قدره بقدر مايتـكلف من تـكبر ، وما يتطلب من احترام

قال الامام على كرم الله وجهه فى نصيحته لابنه الحسن :

اكرم نفسك عن كل دنيئة وان ساقتك الى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا

وقال هاشم :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن ... عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

وقال آخر :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانا بها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن ... عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا
وإياك والسكنى بمنزل ذلة ... يعدّ مسيئا فيه من كان محسنا

وقال عنترة العبسى :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة ... بل فاسقنى فى العز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل

حكايات وأمثال فى عزة النفس

كريم النفس خير من كريم المال

سُئل حاتم الطائى عن أى انسان أعظم منه كرما وأفضل نفسا وأحسن شيما ؟

فقال : ذبحت يوما أربعين حلوبة للأضياف ، ثم سرت فى البيداء أريد أمرا ، فبلغت أجة فيها رجل يحتطب

فقلت له : أما سمعت بكرم حاتم طئ وسماحته ؟

قال : بلى

قلت : هلا استضافك ؟

قال : ثكلتنى أمى لو أنه استضافنى وقبلت ضيافته ، ودعانى فأجبت دعوته ، فانى مادمت أستطيع الكسب بعرق جبينى ، وتعب يمينى ، فمن العار أن يكون لكريم يد أعضى لها حين يغضب

ولا خير فى مال عليه ألية ولا فى يمين عوقدت بالمآثم

فقلت للمحتطب : أنا حاتم طئ ، وأنت ورب الكعبة أعلى منى كعباً فى الكرم ، وأقرب الى المروءة ، وأسبق الى محاسن الشيم

كريم النفس يصونها عن ذل السؤال

كان بعض السقائين ينشد أثناء سيره فى الطريق ، وهو حامل قربة ، قول الشاعر :

وأكرم نفسى انى ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فسمعه الأصمعى ، وأراد المزاح معه ، فقال له : وعن أى شىء أكرمت نفسك وهذه حرفة دنيئة ، فأجابه فى الحال : انى أكرمتها عن ذل السؤال ، وعن الوقوف على باب لئيم مثلك ، فأسكته

عزيز النفس لا يطيق الهوان

كان سليمان بن وانوس ، رجلا جليلا أديبا ، وكان وزيرا عند الأمير عبد الله صاحب الأندلس من بنى أميه ، فدخل عليه يوما وكان عظيم اللحية ، فلما رآه الأمير مقبلا جعل يهجوه بأبيات تدل على الاحتقار والازدراء ، فقال له سليمان وقد غضب أيها الأمير ، ان الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم ، وأما اذا صارت حالتهم للذل ، فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم ، فان حلتم بيننا وبينها ، فانا قبور تسعنا ولا تقدرون على أن تحولوا بيننا وبينها

ثم خرج من غير أن يسلم ونهض ، فغضب الأمير ، وأمر بعزله

عن الوزارة ، ورفع دسته (مجلسه) الذى كان يجلس عليه ، وبقى كذلك مدة

ثم أن الأمير حزن على فقده لعفافه ، وأمانته ، ونصحه ، وفضل رأيه فقال للوزراء : لقد حزنت لفقد سليمان، وان أردت استرجاعه وتبرأ منا كان ذلك غضاضة علينا ، فوددت أن يبدأنا بالرغبة

فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد : إن أذنت لى بالمسير اليه أستنهضه الى هذا ، فأذن له ، فنهض الى دار سليمان واستأذن له ، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بنى أمية ألاّ يقوم الوزير إلاّ لوزير مثله ، فانه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه لحظة

فأبطأ الاذن على أبى محمد حيناً ثم أذن له ، فدخل عليه ، فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ولا قام اليه

فقال له أبو محمد ماهذا الكبر ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان ، وفى أبهة رضاه ، تتلقانى على قدم ، وتتزحزح لى عن صدر مجلسك ، وأنت الآن فى موجدته (غضبه) بضد ذلك

فقال له : نعم ، لأنى كنت حينئذ عبداً ذليلا مثلك ، أما الآن فأنا حرّ عزيز النفس

فيئس أبو محمد منه ، وخرج ولم يكلمه ، ورجع الى الأمير فأخبره ، فابتدأ الأمير بالارسال اليه ، ورده إلى أفضل مما كان عليه لشرفه وعزة نفسه

علو الهمة وشرف النفس

حكى أن الأمير عمارة بن حمزة كان فى بعض الأيام جالسا فى مجلس الخليفة المنصور أبى جعفر الدوانيقى وكان يوم نظره فى المظالم ، فنهض رجل على قدميه وقال يا أمير المؤمنين أنا مظلوم

فقال · من ظلمك ؟

فقال : عمارة بن حمزة اغتصب ضياعى ، وابتز ملكى وعقارى

فأمر المنصور أن يقوم من موضعه ويساوى خصمه للمحاكمة

فقال عمارة بن حمزة · يا أمير المؤمنين، إن كانت الضياع له فما أعارضه فيها ، وإن كانت لى فقد وهبتها له ، ومالى حاجة فى محاكمته ومماثلته ، ولا أبيع مكانى الذى أكرمنى به أمير المؤمنين بضياع

فتعجب الأكابر الحاضرون من علو همته ، وشرف نفسه ومروءته

« التبر المسبوك »

حكاية بديعة عن كرم النفس

قال تميم بن عدى اليربوعى : كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق ، فسألته فى بعض الأيام وقلت له بماذا يتم عقل الرجل ؟ فقال اذا صنع المعروف مبتدئا به ، وجاد بما هو محتاج اليه ،

وتجاوز عن الزلة ، وجازى على المكرمة ، وتجنب مواضع الاعتذار فقد تم عقله . فحفظت ذلك منه ، وألصقته بقلبي

ثم بعد أيام نزلنا منزلا ، فطلبنا طعاما لم نجده ، ولا قدرنا عليه ، فان زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام

فقال عبد الله لوكيله : أخرج الى هذه البرية ، فلعلك تجد بها راعيا معه طعام

فمضى الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف ؛ فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء ، فأموه فوجدوا فيه عجوزا فقالوا لها : هل عندك طعام نبتاعه منك ؟

فقالت . أما طعام بيع فلا ؛ ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى اليها أمس حاجة

قالوا وأين أولادك ؟ قالت في رعيهم ، وهذا وقت عودهم

قالوا ، فما أعددت لهم ؟ قالت · خبزة هي تحت ملتها أنتظر بها أن يجيئوا

قالوا جودى لنا بنصفها . قالت لا . ولكن بكلها

قالوا ولمَ منعت النصف ، وجدت بالكل . ولا خبز عندك غيرها ؟

قالت : إن إعطاء الشطر من خبزة نقيصة ، وإعطاء الـكل فضيلة ، فأنا أمنع ماينقصى ، وأجود بما يرفعى

فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها ، فلمـا أتوا عبد الله أخبروه خبر العجوز

فقال : ارجعوا اليها فاحملوها فى دعة وأحضروها

فرجعوا اليها وقالوا لها إن صاحبنا أحب أن يراك

قالت : ومَن هو صاحبكم ؟ قالوا · عبد الله بن العباس

قالت · ماأعرف هذا الاسم . قالوا · العباس بن عبد المطلب ، وهو عم النبى ﷺ قالت : والله ، هذا الشرف العالى قومى أنصاره

قالوا : نعم . قالت فمـا يريد منى ؟ قالوا : يريد أن يكافئك على ما كان منك

قالت : لقد أفسد الهاشمى ما أثل له ابن عمه عليه السلام ، والله لو كان مافعلت معروفا لما أخذت عليه ثوابا ، وإنما هو شىء يجب على كل انسان أن يفعله

قالوا · فانه يحب أن يراك ، ويسمع كلامك

قالت · أســير اليه ؛ لأنى أحب أن أرى رجلا من جناح النبى ﷺ وعضوا من أعضائه ، فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها

وقال : ممن أنت ؟ قالت · من كلب بن وبرة

قال : كيف حالك ؟ قالت : لم يبق من الدنيا مايفرح إلّا وقد بلغته ، وانى الآن أعيش بالقناعة ، وأصون القرابة ، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحا ومساء

قال · احبريى ما الذى أعددت لأولادك عسد انصرافهم بعد أحذنا الخبزة ؟

قالت · أعددت لهم قول العربى ·

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

فأعجبه قولها ، فقال لبعض علمانه · انطلق الى خبائها ، فاذا أقبل سوها فجئ بهم

فقالت للغلام · انطلق الى بناء البيت ، فانهم ثلاثة ، فادا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فادا تكلم أفصح ، واذا طلب أنجح ، والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، اذا وعد فعل ، وان ظلم قتل ، والآخر كأنه شعلة نار ، وكأنه يطلب ثارفداك الموت المائت ، والداء الكاتت ، فاذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عنى لا تحلسوا حتى تأتونى

فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمده ، حتى جاؤا فأدناهم عبد الله وقال

انى لم أبعث اليكم والى والدتكم ، إلّا لأصلح من أمركم ، وأصنع مايحب لكم

فقالوا : هذا لا يكون إلّا عن مسألة ، أو مكافأة فعل جميل تقدم ، ولم يصدر منا واحدة منها ؛ فان كنت أردت التكرم مبتدئا فمعروفك مشكور ، و برّك مقبول مبرور ، فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق

فقالت لهم العجوز : ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله

فقال الأكبر :

شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعال وصدق الخبر

فقال الأوسط

تبرعت بالبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر

فقال الأصغر :

وحق لمن كان ذا فعله بأن يسترق رقاب البشر

فقالت العجوز :

فعمّرك الله من ماجد ووقيت ما عشت شرّ القدر

ثم ودّعوه وانصرفوا

قال تميم الير بوعى : فالتفت الىّ وقال لى يا تميم ، وددت لو وجدت مزيدا فى ابتداء المعروف الى هذه المرأة و بنيها ، وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده فى ذلك

فقلت له : لقد أحسنت وأرجحت ، وقد شهد فعلك بما سبق من

قولك ، وأنت أتم عقلا ، وأكمل مروءة

« العقد الفريد للملك السعيد »

الشجاعة

الشجاعة مواجهة الألم أو الخطر عند الحاجة بثبات ، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس ، فالذى يرى النتائج ، ويخاف من وقوعها ، ثم يواجهها بثبات ، رجل شجاع ، وما دام الانسان يعمل فى موقفه خير مايعمل ، فهو شجاع

فالقائد الذى يقف فى خط النار غير نعش ، ويخاف أن ينزل به الموت ، ثم يضبط نفسه ويؤدى عمله كما ينبغى قائد شجاع ، بل هو شجاع أيضا اذا رأى أن خير عمل يعمله أن يتجنب الخطر ، وأن الواجب عليه أن ينسحب بجنوده حيث لاخطر ؛ فان هو أضاع فى موقفه رشده ، أو ترك موقفا يجب أن يقفه ، أو فرّ بجنوده من خطر كان يجب عليه أن يواجهه فهو جبان ، فليست الشجاعة تعتمد على الاقدام والاحجام ، ولا على الخوف وعدمه ، انما تعتمد على ضبط النفس وعمل ماينبغى ؛ فان ضبط الشخص نفسه ، وعمل ما يجب أن يعمل فى مثل موقفه رغم خطر أمامه ، ورغم مايشعر به من خوف ، فهو شجاع وإلا فلا

وليس بالمحمود أن يتجرد الانسان من كل خوف ، فقد يكون

الخوف فضيلة ، وعدمه رذيلة ، فالخوف عند إمضاء عقد سياسى مثلا ، أو إنهاء أمر خطير فضيلة ؛ إذ هو يحمله على الروية حتى يختمر رأيه ، وفضيلة أن يخاف الانسان من ثلم عرضه وشرفه

فليس بشجاع من يدخل الحانة ويشرب جهارا ، أو يقامر على ملا من الناس غير هياب ولا وجل ، فذلك ضعف فى الشعور لاشجاعة

إنما الجبن المذموم والخوف المرذول ، أن يبالغ الانسان فى الخوف أو يهوّل فى الشىء المخوف

فمثلا كل انسان عرضة لـكَلْب كَلِب يعضه ، أو سلك ترام يصعقه ، أو سيارة أو قطار يدهمه ، أو نار تشب فى بيته ، أو مكروب ينال منه ، كل هذه أشياء تخيف ؛ ولـكن الجبان يبالغ فى الخوف منها ، ويخشى حد الخشية من وقوعها ، ثم يحمله خوفه على اجتناب العمل ، فلا يركب مركبا مثلا خوف أن يغرق به ، ولا يرحل عن وطنه اذا لم يجد عملا خوف أن يدركه الموت

ولـكن الشجاع لايفـكر كثيرا فى احتمال الشر ، ثم اذا وقع لم يطر قلبه شعاعا ، بل يصبر له ويتحمله بثبات ، إن مرض لايضاعف مرضه بوهمه ، واذا نزل به مكروه قابله بجأش رابط ، يخفف من شدته

وبالجملة فالشجاع ليس بالمتهوّر الطائش الذى لايخاف مما ينبغى أن يخاف منه ، ولا بالجبان الذى يخاف مما لايخاف منه

وليست الشجاعة مقصورة على حمل السلاح ومشاهدة الحروب ؛ بل أن كثيراً من الأعمال اليومية يحتاج الى شجاعة لاتقل عن شجاعة الجنود ، فرجال المطافئ والأطباء ، وعمال المناجم ، وصيادو الأسماك فى البحار عند اشتداد وتلاطم الأمواج ، والممرضات اللاتى يتعرضن للأخطار بتمريض المصابين بالأمراض المعدية ، وربانو السفن البخارية كل هؤلاء وأمثالهم شجعان يتحملون الأخطار كما يتحمل الجنود ، ويقابلون الشدائد بصبر وثبات

ومن أكبر مظاهر الشجاعة حضور الذهن عند الشدائد ، فشجاع من إذا عراه خطب لم يذهب رشده ، بل يقابله برزانة وثبات ، ويتصرف فيه بذهن حاضر ، وعقل غير مشتت

قد يرى انسان ناراً تلتهم بيتــه ، أو لصاً يغشى منزله ، أو قطارا يكاد يهشم رجلا ، أو سفينة أشرفت على الغرق ، فان فقد رشده ، وضاع صوابه ، وحار طرفه ، ووله عقله ، ولم يدر ماذا يفعل كان جبانا ، وان هو ملك نفسه ، وثبت قلبه ، وتصرف فى الأمر على أحسن وجه كان شجاعا حقا

كالذى حكى عن عبد الملك بن مروان أنه أتاه فى يوم واحد خبر مقتل ابنه زياد ، وهزيمة جيشه ، ودخول ابن الزبير فلسطين ، وثوران ثورة فى دمشق ، ومسير ملك الروم الى الشام ، فما تزعزع ولا طاش ،

وقد رؤى فى هـذا اليوم ثابت الجأش ، ثابت الجنان ، غير متطلب الوجه ، ثم شغل ملك الروم بمال يؤديه اليه ، ووجه جيشا الى فلسطين فاستردها ، وسار الى دمشق فأسكن فتنتها

الأخلاق

للاستاذ أحمد أمين

الاقدام

من المعلوم أن السعى فى طلب الرزق كالغزو والجهاد ، ولذا قال النبى ﷺ : عدنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر

فلا يحظى بنيل المعالى واكتساب الشرف إلّا الحازم المقدام ، كما أنه لاينال الغنيمة إلّا الشجاع الجرىء الذى يقدم عليها بكل قوة ونشاط

وأما الجبان المحجم فليس أهلا للغزو فيحرم من الكسب والتقدم ، كما أن البليد ليس بأهل لنيل مآربه

ولا بد لطالب المعالى من استعداد يوصله لغرضه كعلوم ومعارف وآداب حتى يقوم بالدفاع عن نفسه لدى من يريد مقارعته ومناقشته ، كما أنه لابد للشجاع من آلة حرب يدافع بها عن نفسه أمام أعدائه

فالواجب على كل فرد من أفراد المجتمع الانسانى السعى فى طلب العلوم والمعارف بهمة ونشاط ، وأن يقـدم على المعيشة واكتساب المفاخر بحزم وتبصر ، ليقوم بخدمة نفسه وأهله ووطنه

أمثلة فى الشجاعة

« نابليون بونابرت »

امبراطور فرنسا (١٧٦٩ - ١٨٢١ م)

من أعظم من سجل التاريخ أسماءهم لبطولتهم وشجاعتهم (نابليون بونابرت) قائد فرنسا العظيم ، وامبراطورها الجليل ، الذى لم يقف فى سبيله أى عقبة ، ولم تعترض طريقه أى صعوبة ، وكان يكره من الكلمات ثلاثا : لا أقدر ، لا أعرف ، مستحيل

فكان جوابه للأولى حاول ، وللثانية تعلم ، وللثالثة : جرب

ولم يرض (نابليون) لنفسه أن يكون عبدا حتى للعوارض الطبيعية التى لاقبل للانسان بمقاومتها ومغالبتها

فلقد قيل له - وهو يكتسح الممالك فى جيشه الجرار . ان جبال الألب الشاهقة تعوقك عن السير ، وتحول دون أمانيك

فأجاب على الفور يجب أن تمحى من الأرض

ولقد حل الوباء برجاله وأخذ يفتك بهم أثناء الحملة على مصر فكان (نابليون) يعود المرضى منهم ، ويحادثهم دون أن يدع للعدوى وأخطارها سبيلا الى فكره فيستولى عليه الجبن والجزع وكانت تلك مجازفة

ومخاطرة منه ، غير أنه أحب أن يُرى القوم أن ذا الهمة العالية والعزم الصادق قد يقف الموت حياله هلعا مذعورا

فهكذا كان (نابليون) وهكذا كانت إرادته التى عنت لها وجوه الجبابرة ، ودانت وخضعت لها رقاب القياصرة ؛ ولولا أن اليأس وصل الى قلبه حين غلب على أمره فى واقعة (واترلو) لخرت صخور (سنت هيلانه) أمام بأسه وشجاعته

صلاح الدين الأيوبى

هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من أكبر ملوك المسلمين همة ، وأكثرهم شوكة ، وأشدهم صولة ، وأبعدهم صيتا . ولد فى سنة ٥٣٢ ه . وتربى فى كنف أبيه نجم الدين حتى ترعرع ، فدخل فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشأم ، وتدرّب معه على أمور السياسة وطال باعه فيها

ثم سيّره مولاه الى مصر ليساعد واليها . ولما كانت سنة ٥٦٧ ه مات العاضد لدين الله والى مصر فى ذلك الزمان ، فقام صلاح الدين مقامه ، ولم يلبث أن استقل بها واستولى على بلاد الشام والعراق واليمن واشتهر بمقاتلة الافرنج الطامعين فى الاستيلاء على الأرض المقدسة

ومن نوادره معهم : أنه رأى يوما ملكهم (قلب الأسد) يقاتل

راحلا فأرسل له جوادا يركبه مع رسالة يقول له فيها : مقامك أرفع عندى أن أراك تقاتلني راحلا . وقد مات بدمشق سنة ٥٨٩ ﻫ

ومن مآثره بمصر . بناء مدرسة مجاورة لضريح الامام الشافعى رضى الله عنه ، ومدرسة بجوار المشهد الحسينى ، و بنى مدرسة بالقدس ، و بنى مدرسة بمصر للمالكية ، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة ، ولم ينسب شيئا منها الى اسمه ، وليس باسمه إلا المدرسة الصلاحية بدمشق ، وكان مع هذا الملك العظيم ، والسطوة الحربية كريم النفس ، رقيق القلب ، كثير التواضع واللطف ، كثير الوفاء ، يأمن الناس ظلمه لعدله وكان يحب العلم والعلماء ، ويقربهم اليه ، و يحسن اليهم

تيمورلنك

اللقب صاحب قران (أى ملك العالم)

أما (تيمورلنك) فيعد من ذوى الشجاعة والهمة العالية وقد روى أنه ولد ويداه مفتوحتان مملوءتان بالدماء . وكان منذ طفولته مشغوفا بتذليل الخيول الصعبة القياد ، وصيد الوحوش الضارية ، ولم يكد يناهز الثانية عشرة من عمره حتى خاض غمار الحروب ، فأظهر من البأس والشجاعة ما أكسبه المهابة والاحترام بين قومه وذوى قرابته

ثم تولى زعامة قبيلته بعد وفاة أبيه ، وولى وجهه نحو الفتوحات

فتح خوارزم وخراسان ورفاس وجنوب الروسيا وبلاد الهند، وسورية، وحرب بغداد ودمر (جورجيه) أكثر من مرة، ثم التقى بالسلطان (بايزيد) العثمانى فى معركة دموية ساحقة انتهت بهزيمة الجيش التركى وأسر السلطان

ثم عاد (تيمورلنك) الى عاصمة ملكه (سمرقند) بعد غيبة سبع سنين أخضع بها الممالك فأخذ يعمل على ترقية الأنظمة الداخلية فى ملكه . فبنى المدارس، وأقام دور العلم، وشيد المستشفيات، وقضى بين الناس بالحق فى ظلاماتهم، ولم يحجب عنه عظيما أو حقيرا، غير أن محبة الفتح قد شغلت مكانا من قلبه، وامتزجت بلحمه ودمه، فلم يستطع عنها صبرا، فانه كان يطمح الى امتلاك العالم كله وأن يكون هو ملكا له وسلطانا عليه، ولذا كان يلقب « بصاحب قران » أى ملك العالم

وكان يقول : « لا يجوز أن يكون فى الأرض إلّا ملك واحد، كما أنه ليس فى العالم إلّا اله واحد » فلما أن رأى بلاد الغرب قد دانت له وخضعت لحكمه أراد أن يمتشق الحسام فى بلاد الشرق فجهز جيشا عرمرما وسار به الى بلاد الشمس المشرقة من الصين واليابان غير أن المنية فاجأته فى الطريق فقطعت أسباب أمله، وحالت دون أمانيه

ابراهيم باشا

من أعظم القواد بسالة واقداما (ابراهيم باشا بن محمد على باشا) فقد كان مثالا للبطولة الحقة فى جميع حروبه : حارب الترك مرتين فظفر فيهما جميعا ، ولولا وقوف الدول فى وجهه لكانت الدولة التركية كلها فى قبضته ، ولتغيرت صفحة عظيمة من صحائف التاريخ

ولم تكن حربه مع الوهابيين بأقل دلالة على البطوله والبسالة ، فقد كانوا مستميتين فى الدفاع عن مبدئهم الدينى ، وعن وطنهم فضلا عن أنه حاربهم فى ديارهم ، فهزم جيوشهم، وأسر زعيمهم عبدالله بن سعود سنة ١٨١٨ ، وخلع سلطان تركيا على ابراهيم باشا خلع شرف مكافأة له ومنحه الرتب والألقاب اعترافا بفضله وشجاعته

الشجاعة الأدبية

لمَّا تقدم الناس فى المدنية لم يكونوا فى حاجة كبرى الى الشجاعة البدنية كما كانوا يحتاجون اليها أيام بداوتهم ، فظهر للشجاعة معنى جديد يسمونه : « الشجاعة الأدبية » يعنون بها أن يبدى الانسان رأيه ، ومايعتقد أنه الحق ، مهما ظن الناس به ، أو تقولوا عليه ، فى عصب عظيم ، أو أمير ، يخاف من تحمل ألم يصيبه فى سبيل قبول حق يقوله ، أو مبدإ هام ينشره

فلو رأى فى مسألة غير مايراه علماء وقته أو من حوله من الناس ، أو خالف حاكما أو عظيما جاهر برأيه غاضا نصره عما يناله من الأذى ، يقول الحق بأدب وإن تألم مسه الناس ، ويعترف بالخطإ وإن نالته عقوبة ، ويرفض العمل بما لايراه صوابا ولو لم يقع رفضه موقعا حسنا

والتاريخ مملوء بكثير من الناس ضحوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل قول الحق ونصرته ، وصبروا على الآلام عشقا للحق وهياما به ، واستعذبوا طعم الرزايا تنزل بهم ؛ لأنهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم ؛ ومنهم الأنبياء ، والمرسلون والشهداء ، ونوابغ العلماء ، فقد أوذوا فى الحق فتحملوا الأذى ، وباعوا أنفسهم وأموالهم مرضاة له

كالذى حكى عن رسول الله ﷺ وقد جاء اليه عمه أبو طالب ينصحه بالعدول عن دعوة الناس فقال : ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلِكَ فيه ماتركته

ومن هؤلاء سقراط الفيلسوف اليونانى قد علّم شبّان (أثينا) ماوصل اليه علمه وبذل جهده فى تثقيف عقولهم وتقويم أخلاقهم ، فلما بلغ سن السبعين اتهم بأنه يجحد آلهة اليونان ويضلل الشبان فحكم عليه بالاعدام (سنة ٣٩٩ ق م) وكان فى استطاعته أن ينجو بنفسه إذا هو تعهد أن ينقطع عن التعليم ، ولكنه أصر على قول الحق وأضاع نفسه

وفى تاريخ العرب كثير من أمثال ذلك : فابن رشد الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ٥٩٥ هـ اضطهد من أجل اشتغاله بالفلسفة وسجن ونفى فلم يعبأ بذلك كله

وابن تيمية أحد الفقهاء المشهورين المتوفى سنة ٧٢٨ هـ أداه اجتهاده الى مخالفة فقهاء عصره فى بعض المسائل فوشوا به الى السلطان فسجنه ، وظل يكتب الرسائل فى سجنه يؤيد بها مذهبه ، ويدحض بها حجج معارضيه

وفى العصور الحديثة لولا أن قوما من العلماء ضحوا كثيرا فى قول الحق ماتقدم العلم والمدنية الى الحد الذى نراه

فواجب أن نقف بآراء الحق نصرح به ، وندافع عنه ، ونتعشقه ونتحمل آلامه فى سبيله ، ونتخذ من ذكرنا مثلا صالحا فى حياتنا

ومن هـذا النوع من الشجعان من يهجر لذته وراحته ، ويتحمل الألم لخير الناس وإسعادهم ؛ فمن يرى الأمراض التى تفتك ببنى الانسان ويخصص حياته لمعالجتها ، ويضحى بكثير من مصلحته الذاتية لمصلحة أمته ، ويصبر على مايناله من الشدائد ، ويتغلب على مايصادفه من العقبات كان أشجع من جندى فى خط القتال

والخلاصة ليس المراد من الشجاعة تقلد السلاح ، ورمى النفس فى المخاوف ، والمخاطرة بها فى المهالك ، ومعارضه كل ذى قوة و بطش ،

سواء أكان ذلك بالحق أو بالباطل ؛ بل الشجاعة أن يأتى الانسان الى الحق فيطلبه ، ولا يزال يؤيده ، ويدافع عنه ، حتى ينال مقصوده ، فلا يثنيه عن عزمه ملامة أحد له ، أو تعصب جماعة عليه ، ولا يويئسه طول الزمن فى انتظار مايريده ويتمناه

ليست الشجاعة أيها الشبان بذاءة اللسان ، وتطاول الأقران ، وترك الاحسان الى الاحوان ، وفقد الرحمة والحنان من قلب الانسان ، ولكن الشجاعة أن تفعلوا الخيرات ، وأن تكونوا يدا واحدة على من عاداكم ، وأن تتحلوا بالجد والعمل حتى تسعدوا وتسعد بكم بلادكم

واعلموا ، بأن الشجاعة الأدبية هى أعلى مراتب الشجاعة ، وهى قول الحق ، والسعى وراء الحق ، مهما كانت الحوادث التى تحيط بالانسان وتوحى اليه أن يكون عادلا أمينا مخالفا لهوى النفس ، شديد الحرص على القيام بما يفرضه عليه الواجب

فالرجل اذا قوى ضميره ظهرت عليه علائم الشجاعه الأدبية وكان رابط الجأش فى أعظم المواقف ، حاضر الجنان فى كل وقت

تلك هى الشجاعة الأدبية التى ينال أصحابها من أجلها الألقاب والتبجيل والشرف الرفيع . قال أحد الشعراء الأدباء فى وصف الشجاعة :

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته   يوم النزال ونار الحرب تشتعل
بل الذى كف عن نيل الحرام كما   يقضى العفاف فذاك الفارس البطل

وقال آخر :

ليس من يقطع طرقا بطلاً * إنما من يتقى الله البطل

وقال آخر :

ان الشجاعة أن ترضى اذا غضبوا * أوردك الشر بالخير الذى يجب

من يمنع النفس شرا وهو ممكنه * فهو الشجاع الذى يحيا به الأدب

جزاء الشجاعة

لما كان الفرنسيون يحاصرون مدينة (طولون) كان (نابليون بونابرت) قائد المدفعية (الطبجية) فشرع فى إقامة بطرية من المدافع لحصار المدينة مقتحما نيران العدو، ثم بدا له أن يصدر أمرا لرجاله ، فطلب ضابطا من الضباط الذين يعرفون الكتابة ، فبرز فتى من الصفوف وجعل يكتب مايلقنه إياه (بونابرت) و الرصاص يهطل حولهما كالمطر

ولما انتهى من كتابة الأمر وقعت بجانبه رصاصة فأثارت التراب حتى تغطى به القرطاس ، فقال الفتى ضاحكا لقد أحسنوا صنعا فانهم أغنونى عن تجفيف هذه الكتابة

ولما رأى (نابليون بونابرت) ثبات جنان هذا الفتى وصبره على المكاره وجه أنظاره اليه وحصل يرقيه من منصب الى منصب حتى صار من أعظم أركان حرب الامبراطور

شجاعة امرأة عربية

أسر ضِرَار بن الأَزْوَر في وقعة أجنادين (وقعة عظيمة بين المسلمين والروم فى فلسطين) فتوجه خالد بن الوليد لخلاصه ، فلما أدرك العدو حمل فارس من فرسانه على عساكر الروم كأنهُ النار المحرقة فزعزع كتائبهم (جيشهم) وحطم مواكبهم ، وقتل منهم رجالا ، وجندل أبطالا ، واخترق القوم غير مكترث

فكثر قلق الناس عليه ؛ ثم خرج وسنانه يقطر دما ، و بعد أن أبلى بلاء حسنا كشف عن لثامه ، فاذا هو (خولة بنت الأزور) تقاتل لتخلص أخاها من الإسار

حكايات وأمثال فى الشجاعة الادبية

الشجاع لايخشى فى الحق لومة لائم

قال الربيع حاجب أبى جعفر المنصور : مارأيت رجلا أحضر جنانا ، ولا أربط جأشا من رجل رُفع الى المنصور على أنه عنده ودائع وأموالا لبنى أمية وأمرنى باحضاره ، فأحضرته ودخلت به اليه

فقال له المنصور : قد رُفع الينا خبر الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية فأخرجها لنا

فقال : يا أمير المؤمنين أوارث أنت ؟

قال المنصور : لا

قال الرجل : أأنت لهم وصىّ ؟

قال : لا

فقال له الرجل : إذًا فما سبب سؤالك عما فى يدى من ذلك ؟

فأطرق المنصور ساعة ، ثم رفع رأسه وقال للرجل : ان بنى أمية ظلموا المسلمين فى هذه الأموال ، وأنا وكيلهم فى حقهم ، فأريد أن آخذ أموالهم وأجعلها فى بيت مالهم

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ، يلزم فى ذلك إقامة البينة العادلة على أن الذى فى يدى لبنى أمية هو ما جابوه وظلموه واغتصبوه من

أموال المسلمين ؛ فان بنى أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين

فعاد المنصور وأطرق الى الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه والتفت الىّ وقال لى · ياربيع ماوجب على الرجل عندنا شيء

ثم ان المنصور التفت الى الرجل وبشّ به متبسما فى وجهه وقال له : هل لك من حاجة فأقضيها لك ؟

فقال : نعم ياأمير المؤمنين ، حاجتى أن تنفذ كتابى على البريد الى أهلى فى الشام ليسكنوا الى سلامتى ، فقد راعهم إشخاصى من عندهم ، ثم أسألك حاجة أخرى ياأمير المؤمنين

فقال له · وما هى ؟

فقال · أريد من كرم أمير المؤمنين ، أن يجمع بينى وبين من سعى بى عنده ، فوالله ماعندى لبنى أمية شيء ، ولا فى يدى مال ولا وديعة ، ولا فى معرفتى أن لهم عند أحد شيئا ؛ ولكنى لما مثلت بين يديك ، وسألتنى ، رأيت ماقلته أقرب الى الخلاص والنجاة

فالتفت أمير المؤمنين المنصور الىّ وقال لى ياربيع اجمع بينه وبين من سعى به

قال الربيع فأحضرت الرجل وجمعته بالذى سعى به . فحين رآه الرجل قال : هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق بها منى

ولما سمع المنصور ذلك هدده ، وشدد عليه، وأمر بتعذيبه، فأقر عند ذلك الغلام بصدق كلام الرجل، وأنه غلامه، وأنه أخذ المال الذى ذكره مولاه وأبق به، وسعى بمولاه ليجرى عليه أمر الله، ويسلم هو من الوقوع فى يده

فالتفت المنصور الى الرجل وقال · نسألك الصفح عنه

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه ، وأبرأت ذمته من المال ، وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى

فقال المنصور : ماعلى مافعلت من الكرم مزيد

فقال · بلى يا أمير المؤمنين ، ان هذا حق كلامك ، ثم استأذن وانصرف

وكان المنصور بعد ذلك يذكره و يعجب ويقول · مارأيت قط مثل هذا الرجل ياربيع

الخليفة المعتصم وتميم بن جميل

روى أحمد بن أبى دؤاد القاضى ، قال · مارأيت رجلا عُرض على الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجى ، كان قد خرج على المعتصم ، ورأيته قد جئ به أسيرا ، فأدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاماً ودعا بالسيف والنطع ، فلما مثل بين

يديه ، نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ، ورآه يمشي الى الموت غير مكترث به ، فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله و بلاغته فقال ، ياتميم . ان كان لك عذر فأت به ؟

فقال . أما إذا أذن أمير المؤمنين ، جبر الله به صدع الدين ، ولمّ شعث المسلمين ، وأخمد شهاب الباطل ، وأنار سبيل الحق ، فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسن ، وتصدع الأفئدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلّا العفو ، وهو الأليق بشيمك الطاهرة ، ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يراقبنى من حيث لا أتلفت
وأكثر ظنى أنك اليوم قاتلى ... وأىّ امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت ؟
وما جزعى من أن أموت وإننى ... لأعلم أن الموت شىء مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم ... وقد لطموا تلك الخدود وصوّتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مت موّتوا
وكم قائل لايبعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

فبكى المعتصم وقال : ان من البيان لسحرا ، ثم قال : كاد والله ياتميم

أن يسق السيف العذل ، وقد وهبتك لله ولصبيتك ، وأعطاه ألف درهم

الاعتدال

الاعتدال هو وسط بين رذيلتين ، هما الشره ، وخمود الميل ، فالشره هو الانهماك فى اللذات والسلوك بهـا طريقا لاينبغى ، والخمود هو الاعراض عن اللذات الجميـلة النفيسة والجسمية التى يحتاج اليها البدن والنفس و يبيحها الشرع والعقل

فلا يسمى الشخص عفيفا الا اذا اعتدل فى لذاته الجسمية من مآ كل ومشارب ونحوها ، وفى انفعالاته النفسية ، فلم يهج ، ولم يغضب ، لا أقل الدواعى ، ولم يفرط فى الحزن اذا فقد عزيزا ، أو نزح عن وطنه ، الى أمثال هذا ، وبذلك يكون الانسان سيد نفسه ، لاعبد شهواته توجهه كما تشاء

والاعتـدال هو التوسط فى الأمور ، وهو خـير دستور يتبع فى الأقوال والأفعال لمن يريد أن يعيش فى نعيم وراحـة بال ، وما أحسن ماقيل .

حب التناهى غلط　　　خير الأمور الوسط

والاعتدال يكون فى التعب كما يكون فى الراحة

فـكل إفراط فى العمل جسديا كان أو عقليا يتعب الجسد والعقل ، ثم إنْ توالى العمل، ولم تتخلله راحة كافية ،كانت عاقبته وخيمة ، فينحل الجسم ، ويختـل العقل ، و يحصد الانسان ثمـار إفراطه أسفا وندما ، فالذى يفرط فى الجرى يقع مغمى عليه ، والذى يفرط فى الدرس يكل دماغه ولا يعود يفهم شيئا ، والذى يفرط فى النظر الى لون جميل تشبع عينه منه فتتعب ولا تعود تميز ذلك اللون

والذى يفرط فى أكل الحلوى يسأمها وتشمئز نفسه منها ، وسبب ذلك كله تعب الأعضاء والأعصاب

أما الراحة فلازمة للانسان لزوماً لامحيص عنه ، لـكنها اذا زادت عما يقتضيه الجسم بطؤ سير الدم فيه ، وبطؤ التنفس أيضا فيتعب الجسم من البطالة كما يتعب من العمل

ولذلك تجد الـكسلان القليل الحركة يتثاءب ويتمطى، لـكى يحرك جسمه ، ويجرى الدم فيه، ولسان حاله يقول: انى تعب من الراحة وشاعر باحتياجى الى العمل

ولا يقف ضرر الراحة عند هذا الحد ؛ بل يألفها الجسم رويداً رويداً و يرتاح اليها ، فيقل نشاطه ، حتى اذا اضطر بعد ذلك الى عمل جسدى عنيف ، أو شغل عقلى شاق أضناه التعب حالا ، وهذا يشعر به كل امرئ من نفسه اذا انقطع عن العمل الجسمانى والشغل العقلى مدة طويلة ، ثم

عاد اليها ، فانه يشعر بتعب كثير فى أوائل الأمر من أقل جهد

وعليه ، فالاعتدال فى الراحة لازم كالاعتدال فى التعب ، أى أن الافراط والتفريط مضران على حد سواء ، وخير الأمور الاعتدال بينهما

ومن الناس متشائمون لاينظرون الى العالم إلّا بمنظار أسود ، فيرون النعيم جحيما ، والسرور حزنا وغما

ومنهم متفائلون يبالغون فى رؤية مايسر دون مايحيط به من ألم

ولكن الاعتدال فى النظر الى الأشياء بحسب طبيعتها دون تأثر بالانفعالات النفسية هو النجاح والسعادة

ومن الناس من يبالغون فى الزهد والتقشف ، ويرون الفضيلة فى كبح جماح الشهوات ، ومنهم من يرى إطلاق العنان للنفس ، فينغمس فى اللذات والسرور

ولا تعمر الدنيا بالزهد ، كما أنها لا تنتظم بالانغماس فى اللذات ، لأن فيها بذور الانحطاط ، وعوامل الاختلال والانحلال

ولكن الحكمة فى الاعتدال والتوسط ، فيأخذ الانسان من اللذات مالا يعقبه الندم والحسرة ، ويبتعد عن اللذات التى تؤدى الى الهلاك وتكون سببا فى ضياع الدنيا والدين ، ومخالفة رب العالمين

قال الامام على كرم الله وجهه كلمة جامعة فى الاعتدال .

أعجب ما فى الانسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها

فان سنح له الرجاء أذله الطمع ، وان هاجه الطمع أذله الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان سعد بالرضا نسى التحفظ ، وان أتاه الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الأمن استلبته الغرّة (الغفلة) ، وان أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة بلغ به البلاء ، وان جهد به الجوع قعد به الضعف ، وان أفرط فى الشبع كظته البطنة

فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له قاتل ، فما أحسن الاعتدال !

طبيب هارون الرشيد وعلى بن الحسين

يحكى : أن الملك هارون الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق ، فاجتمع ذلك الطبيب يوما مع على بن الحسين بن واقد عند الرشيد ، فقال الطبيب لعلى : ان العلم قسمان ، علم أبدان ، وعلم أديان ، وليس فى كتابكم من علم الطب شىء

فقال له علىّ : إن الله تعالى قد جمع الطب كله فى نصف آية من كتابه . فقال الطبيب : وما هو نصف الآية ؟

فقال له على : هو قوله تعالى « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا »

أى اعتدلوا فى الأكل والشرب

فقال له النصرانى · ان نبيكم لم يروَ عنه شىء فى الطب

فقال له على : قد جمع رسولنا ﷺ الطب فى ألفاظ يسيرة

فقال الطبيب · وما هى ؟

فقرأ على الحديث الآتى :

قال ﷺ · المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، واعط كل بدن ماعودته

فقال الطبيب النصرانى عند ذلك · ما ترك كتابكم ، ولا نبيكم (لجالينوس) شيئا من الطب

أمثال فى الاعتدال

١ — تشكا بعضهم (لسقراط) مايجد من قلة الشهية للطعام، وعدم الاستلذاذ بألذ المأكولات

فقال له سقراط · عندى لذلك علاج شاف ، وهو أن تعتدل فى المأكل وتقلل من الألوان، فتستلذ بما تأكله ، وتقل نفقاتك، ويعتدل مراجك

٢ — ودعا سقراط جماعة للطعام ، فلما رأى بعض أصحابه سذاجة طعامه ، وقلة الألوان التى أعدها لهم لامه وقال له كان الأحدر بك أن تريد اهتمامك بالاستعداد لضيوفك

فقال سقراط : إن كان ضيوف عقلاء فعلى المائدة ما يكفيهم ، وان لم يكونوا عقلاء فعلى المائدة أكثر مما يستحقون

الاقتصاد

الاقتصاد باعتبار أنه « علم الاقتصاد » هو تدبير المال ، وتقليبه فى الوجوه المختلفة ، ليغزر وينمو ، وهو من أشهر العلوم العصرية ، ومن أهم مايعنى به الاجتماعيون والاداريون من بين علوم الحضارة والعمران ، فى هـذه الأزمان ، وهو خارج عن موضوع كتابنا هذا

والاقتصاد باعتباره فضيلة من الفضائل الخلقية ، هو الابقاء على شىء من المال وحفظه لأيام الاحتياج اليه بعد انفاق جملة المال

ومعنى الاقتصاد القصد فى النفقة ، وهو العدل فيها ، والتوسط بين الاسراف والتقتير ، فلا يجارى الانسان من هو أغنى منـه فى اسرافه وتبذيره ، فيقع فى أسر الاستدانة ويصبح فقيرا معدما ، فينبذه كل من رآه ، ويبغضه كل من علم أمره ، ولا يبخل على نفسه وأهله فى الانفاق ، أو يشح بالاحسان على البائسين والمحتاجين ، فيكون عرضة الى ضرر اجتماعهم ، وهدفا الى سوء عاقبـة حرمانهم ، فيعيش ولا رأفة عنده ولا اطمئنان ، ويكون معتدلا فى انفاقه وصرفه ، مقتصدا بقدر الامكان ، لمـكافحة مصائب الزمان ، وطوارق الحدثان

وبما أن المرء يجهل أحوال الزمان ، ولا يأمن صروف الأيام ، ولا يدرى ما اذا كانت غبطته تدوم ، أو باب رزقه يبقى مفتوحا ، كان حقاً عليه أن يستعد للأيام قبل وصولها اليه ، وأن يتدارك الاعسار قبل الوقوع فيه ، بأن يجمع فى أيام إيساره ، مايقاوم به اعساره ، وذلك بالاقتصاد فى المعيشة

وقد ورد هذا المعنى فى الحديث الشريف ، وهو قوله ﷺ :

« رحم الله امرأً كسب طيبا ، وأنفق قصدا ، وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته »

« كسب طيبا » أى من الرزق الحلال الطيب « وأنفق قصدا » أى عدلا من غير تقتير ولا اسراف « وقدم فضلا » أى بقية يبقيها من نفقاته يدخرها الى أن يقدمها لنفسه فى أيام عجزه وشيخوخته التى يرافقها غالبا الفقر والحاجة

فما أحسن هذا الأدب الشرعى ! وما أشد حاجة الناس اليه على اختلاف طبقاتهم وأدوارهم وأطوارهم !

والاقتصاد على هذه الصورة التى علمنا اياها الشارع الحكيم من الواجبات الشخصية التى ينبغى أن يراعيها الانسان فى ابواب الكسب والتجارة والزراعة والصناعة

فلا يدخل عليه المال من هنا ، ثم يطلق يده فيه فيبدده ويتلفه

ويخسر الوسيلة التى يكون بهـا نيل الخيرات ، وفعل المكرمات ، والفوز بالرغبات ، كما يحت عليه من حهة ثانية ألا يشح ، أى يجمع المال ، ويحرص عليه الى حد التقتير على نفسه وعياله فى ضرورات معيشتهم ، فيصبح كأنه فقير حقيقة ، وهو غنى اسماً وصورة ، كما قال الشاعر :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله　　مخـافة فقر فالذى صنع الفقر

ذكر ماقيل فى الاقتصاد

من الآيات الحاضّة على العدل فى النفقة قوله تعالى :

« وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ »

« وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا »

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا »

والأحاديث الحاثة على الاقتصاد كثيرة . منها قوله ﷺ .

« من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله

« ماعال من اقتصد » ومعنى (عال) افتقر واحتاج

« التدبير نصف المعيشة »

« ما أحسن القصد فى الغنى ، وما أحسن القصد فى الفقر ، وما أحسن القصد فى العبادة »

« الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة »

وأثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الاقتصاد بقوله : ماعال مقتصد ولا يعيل

وقال : إنى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام فى يوم واحد

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله يحب القصد والتقدير ، ويكره السرف والتبذير

وقال على كرم الله وجهه · دع الاسراف مقتصدا ، واذكر فى اليوم غدا

وقال معاوية · حسن التقدير نصف الكسب ، وهو قوام المعيشة

وقال الأصمعى : من اقتصد فى الغنى والفقر ، فقد استعد لنوائب الدهر

وقال شيشرون : الاقتصاد خير مصادر الثروة فى الأسرة والمملكة

وقال أحد علماء الاقتصاد : من ربى ابنه على الاقتصاد أفاده أكثر مما يترك له ثروة وافرة وقال أحد الشعراء :

أنفق بقدر ما استفدت ولا تسرف وعش صاح عيش مقتصد

من كان فيما استفاد مقتصدا لم يفتقر بعدها الى أحد

وصفوة القول: أن الاقتصاد، واستفضال شىء من النفقة، أساس التدبير المنزلى ، ومن أول الواجبات الشخصية ، وهو الملجأ الأمين الذى يلجأ

اليه أرباب الأسر فيجدون فيــه الهدوء والراحة والسرور وحرية التمتع بالنعم والخيرات التى أفاضها الخالق تعالى عليهم

قال بعض كتاب العرب · قــد عاينت الأمور وعانيتها ، ثم بعد تفــكر عميق فى الحياة لم أجــد سوى أمرين ربمــا جلبا السعادة : الاعتدال فى مطالب النفس ، وحسن التصرف فى الثروة

وجاء فى الأنباء· أن بعض الأوربيين والشرقيين لم يعنوا بجمع المال للهو واللعب والتفاخر والتكاثر ، بل ادخروه واقتصدوه لتعليم أنفسهم وأولادهم ، وإنشــاء المدارس ، ومكافأة العلماء ، ومساعدة الفقراء ، واسعاف المصابين ، واقامة الملاجئ ، وبناء المستشفيات ، وكم رأينا وسمعنا من أناس منهم يوصون بأموالهم ، التى اقتصدوها وأعدوها لأعمال البر والخير والاحسان ، أن تصرف فى هذا الغرض الشريف ، غرض رقى الأمة وسعادتها

فلمثل هذا يكون الاقتصاد فى المال ، ولمثل هذا فليعمل العاملون

مثال فى الاقتصاد

يروى عن المستر (اسمث) مخترع الطرقة البخارية : انه كان يعمل فى مصنع ويقتصد فى نفقاته ، ويشترى بما يريد آلات ليعمل بنفسه ، ولم

يمض عليه ثلاث سنوات فى ذلك الصنع حتى اشترى دكانا وعمل فيه سنتين

ثم انتقل الى معمل كبير وما زالت أعماله تتسع حتى بلغت ثروته مبلغا عظيما

مثال آخر

قال أحد أعضاء البرلمان الانجليزى : كنت فى حداثة سنى أعمل فى منجم من مناجم الفحم الحجرى ، وأقتصد من أجرى صيفا لأتعلم شتاء ، وما زلت كذلك حتى اتسعت معارفى، ووصلت الى مركزى فى البرلمان

مثال آخر

قال بعضهم زرت أحد معامل النسيج ، فوجدت فيه أربعة آلاف عامل يعملون معا فى بناء واحد ، وكان معى أحد أصدقائى ، فلما التقينا بصاحب المعمل التفت صديقى الىّ وقال لى مشيرا اليه · إن فلانا كان أجيرا فى هذا المعمل منذ خمس وعشرين سنة ، والآن صار المعمل كله ملكا له باجتهاده واقتصاده ، فقال صاحب المعمل · إن امتلاكى لهذا المعمل لم يتوقف كله على اجتهادى واقتصادى ؛ بل

على اجتهاد روحتى واقتصادها أيضا ، فاننى لما تزوحت منها كانت تعمل فيه وكانت أجرتها سبعة قروش كل يوم

وحقيقة كم من أناس كانوا فى أول حياتهم من العمال الأصاغر وهم الآن يملكون المعامل الكبيرة والأملاك الواسعة بفضل اجتهادهم واقتصادهم

هذا وقد ذكرنا أمثلة كثيرة فى الاقتصاد فى الجزء الثالث من كتاب السمير

قواعد الاقتصاد

القاعدة الأولى ادخر شيئا من دخلك مهما قلّ ، فان كل من يدخر من دخله يصير غنيا ، ولو كان دخله قليلا ، أما من ينفق أكثر من دخله فحكمه حكم القاصر السفيه ، والغالب أن جميع الشرائع تعتبره كذلك ، وتحكم بأن يقام قيم عليه ينظر فى شؤونه ويدبر أموره

القاعدة الثانية · ادفع ماعليك نقداً ، ولا تكن مديناً لأحد ، واعلم أن الدين باب الخراب ، ومن دخله لايأمن أن يُخدع ، أو يَخدع

القاعدة الثالثة · لاتنفق اعتمادا على ربح واصل آجل ، فان كل مالم تحصل عليه بالفعل فأنت فى خطر من عدم الحصول عليه ، ومن ينفق أموالا قبل ماتصل الى يده فلا ينجو من الدين والفقر

القاعدة الرابعة : أكتب كل دخلك وكل خرجك ، وراجعه مرة بعد أخرى

القاعدة الخامسة : اعمل ميزانية دقيقة لكل سنة قبل الدخول فيها ، حتى يمكنك أن تقتصد من مالك الذى بيدك اليوم ما يقوم بحاجاتك ويزيد عليها فى الغد

القاعدة السادسة – إياك والاتلاف فان الذى تتلفه تخسره ولا ينتفع به أحد

القاعدة السابعة – راقب كل أعمالك بنفسك فان كنت من أهل الامارة فما أنت بأعظم من (فردريك الكبير) ملك (بروسيا) ولا من (واشنطون) محرر (أمريكا) فان كلا منهما كان يعرف كل مافى بيته وكل ماينفق فيه ؛ وان كنت من أهل الأعمال فلا يتعب لك أحد وأنت متغافل عنه كما يتعب وأنت تراقبه ، وقد جاء فى الأمثال · لايهتم فى العمل إلّا صاحبه ، ولا يراقب الشيء إلّا عين صاحبه

القاعدة الثامنة – لاتشتر شيئا لاتكون محتاجا اليه بفكرة كونه رخيصا أو غير بالغ حد قيمته ، فانه فى الواقع ونفس الأمر يكون عاليا لعدم احتياجك اليه

ولا تشتر شيئا خارجا عن حد ايرادك ميلاً منك الى التظاهر والمباهاة

والفاخرة الباطلة ، فان هذا مما يقوض ثروتك ، ويكون سببا لتأخرك

القاعدة التاسعة – أنظر دائما فى أمور مستقبلك ، واعمل حسابا لما عساه أن ينزل بك من نكبات الدهر لاتخاذ الاحتياطات اللازمة للتغلب عليها ، فان من تبصر فى العواقب يكون فى أمان وراحة بال

تدبير الوقت

اذا فاتنى يوم ولم أصطنع يدا ولم أكتسب علما فماذاك من عمرى

الزمن كالمال ، كلاهما يجب الاقتصاد فيه وتدبيره ، وان كان المال يمكن جمعه وادخاره لوقت الحاجة بخلاف الزمن

قيمة الزمن كقيمة الوقت ، كلاهما قيمته فى حُسن انفاقه ، وحسن استعماله ، فالبخيل الذى لاينفق من ماله إلاّ ما يسد رمقه فقير كما اذا كانت أمواله مزيفة ، كذلك من لم ينفق زمنه فيما يزيد فى سعادته وسعادة الناس فعمره مزيف

إنا نعيش فى زمن محدود ، ليل ونهار يتعاقبان بانتظام ، ليس يطغى أحدهما على الآخر ، وحياة مقسمة تقسيما محدودا ، صِبا ، فشباب ، فكهولة ، فشيخوخة ، ولكل قسم عمل خاص لايليق أن يعمل فى غيره ، كالزرع اذا فات أوانه لايصح أن يزرع فى غيره

وحياة محدودة فاذا جاء الأجل فلا مفر من الموت

وما فات من الزمن لايعود ، فالصبا اذا فات فات أبدا ، والشباب اذا مرّ مرّ أبدا ، والزمن المفقود لايعود أبدا

واذا كان الزمن محدودا ، وكان لا يمكن أن يمد فيه أو يقصر ، وكانت قيمته فى حسن إنفاقه وجب أن نحافظ عليه ، ونستعمله أحسن استعمال

وليس للانتفاع بالزمن والمحافظة عليه إلا طريق واحد ، ذلك أن يكون لك غرض فى الحياة ترضى عنه الأخلاق فتنفق زمنك فى الوصول اليه

وضياع الزمن لسببين . الأول ألّا يكون للانسان غرض يسعى اليه

قال عمر بن الخطاب : انى لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْلَلاً ، لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة ، فما أضيع زمن قارئ يقرأ مايقع فى يده من الكتب من غير أن يكون له غرض معين كبحث موضوع خاص أو دراسة مسئلة خاصة

وما أتعب من يمشى فى الطريق لاالغرض ، يسير من شارع لشارع ، وينتقل من حانوت لآخر لا لغرض معين

وتحديد الغرض يوفر من الزمن الشيء الكثير ، ويسير الانسان فى الحياة على هدى ، كلما صادفته أمور عرف كيف ينتجب منها

مايغذى غرضه ، ويتجنب مالا يتفق معه ، ان الذين لايحددون أغراضهم ويتركون الزمن يمر عليهم كما يمر على الجماد قلما يصدر عنهم خير كبير أو يأتون بعمل عظيم

والانسان بلا غرض كالسفينة فى البحر بلا مقصد — متروكة فى يد الأمواج تلعب بها ؛ ويلاحظ أن أكثر الناس عملا أوسعهم زمنا ، ذلك لأنهم محدودو الغرض فهم يوجهون أعمالهم قبله ، ولا يصرفون زمنهم فى التردد والاحتيار ولا يكون كرة فى يد الظروف تلعب بهم كما تشاء ، بل هم الذين يخلقون الظروف ويتصرفون فيها حسب أغراضهم فى الحياة

الثانى — مما يضيع الزمن أن يكون للانسان غرض محدود ولكنه لايخلص لغرضه فلا يَجِدُّ الوصول اليه ، ولا يعمل مايتفق معه

« عن كتاب الأخلاق »

هذا وان ضياع الوقت لايوازيه شىء آخر سواه مهما كان نفيسا فاذا فرطت فى متاع عزيز أو تحفه ثمينة أمكنك استردادها بضرب من ضروب الحيل ، أما اذا فرطت فى ساعة من عمرك وأضعتها بدون أن تكسب بها خيرا أومحمدة لا يمكنك استرداد تلك الساعة ولو بذلت فى سبيلها ملء الأرض ذهبا . فالوقت إذًا أثمن من الذهب

وأعز منـــه . نعم الوقت ثمين جدا ، واذا مضى لايعود ، وجاء فى الأمثال : الوقت من ذهب ، فاذا أضعت منـه شيئا فكأنك أضعت جزءا من مالك ، فاذا كنت تـكسب ريالا مثـلا فى اليوم وتركت الشغل يوما واحدا فـكأنك خسرت هذا الريال

ولقد أصاب صفى الدين الحلى حيث قال :

حياتك رأس المـــال والعلم ربحه ‏ ‏ ‏ وأخــلاق أشراف بهن تصدر
وموسمك الأيام خلتـك حازما ‏ ‏ ‏ والا فذو التفريط لاشـك يخسر
ومن ضيع الأوقات ضاعت حياته ‏ ‏ ‏ وعاش فقيرا جاهلا لس يشكر
ودع عاتبا من فائت ومؤمل ‏ ‏ ‏ فوقتـك سيف قاطع ليس يعذر

حقاً إن الوقت كالسيف ، اذا لم تقطعه بالأعمـال النافعة قطعك بالأسى والأسف

ومن المعلوم أن الحياة جهاد وكد ، فلـكل يوم من أيام حياتك عمل فاذا لم تعمل فى يومك عمله ضاعت عليك فائدته . وقال أحد الشعراء .

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل ‏ ‏ ‏ الى غـد إن يوم العاجزين غد

وجاء فى الحـكم . لا تؤجل الى الغد ماتقدر أن تعمله اليوم ؛ لأنك إذا أخرت عمل يوم الى يوم آخر اجتمع عندك عمل يومين فيصعب عليك القيام بهما ، أما إذا أمضيت فى كل يوم عمله أرحت نفسك ، واكتسبت قيمة وقتك

وليس من المحافظة على الوقت تخصيصه جميعـه للعمل ؛ بل تقسيمه تقسيما مناسبا لحاجات الانسان حتى تصيب الراحة والسرور قسما منه لأ نهما لازمان للحياة أيضا

إن لبدنك عليك حقا ، ولذلك قد رأت الشرائع والحـكومات أن تخصص يوما فى الاسبوع للراحة مرـ الأعمـال وتجديدا للقوى واستعدادا لاستئناف العمل ؛ فجعلت يوم الجمعة عطلة عند المسلمين ، ويوم السبت عند اليهود ، ويوم الأحد عند المسيحيين

(سبل النجاح)
للمؤلف

كاتب بليغ يندب وقتاً أضاعه

ويحث على المحافظة على الزمن

الوقت هو التبر الثمين ، ولـكنا نتلقاه غير مكترثين ، نبدد الأعوام واحداً بعد واحد ، لا نستفيد منها نفعاً ، ولا نحسن فيها صنعاً

فهل لمن يصرف الأيام ، بين الأوهام والأحلام ، إن كنت تجهل مقدار ماتضيع من الزمن ؛ فقف بالقبور ملتمسا من سكانها برهة من الوقت ، تعلم أنه العزيز الذى لايملك ، فمن أضاعه واشترى به ثمناً قليلا فأولئك هم الخاسرون

ألا إن الطبيعة لحكيم مهذب الأفكار ، بدروس الاعتبار ، وانّا لنموت فى كل حين ثم نحيا ، ثم نعود أمواتاً ، فلنا فى كل يوم عمر جديد ، ولكن أكثرنا لا يشعرون

تمر بنا الأوقات سراعا ، وتكر الأيام تباعا ، فنذهل عن تعاقبها كالمحدق بالكرة الدائرة يحسبها ساكنة أو كالمغتسل فى النهر يمر به الماء جاريا فلا يميز بين منصرفه وآتيه ، والحق إنّا لفى ضلال مبين

لم يكفنا القعود ، عن شراء الوقت المفقود ، حتى نشرى بكل نفيس مايضيع به الموجود

نبدد كنور الأيام غير ساكرين ، فاذا بدا الشاعل قلنا ما أبطأ الزمان متحركا ، وما أثقله نزيلا ، والتمسنا الى الفرار منه سبيلا ، ولا فر إلّا من أنفسنا ، فالزمان عين الوجود

نملّ البقاء ، ونرجو الفناء ، فاذا جاء نذيره ، وددنا لو نكون من الخالدين

ويتمثل لنا الوقت سبحاً ثقيل الوطأة ، فاذا تولى رأيناه طائرا عظيم الجناحين ، فنسعى فى طلبه ، فلا ندرك له أثرا ، فنعود عنه آسفين

فما سرُّ هذا التناقض ؟ وما بالنا نرى اليوم الحاضر بغيضا ، فاذا انقضى بكيناه وقلنا ان الزمان بمثله لضنين ، ولا يضن الزمان بالأيام ،

وإنما نحن بهـا مسرفون ، وما كان ندمنا إلّا عقابا على الاسراف ، كذلك يجزى المفرطون

تفيض علينا الأوقات ، فننفق منها بغير حساب ، ثم نحثها على السير ، فاذا انصرفت ناديناها غير مسمعين ، فنحن نسعى الى الموت ، ثم نبرمه ، كعاشقة حمقاء تغاضب من تهواه سعيا الى الهجر ، فاذا رامه أتته مستعفرة أنها من التائبات

وعلّ الأعمال ، ولا راحة إلّا بالأعمال ، فالهناء ثمرة لاتنبت إلّا فى حقول الأشغال ، والحياة إن لم تكن مقرونة بالهناء ، فهى عين العناء

فقل لمن يلتمس الملاهى لصرف مايحسبه بطيئا من وقتـه السريع أى هـذا المسترحل طفلا ، المسترحل كهلا ، القاعد عن النعمه سهوا ، نراك تحسب اللهو حياة ، فهل تحسب الموت لهوا ؟

تنام ملء عينيك على وساد الفساد ، تحت ظلال الوبال ، ولا تسمع حركة الوجود ، كأنك ممن انحروا ، فا كتنفتهم الأنواء تجر سحابا ، تمطر عذابا ، تحل دونها آدابهم وهم لايسمعون

فنبه طرف الفكرة ، من رقدة الغفلة ، واحرص على يومك ، حرص البخيل على الدرهم ، فربمـا مرت النعمة تحت جناح ساعة منـه وأنت لا تعلم

واعد بما تعد من الفضل ماصار من وقتك منسيا ، فالمأثرة تعيد مامات الزمن حياً

واعلم أن من أضاع شيئا من الوقت ، فقد سرق التبر ، بل سلبه العمر ، وكان من القتلة الظالمين

من منتخبات
أديب اسحاق

جزاء عدم المحافظة على الوقت

اقتربت سفينة من جزيرة جميلة فقال (الربان) أى الرئيس : من أراد النزول من الركاب فلينزل ، وعليهم أن يرجعوا عند مايدق الجرس فى الغروب ، لأنه حينئذ يرفع المرساة ويستمر فى سياحته ، فانقسم الناس الى خمس جماعات ·

١ – فمكثت الأولى على ظهر السفينة ؛ لأنهم كانوا يخشون أن يضلوا فى الجزيرة

٢ – وتحولت الجماعة الثانية فى الغابات ، وتمتعوا بروائح الزهور وأكلوا من الفاكهة اللذيذة ، ورجعوا الى السفينة فرحين منتعشين

٣ – وتحولت الثالثة بعيدا ، ورجعوا الى الشاطئ فى عين الوقت الذى كان فيه الملاحون يرفعون المرساة ، وكانوا يخشون أن يكونوا قد تأخروا عن الميعاد المعين

٤ – وأبطأت الجماعة الرابعة ، وتوانت حتى سمعوا الجرس يدق فلم يهمهم ذلك ، بل قالوا : لاحاجة الى السرعة ، فالربان لا يذهب بدوننا ، غير أن السفينة أخذت تتحرك ، فخاض القوم الحمقى فى المـاء ، وشاجر بعضهم بعضا عند ما كانوا يتسلقون بجهد على جانب السفينة

٥ – وأما الجماعة الخامسة فأكلوا وشربوا ، وأكثروا من الأكل والشرب ، ولم يعرفوا أين يقفون ، فغلبهم النوم ، فلم يسمعوا صوت الجرس ولم يعرفوا أن السفينة أقلعت

ثم استيقظوا فى ظلمة الليل ، فارتبكوا وهلكوا ، وذهبوا ضحية عدم محافظتهم على الوقت المحدد لقيام السفينة ، ولسان حالهم يقول ·

أنلهو وأيامنا تذهب ونلعب والدهر لا يلعب

مثال الرجل المحافظ على وقته

روى أن ملـكا ركب فى موكب عظيم ، فهرعت الناس أفواجا لينظروه ، فمرّ بصانع ، فرآه مكباً على شغله ، ولم يلتفت اليه ، ولم يرفع رأسه للسلام عليه

فوقف الملك عنـده وقال كل الناس ينظرون الىّ الا أنت فما السبب ؟

فقال الرجل · أيها الملك ، أدام الله ملـكك ، إنى رأيت الأيام تمر

مرّ السحاب ، وتسير سير الشهاب ، وما رأيت أنفع ولا أبقى للمرء من عمل ينتفع به فى حياته ، وينتفع به الناس ، فها أنا أبذل غاية جهدى فى اتقان عملى ، والمحافظة على وقتى

فسرّ الملك من جوابه ، وأمر له بجائزة

ومن أمثلة المحافظة على الوقت والاستفادة منه ما يأتى :

كان الصاحب بن عباد وزيرا جليلا لمؤيد الدولة أبى المنصور بن بُويه بعد أبى الفضل بن العميد ، ولم تقعده أعمال الوزارة أو مصاحبة مؤيد الدولة من تأليف كتاب المحيط فى سبعة مجلدات والكافى فى الرسائل وجملة كتب عزيزة الفائدة تدل على تدبيره لوقته وعدم إضاعة شىء منه

وكان أحد رؤساء الجمهورية الأمريكية ، وهو صغير السن ، يغتنم العطلة الدراسية فيقضيها فى العمل ، فيربح ما يساعده على شراء الكتب ، وتعلم العلوم

وكان المستر (اسمث) المخترع العظيم ، يعمل كل يوم بعد الظهر وبعد الفراغ من دروسه فى معمل أبيه

ويحكى : أن (كسرى أنو شروان) ملك الفرس مرّ على شيخ كبير فى السن ، يغرس النخل ، والمعروف أن النخل لا يطرح ثمرا إلا بعد

زمنٍ طويل ، فدهش الملك من تقدير هذا الشيخ الفانى ، لقيمة الوقت وعدم إضاعته سدى

وكان (علادستون) السياسى المشهور ، والخطيب الانجليزى على سعة علمه ، وشدة د كائه ، وفصاحة قلمه ولسانه ، لا تخلو يده فى أى وقت من الأوقات ، من كتاب يقتل به الوقت ، اذا ركب قطارا أو مركبة

وكان (إسحاق نيوتن) المستنبط العظيم ، يشغل وقت فراغه ، وهو تلميذ يصنع الآلات الصغيرة ، فكان التلاميذ يسمعون صوت المنشار وطرق القدوم من مخدعه

وكان (استيفنسن) مبتكر الآلة البخارية أجيرا ، غير أنه كان يشغل وقته بدرس الحساب والمساحة ، ويحل مسائلها بقطعة من الطباشير على جوانب مركبات الفحم ، فى جوف الليل

وكان ابن رشد الفيلسوف العظيم ، يقضى ليله فى التأليف والتحرير ولم ينقطع عن ذلك إلا فى ليلتين ، ليلة عرسه وليلة وفاة أبيه

وكان ياقوت الحموى تاجرا ، يشتغل فى البلاد ، ويطوف بالمدن والأمصار ، غير أنه لم يرض لنفسه أن يخطئ الفرص التى أتيحت له ، فأخذ يدون كل ماشاهده من الأماكن ، ويصف أخلاق ساكنيها حتى جمع كتابه المشهور ، (معجم البلدان) فكان أعظم كتاب فى علم تخطيط البلدان ، وأخلاق الشعوب

وكان ابن الصابونى ، خازنا لمكتبة فى بغداد ، فعزّ عليه أن يجد الناس ينتفعون بها دونه ، وأبى أن يكون أمينا على كتب يجهل مافيها ، ومن ثم أخذ يجتهد فى قراءتها ويعنى بالتدقيق فى مسائلها ، حتى ألف كتاب (مجمع الآداب) فى خمسين مجلدا (ودر الأصداف) فى عشرين مجلدا

واجب الانسان نحو أسرته

تتكون الأسرة عادة من أب وأم وإخوة ، وأقرب الناس اليهم ثم الخدم

وشأن الانسان فى أسرته كشأن العضو فى جسمه ؛ فكما أن الانسان لايتمكن من القيام بأعماله ، إلّا اذا تعاونت أعضاء جسمه ، وقام كل فرد فيها بعمل

فاذا لم يقم رب البيت بالنفقة على الأسرة ، وربة البيت بادارته وتدبيره حاق به الفناء واذا خرج الأولاد عن طاعة والديهم ، وهجروا دروسهم ، وانصرفوا الى اللهو واللعب فقد كتب عليهم الشقاء ، وعلى أسرتهم الذل والعناء

والسرّ فى بقاء الأسرة ، وارتفاع شأنها ، ودوام سعادتها ، إنما يكون فى تعاون أفرادها وقيام كل منهم بواجبه

ولنتكلم الآن على واجب الانسان نحو أبويه

واجبه نحو والديه

الواجبات المطلوبة نحو الوالدين هى : الحب – الشكر – الطاعة – الاحترام – البرّ

١ – أما الحب ، فعاطفة فطرية أوجدتها القدرة الربانية ، فى قلب الولد ، فان لم يشعر الولد فى دور الطفولة ، بأنه منجذب بميل طبيعى لمحبة والديه المملوءين عطفا وحنانا عليه ، فانه يشعر بذلك إذا شبّ ، وكلما نما ازداد إدراكه وشعوره بالمحبة ، حتى اذا بلغ أشدّه تحولت محبته لأهله شفقة ، فيعمل لسعادتهم كما كانوا هم يعملون لسعادته

٢ – أما شكره لهما ، فيجب ألا يحده حد ، ولا يحصيه عد ، لأنهما سبب وجوده فى الحياة الدنيا ، وهما اللذان ربياه وأحباه حبّاً جمّاً ، وأقل ثمن على ذلك الشكر ، وعليه أن يقرن هذا الشكر بالعمل لنفعهما ، وتخفيف أعباء الحياة عنهما ، فهو عدتهما فى الحياة ، وفلذة كبدهما ، وموضع رجائهما وهنائهما ، ومحل عنايتهما

وأن يكون أداؤه حق الشكر ، وقيامه بفروض العمل ، بلا منّ ولا ضجر ، بل بالعطف والصبر ، لأن هذا لايعادل ماصادفاه من المشاق العظيمة فى تربيته ، منذ وُلد الى أن صار شابا يكسب المال بجده

ونشاطه بفضل رضائهما وحبهما ودعائهما وتثقيفهما عقله بالعلم والآدب فيجب عليه أن يعاملهما بالاحسان عملا بقوله تعالى :

« وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا »

وقال تعالى · « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا » . الى آخر الآية

وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام : بالأمهات ، وكرر ذلك ثلاثا ، ثم أوصى بالآباء

وقال أيضا : « الجنة تحت أقدام الأمهات »

٣ – أما طاعته لهما فهى دليل على إخلاصه وحبه ، فواجب عليه أن يطيعهما ، وأن يخفض لهما الجناح فى السر والعلانية ، وأن يعمل بنصائحهما ، وأن يعتقد كل الاعتقاد بأن الفوز والنجاح فى امتثال أوامرهما ، والخيبة والخسران فى مخالفتهما ، لأنهما أعرف منه بالمنافع والمضار ، وأكثر خبرة بأمور الدنيا ، ولا يهمهما إلا نفعه وراحته وسعادته

٤ – أما احترامه البنوى لهما يكون برعاية الأدب نحوهما فى قوله

وعمله ، فلايعاملهما معاملة الأنداد النظراء ، بل معاملة الصغير للكبير ؛ حتى اذا بلغا من الكبر عتياً ، وجب عليه احتمال مايبدو منهما مهما كان مخالفا للعقل ، والصبر مع التعطف فى إرشادهما الى جادة الحق والصواب

فمن رزق ابنا شكورا مطيعا ، محبا لأبويه محترما لهما ، فقد نال نصيبا عظيما من نعيم الدنيا وثواب الآخرة

٥ - أما البرّ بالوالدين ، فاذا بلغا الكبر ، وصارا عاجزين عن العمل ، كان لهما عونا ، وحاطهما بعنايته ، وأنفق فى حاجتهما مايستطيع إنفاقه جزاء لسالف برّهما ، وعظيم فضلهما

إنّ الولد البارّ بأبويه المخلص لهما فى الطاعة ، يستقبل من ذريته أبرّ الابناء ، وأوفاهم له ، وأعطفهم عليه ، جزاء وفاقاً لطاعته السالفة ، وبرّه السابق ، وكما يدين الفتى يدان

وقال عليه الصلاة والسلام برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم

ومهما بالغ الابن فى إكرام أبويه فلن يستوفى واجب البر

أمثال وحكايات فى فضل الوالدين

أنت ومالك لأبيك

قيل : أن رجلا جاء الى النبى ﷺ فقال له :

يارسول الله إن أبي أخذ مالى

فقال له المصطفى عليه الصلاة والسلام : اذهب فائتنى بأبيك

فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : مابال ابنك يشكوك ، أتريد أن تأخذ ماله ؟

فقال له : سله يارسول الله . هل أنفقه إلّا على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسى

فقال له النبى ﷺ : دعنا من هذا ، أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك

فقال الشيخ : والله يارسول الله ، مايزال الله يزيدنا بك يقينا ، لقد قلت فى نفسى شيئا ماسمعته أذناى

فقال النبى ﷺ : قل ، وأنا أسمع

فقال الشيخ

غذوتك مولوداً وعُلتك يافعاً تَعلّ بما أحنو عليك وتنهل
إذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت لسقمك إلّا ساهرا أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى طُرقت به دونى وعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وأننى لأعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى اليها مدى ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل

فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلا له : أنت ومالك لأبيك

حنان الآباء

أقبل غلام من العرب على المنصور فسأله عن أبيه

فقال الأعرابى : مرض والدى رحمه الله يوم كذا ، ومات رحمه الله يوم كذا ، وترك رحمه الله من المال كذا

فانتهره الربيع فى المجلس وقال له :

ماهذا الحمق ؟ كيف وأنت ماثل بين يَدَىْ أمير المؤمنين توالى بالدعاء له ؟

فقال له الأعرابى : لا لوم عليك ، ولا عتب ، لأنك لم تتذوق حنان الآباء

لأن الربيع كان مولى المنصور ولا يعرف له أب

ما أحسن الولد البارّ بأمه

كان زين العابدين كثير البرّ بأمه حتى قيل له :
أنت أبرّ الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها فى صحفة واحدة
فقال : أخاف أن تسبق يدى الى ماتسبق اليه عيناها فأكون قد عققتها

استوصوا بأمكم خيرا

كان فى بلاد العرب ، رجل حكيم ، رزق أولادا كثيرين ، عاش بينهم عيشة راضية ، وهم يحاونه ويحذون حذوه فى الاستقامة ، فلما شعر بقرب ارتحاله من دار الفناء ، أحضر أولاده وخاطبهم أمام أمهم قائلا .

يا أولادى - انى راحــل الى الدار الآخرة ، وما أحضرتـكم إلّا لأبلغكم وصيتى هـذه ، فاحفظوها عنى ، واجعلوها قبلتكم تؤمونها صباح مساء ، فانها خير ماترثونه بعدى

فقالوا وما هى وصيتك يا أبانا شفاك الله ؟

قال : أن تتقوا الله الذى يبقى ، وما سواه يفنى ، ويوقر صغيركم كبيركم ، فان هذا مما وصى به الله عباده ، وأن تقبلوا على الأشغال النافعة إقبال الظمآن على المـاء العذب ، فانها تعلى قدركم ، وتـكفل

لكم حسن المستقبل بين أهل الزمان

يا أولادى – استوصوا بأمكم خيرا ، أحبوها وأكرموها ، وأمدوها بجميع مايلزمها فى حياتها ، حتى لا تذهب نفسها حسرة على فقدى ، واجعلوا نعمها من أجلكم وأنتم صغار نصب أعينكم وأنتم كبار

يا أولادى – آسوا المحتاج بالطعام ، وأفشوا السلام ، وأكثروا من البشاشة ولين الجانب ، تنالوا المجد من الأقارب والأجانب

يا أولادى – كونوا متحدين ، ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين

بحر الآداب

ج ٢ – ص ٨٠

مكافأة الولد البارّ بوالديه

مما يروى أن (فريدريك الكبير) فى صبيحة يوم قرع الجرس يدعو غلامه فلم يحضر ، فدقه ثانية وثالثة فلم يجد أحدا ، فتعجب من ذلك ، وقصد غرفة الغلام ، فوجده مستغرقا فى النوم ، ووقع نظره على رسالة بارزة من جيبه ، فداخلته الرغبة فى استطلاع أمرها ، فأخذها وقرأها ، وهى رسالة الى الغلام من أمه ، تشكر له حبه البنوى وعنايته الشديدة بها ، وارساله اليها ماتوفر عنده من الدراهم

فتأثر الملك مما وقف عليه ، ومضى الى مقصورته ، وعاد منها بصرة من النقود ودسها بخفة فى جيب الغلام ، ثم خرج وقرع الجرس بعنف ، حتى هبّ الغلام من نومه مذعورا ، وأسرع الى مقصورة الملك ، فوقف وقد استولى عليه الخوف والخجل فامتدت يده من غير قصد الى جيبه ، فانتفض كمن لدغته عقرب

هذا والملك ينظر اليه ، فسأله عما أصابه

فقال وهو متلعثم إنه وجد فى جيبه صرة لايدرى من أين أتته ، ويخشى أن تكون يد عدوّ أرادت له ضرا ، فعملت على مكيدة له

فسكّن الملك روعه ، وطيّب خاطره ، وأخبره بأنه وقف بدون قصد على حلية أمره ، وأنه أراد أن يجاريه على برّه بوالدته ، فوضع له الصرة ، ثم أوصاه أن يبقى على ما كان عليه مع أمه ، فوعده أنه لاينفل عنها ، بل يواصلها بالاحسان

واجب الانسان نحو إخوته

إن أخاك الذى والده والدك ، وأمه أمك ، ودمه دمك ، ولحمه من لحمك ، ولغته من لغتك ، ودينه دينك ، لهو جدير باهتمامك ومعاونتك إياه ، وله حقوق عليك ، ورجاء فيك ، فلا تبخل عليه بالعناية والالتفات الى مصالحه ، والاهتمام بها كاهتمامك بمصالحك الخاصة

قال الله تعالى فى محكم كتابه : « قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَٱجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا »

وقال الله عز وجل · « قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَالِبُونَ »

قال سليمان · وأما الأخ فللشدة يولد

وجاء فى الأمثال العامة أنا وأخى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب ، بيانا لشدة الصلة بين الاخوة

وقال الشاعر العربى

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح

دليلا على أن الأخ هو الساعد الأمين لأخيه ، بل هو السلاح الذى يدافع به فى معترك الحياة

وعلى الأخ واجبات كثيرة نحو إخوته :

١ – فيجب عليه محبتهم ، واحترامهم ، وحسن معاملتهم ، لأنهم أقرب الناس اليه بعد أبويه ، وأن يحب لهم مايحب لنفسه ، عملا بالحديث الشريف :

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه »

معين له فى معيشته ، ولا معزيَ له فى تعبه ، فليس من العدل أن يأخذ متل ماأخذ ، فلتدهى ولتصعى فى حزمته قمحا من حزمتنا ، فأطاعته روحته فى دلك ، وقاما وفعــلا ما كانا يقولان

وفى الصباح ذهب الشقيقان الى الحقل ليرى كل ماصنعه ، فدهشا لما وجدا الحزمتين لم تنقصا ولم تزيدا ، فلم يبد كل منهما أقل اشارة للآخر ، وكررا صنيعهما مرارا ، وحدث ما حدث ، حتى اتفق أنه دات يوم ، ذهب الاثنان فى وقت واحد ليكتشف كل عن هدا السر المكنون ، فتقابلا مصادفة ، وهما يحملان القمح ، ففحص كل عن مجئ الآخر ، وعرف قصده ، وذلك ماحمل أهل (اورشليم) على أن يشيدوا فى دلك المكان ، بيتا لعبادة الله ، ليكون مباركا ، حيث كان لشقيقين صالحين متحابين ، قلباهما على قلب رحل واحد وهكذا يكون الحب الأخوى

الإخوان أفضل من المال

لما مرض قيس بن عبادة ، استبطأ إخوانه فى العيادة ، فسأل عنهم فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين

فقال . أحزى الله ما لا يمنع عن الاخوان من الزيارة ، ثم أمر من ينادى من كان لقيس عنده مال ، فهو منـه فى حل ، فكسرت عتبة بابه بالعشىّ لكثرة العوّاد

هكذا تكون الاخوة الصادقة

ننقل للناس خبرا يرتاحون اليه ، وهو خبر عمل من أسمى وأشرف ماسطرته تواريخ الأمم ، ويحق للانسان أن يفتخر به على مدى الزمان ، وهو أنه أصيب أحد الاخوان ، فى مدينة (شيكاغو) بأمريكا بسرطان فى فخذه ، وامتد حتى غطى مسافة ١٤٥ خمسة وأربعين ومائة قيراطا مربعا ، فاضطر الجراح أن يستأصل هذه القطعة كلها من الجلد ، وأراد تغطيتها بجلد حيوان فلم ينجح ، ولما رأى أنه لابد ، من استعمال جلد الانسان لهذه الغاية ، أخبر إخوان المصاب ، فتبرعوا جميعا ، بأن يقدم كل منهم قيراطا مربعا من جلده ، وكان عددهم يربو على الثلاثمائة ، فسألهم أن يستعدوا لهذه العملية ، بأن يأكلوا الأغذية النافعة ، مدة أسبوع ، ففعلوا حتى اذا جاء يوم العملية ، اجتمعوا جميعهم فى المستشفى ، وانتخب الأطباء ، العدد اللازم منهم ، وقسموهم الى فرق ، وكانوا يدخلون كل فرقة الى حجرة المريض ، الذى كان تحت فعل المخدرات ، ويتقدم كل رجل على حدة ، فيعرى الأطباء ذراعه ، ثم يقطعون قيراطا مربعا من جلده ، ويضعونه على رجل المصاب ، وهكذا حتى غطوا المائة والخمسة والأربعين قيراطا ، التى كان اللحم ، قد جرد عنها وقد عجب الاطباء ، من شهامة هؤلاء الاخوان الكرام ، وصبرهم

على تحمل هـذه العملية ، بدون أن يتعاطوا شيئا من المخدرات ، أما الأخ المصاب ، فحصل له الشفاء على أثر ذلك

فهكذا تكون الأخوة الصادقة ، والشجاعة النادرة ، ولقد أصاب من قال :

إن أخاك الحق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك

وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

وقد جاء فى مجمع الأمثال . رب أخ لم تلده أمك

واجبات الانسان نحو أقاربه

(صلة الرحم)

من أحبَّ أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه رواه البخارى « حديث شريف »

أقاربك هم . عمك وخالك ، وعمتك وخالتك ، وأبناء وبنات العم والخال ، والاصهار ، وهم أولى الناس بمحبتك واحترامك ، لأنهم أقرب الناس اليك ، بعد والديك واخوتك ، ويحبونك كحبهم أنفسهم ويريدون سعادتك ، وراحتك ومسرتك ، فيجب عليك .

١ — أن تعامل الكبار من أقاربك ، معاملتك لوالديك ، والصغار

منهم معاملتك لاخوتك ، وساو بينهم فى المودة ، ولا تتكل على القرابة ، فتقطع عنهم مودتك ، لأن القرابة تحتاج الى المودة ، بخلاف المودة ، فانها لا تحتاج الى القرابة ، وبادر الى عيادة ، من يمرض منهم ، ومواساة ضعيفهم ، وشاركهم فى أفراحهم وأحزانهم ، وقم خير قيام ، بما يكلفونك مع بذل الجهد ، فى حسن إتمامه

٢ — إن مساعدة ، ذوى القربى واجبة ، تدعوك اليها الشفقة ، ورابطة القرابة ، ولـكن ليس من البرّ مساعدة الـكسلان ، وتشجيعه على البطالة والـكسل ، إنما البرّ مساعدة من نقصته أسباب الـكسب ، قال الله تعالى : « وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ »

٣ — إذا نلت منصبا رفيعا ، فى خدمة الحـكومة ، أو المصالح العامه ، فعليك حقوق وواجبات للذين استأمنوك ووضعوك فى هذا المنصب ، فليكن نظرك فى اختيار المستخدمين الذين يكونون تحت ادارتك وإشرافك الى الأهلية والـكفاءة لا إلى القرابة ، لأن الاندفاع مع العاطفة البشرية كثيرا مايعرض المصالح الخصوصية والمصالح العامة للخطر والضياع ، لأن كثيرا من الشؤون الموكولة الى أقارب ذوى المناصب وأخصائهم الذين لايعملون من واجباتهم غير قبض الرواتب والانهماك فى تدبير أمورهم الخاصة تـكون مهملة وأعمالها مرتبكة

وفى ذلك تبعة كبيرة على المدير المسئول عنها فضلا عما يصيبه من

الاهانة والقدح فى شرفه وذمته

٤ – عليك أن تحافظ جهدك على توثيق عرى المحبة والاتحاد بين جميع أفراد الأسرة واحـذر من حصول منازعات منزلية تقضى على أسرتك بالتمزيق والخراب

قال الله تعالى : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » الآية

٥ — عليك بزيارة أقاربك ، وصلة رحمك ، من وقت لآخر حيث جعلها رسول الله ﷺ سببا فى سعة الرزق ، وفاتحة الخير وزيادته

وسأل معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المروءة . فقال : هى تقوى الله وصلة الرحم

وقال رجـل لابنه فى بعض وصاياه : يابنى لا تقطع القريب وإن أساء ، فان المرء لا يأكل لحمه وإن جاع

وما أحسن قول الشاعر :

إنى ليمنعنى من قطع ذى رحم ... رأى أصيل وعقل غير ذى وصم
إن لان لنت وإن دبت عقاربه ... ملأت كفيه من صفح ومن كرم

فمن وصـل رحمه ألف بين قلبه وقلوبهم فتصفوله ضمائرهم وتحسن سرائرهم ويحبونه ويفدونه بأنفسهم

مثال فى صلة الرحم

كان المرحوم السيد عبد الله نديم الكاتب المشهور والأديب الوطنى الغيور برّا بوالديه وذوى قرابته يصل من قطعه، ويصل رحمه، فقد كان يتسلم مرتبه من مصر والاستانة فلا يمضى زمن طويل على ذلك حتى يكون قد وزعه جميعه على الفقراء من ذوى رحمه، ولا يحوجهم الى الطلب منه، ولا يلجئهم الى سؤال غيره

وكان كذلك المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الكبير والامام الشهير كان محسنا للفقراء والبائسين، معينا للضعفاء والمحتاجين

وكان ينفق راتبه على أقاربه، فلم يبق على شىء منه؛ ولذا مات فقيرا ولم يترك سوى الذكرى الطيبة والأثر المحمود

واجب الانسان نحو الخدم

قد خلق الله الناس أحرارا لاعبيدا، وجعل بعضهم فوق بعض درجات، وأخبر أن أكرمهم عند الله أتقاهم

والخدم وإن كانوا مكلفين بخدمة الانسان، ولكن ليس له أن يعاملهم بالاهانة والاستبداد والاساءة، فلا يصح أن يؤذى أحدا منهم، ولا يهينه بكلام عنيف مؤلم؛ بل تجب معاملتهم بالرفق والاحسان اليهم، والعفو عن هفواتهم، والتزام الأدب والوقار عند

مخاطبتهم ، فيحفظ الانسان مكانته ومنزلته عندهم ، واعتبار الخادم عونا ونصيرا لا عبدا ذليلا

ويجب عدم تكليفهم من الأعمال فوق طاقتهم ، فان ذلك يزرع الضغينة فى قلوبهم ، ويجعلهم يقومون بها كرها ، وفى هذا مافيه من الخسارة

ويجب عدم شتم أحد منهم ، واجتناب المزاح معهم ؛ لأن هذا مما يحط من قدر الانسان فى نظرهم ، ويجعلهم يحتقرونه ، ويجرئهم عليه ، وربما سمع منهم كلاما لايليق أن يسمعه فضلا عن أن مخالطة الخدم تؤدى فى الغالب الى سوء الخلق وفساد التربية

واعلم أن الخدم مفاتيح أسرار البيوت ، ينقلون مايسمعون وما يرون ، فحاذر أن تلقى أمامهم أمرا يتعلق بداخلية بيتك ، أو أن تطلعهم على حالتك وثروتك ، وكن رقيبا عليهم فى كل ما يفعلون ، فبذلك تأمن مكرهم وشرهم ، وتطمئن على نفسك وأمتعتك ومالك

ويجب العناية بالخدم حين مرضهم ، وتسليتهم بالعطف ، وكلمات التشجيع ، والانفاق عليهم حتى يتم شفاؤهم ، فبذلك يحفظون الجميل ، ويقومون بالشكر الجزيل

واذا حلت بأحدهم كارثة ، كأن أصيب بوفاة أحد من أقاربه وجب مواساته فى مصابه ومساعدته بقدر الامكان . فبذلك تكتسب

اخلاصهم ومحبتهم ، ويتفانون فى خدمتك .

ويجب عـدم التأخير فى دفع أجورهم الشهرية ، فان مطالبتهم بمتأخر أتعابهم مما يحط من قدر المخدومين

ويجب عند وقوع خطأ منهم عدم توبيخهم أو تأنيبهم أمام الغرباء ، لأن ذلك يؤلمهم إيلاما شديدا لا فائدة منه سوى إيغار صدورهم فضلا عن أن ذلك يزعج الزائرين

وكذلك يجب عـدم البخل عليهم بكلمة شكر على مايحسنونه من الأعمال

مثال العطف على الخدم

كان أحد الأمراء يتفقد مزارعه فمرّ بفلاح قصير القامة حافى القدمين عارى البدن وهو يشتغل فى حرث الأرض ، فتقدم اليه وهو منشرح الصدر ، مبتسم الثغر ، وحيّاه ولاطفه ، وأحسن اليه وانصرف شاكرا له همته فى الزراعة ، فرأى من بعض حاشيته امتعاضا من منظر ذلك الفلاح ، فقال له الامير إن هذا الفلاح المسكين إنسان مثلنا ، يقوم هو وأمثاله بالزراعة التى عليها مدار حياتنا ، ورقى بلادنا ، فنحن مدينون له وواجب علينا احترامه ، واعتباره انسانا ، يستحق العطف والاحسان ، متى كان مستقيما أمينا

وكان لا حدالمهندسين الأغنياء خادمأمين صالح فكان يحبه ويكرمه ويحترمه ويأتمنه على ماله وعرضه حتى أنه أوصى قبل وفاته بان يدفن معه فى قبره وماذلك إلا لصلاحه وتقواه

عفو المأمون وحلمه نحو خادمه

كان للمأمون خادم يتولى وضوءه فكان يسرق الكاسات فبلغ ذلك لمأمون فعاتبه

وقال له يوما وهو يوضؤه : ويلك لِمَ تسرق هذه الكاسات ؟
لو كنت أتيتنى بها حينما سرقتها لكنت اشتريتها منك

فقال له الخادم : فلتشتر هذه التى بين يديك

فقال : بكم ؟

قال · بدينارين

قال المأمون : اعطوه دينارين

قال الخادم هذا الآن فى أمان

عفو أبى جعفر المنصور عن خادمه وعتقه

كان خادم أبى جعفر المنصور يصب الماء على يديه فسقط الابريق على سيده ، فقال الخادم : والكاظمين الغيظ

فقال الأمير : كظمت غيظى

فقال الخادم : والعافين عن الناس

فقال الأمير : عفوت عنك

فقال الخادم · والله يحب المحسنين

فقال الأمير · اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

الخادم الأمين والسيد الكريم

حكى أنه كان للمستر (مندل) الموسيقى الجرمانى الشهير خادم أمين قضى فى خدمته سنين عديدة بمدينة (ليبسيك) وكانت أخلاق الخادم المذكور قد تهذبت على أخلاق مولاه الحسنة حتى صار على جانب عظيم من رقة القلب واللطف وحب الخير وفعله

وكان الخادم يعول والدته واخواته ويقدم لهم كل شهر قيمة ريالين من أجرته .

ففى ذات يوم ورد على والدته كتاب ففتحته وقرأته فاذا هو من المستر (مندل) معلم ابنها يخبرها فيه أن ابنها مريض طريح الفراش ويريد مشاهدتها وبداخل المكتوب تحويل على البريد بعشرة ريالات مصاريف السفر، فتكدرت الوالدة من هذا الخبر وضاقت نفسها وبادرت فى الحال وذهبت ؛ ولكن مع الأسف قبل أن تصل بيومين مات ابنها ودفن

وحرمت من رؤيته

ولما وصلت تلقاها المستر (مدل) ولاطفها وعزّاها على فقد ولدها وأبقاها عنـده أياما وزار معها قبر ابنها حيث ذرفت دموع الحزن والأسى وعادت تندب سوء حالها وابنها معا

ثم لما عزمت على الرجوع الى بيتها منحها السيد الـكريم ٩٥٠ ريالا كان قد وفرها ابنها من أجرته وحفظها عنده ، وقال لها انه سيتبع العادة التي عودها اياها ابنها فى حياته وهو فى خدمته ، ويتعهد بان يرسل لها ريالين فى كل شهر مادامت حيّة ، وفاء بوعده وجزاء أمانة ولدها

الخادمة الشكورة

جار الزمان على امرأة كانت ذات ثروة فى أول حياتها فذهب بكل ماملكت يدها ، حتى لم يبق لهـا أحدا ينظر اليها أو يعتنى بها وتركها جميع أهلها وأصدقائها إلّا خادمتها الأمينه فانها لازمتها فى أيام ضيقتها مع أنها قالت لها مرارا أن تذهب وتبحث لها عن شغل فكانت تجيبها الخادمة

إنى لا أتركك حتى الموت ، فان مت أموت معك، وان حييت أحيا معك ، ثم قالت لمولاتها : إن لك على أيادى بيضاء لا أنساها مادمت حيّة ، أنا الآن أملك ٢٥ ليرة حفظتها من أجرتى فاعولك بها ومتى انفقتها

كلها اذهب واشتغل أيضا وأقدم لك ماتحتاجين اليه ففرحت السيدة بكلام الخادمة وشكرت لها فضلها

وهكذا بقيت تلك الخادمة الأمينة ستين كاملتين تعول سيدتها حتى ماتت

وقبل موت السيدة بقليل مات أحد أقاربها ولم يكن له وارث سواها فضبطت الحكومة أمواله . ولما وقفت على قصة الخادمة واعالتها مولاتها فى أيامها الأخيرة أرسلت للخادمة واعطتها كل تركة ذلك الرجل المتوفى وقالت لها : إنها أحق بها من غيرها ، وهكذا رد الله عليها أضعاف الأضعاف جراء احسانها لسيدتها

الخادم الأمين الوفى

كان لأحد الكتاب المشهورين خادم أمين يتناول أربعة جنيهات شهريا

وقد حكم على سيده بالنفى من بلده الى بلدة أجنبية فأخذ هذا الخادم يرسل الى سيده جنيهين شهريا من مرتبه القليل حتى أنعم الله عليه بالعودة الى بلدته وتعين في مركز كبير فى الحكومة فلم ينس هذا الرجل العظيم خادمه الأمين الوفى

فأحضره عنده وعينه فى وظيفة تليق به ، بعد أن قدم مذكرة بين

فيها سابق جميله معه حينما كان بالمنفى وأخـذ يواليه بفضله وانعامه وفاء لجميله ؛ ولما توفى هذا الرجـل العظيم على فاقة ولم يترك لأولاده معاشا يقوم بحاجاتهم فـكر هـذا الخادم الأمين فى أن يساعدهم بشىء قليل من راتبه اعترافا بفضل سيده عليه وجزاء لانعامه . وما جزاء الاحسان إلّا الاحسان

واجب الانسان نحو المدرسة

المدرسة

المدرسة كعبة يؤمها الطلاب ، لدراسة العلوم والآداب

والمدرسة أسرة كبيرة أو مملـكة صغيرة ، لهـا ناظر يرعى أمورها ، ويدير شؤونها ، ويحفظ نظامها ، ويرقى بها الى مدارج الـكمال والفلاح ، ومدرسون يقومون بتعليم النشء وتنمية مداركهم ، وتغذية نفوسهم ، بمكارم الأخلاق وثمرات العلوم ، بمـا يصلح شأنهم ، ويقوم إعوجاجهم ، وضابط يصون نظام المدرسة ، ويتفقد أعمال الخـدم ، وغيرها من الشؤون المدرسية

وكل مدرسة لها نظام تسير عليه وقوانين يكلف التلاميذ باتباعها

احترام نظم المدرسة وقوانينها

معنى النظام فى المدارس سير جميع الأعمال المدرسية فيها بترتيب محكم ؛ وكما أن الشجرة تعرف بثمرها كذلك يعرف النظام فى المدرسة بأثره فى التلاميذ وفى المدرسين

فنجاح التعليم متوقف على نظام التلاميذ؛ لأنه إذا سار النظام بينهم جنوا ثمرته فى ساعة بقليل عناء مالا يجنونه بغيره فى ساعتين

فتدريب المتعلمين على الطاعة ، وتعويدهم الخضوع للنظام ، والاحترام للقانون ، والاعتراف بسلطانه ، حتى لاتصدر إلا الأفعال التى يكون بينها وبين القانون توافق تام، من ألزم الضروريات لحياة مدرسية منظمة سعيدة

والنظام المحكم الذى يكوّن الأخلاق وينميها هو الذى يكون مرماه تخريج تلاميذ نشأوا على أنهم : ١ — لايرون عارا فى السؤال عما يجهلون . ٢ — لايرون من الحط من كرامتهم أن يعلمهم أى انسان . ٣ — يحبون عملهم ويسعون له ويهتمون باتقانه ٤ — يخضعون للقانون حباً فى النظام ، لاخوفا من العقاب

ولما كان الغرض من النظام المدرسى هو تكوين الأخلاق الفاضلة حتى تلازم الشخص بعد أدوار تربيته ، وجب اذن أن ترشد ارادته وهو صغير حتى تكون فيما بعد قوية تعشق الحق وتعمل لتصل الى الصواب

فأهم عوامل النظام للتلميذ الطاعة ولا يكون العمل فى المدرسة ممكنا إلّا بها ، بشرط أن تكون طاعة حقيقية منشؤها الاحساس بالواجب ، والحكم على النفس ، لا طاعة الاسترقاق التى منشؤها جبروت السلطة والخوف من العقاب ، فنتيجتها فى النهاية الاكثار من عدد المنافقين ، ولا الطاعة العمياء كطاعة الجنود فى الجيش فنتيجتها على الأقل ضعف الارادة

ولكى يسود النظام بين التلاميذ يجب أن يعرفوا واجباتهم فى المدرسة نحو المعلمين (المربين) ونحو رفقائهم وأصدقائهم

واجبات التلميذ فى المدرسة نحو المعلمين والمربين

على التلميذ كثير من الواجبات الضرورية لحفظ مستقبله ، وليكون عضوا عاملا نافعا فى الهيئة الاجتماعية

١ — فأول واجب عليه ، المحافظة على الوقت ، أى الحضور الى المدرسة فى المواعيد المقررة لأن التلميذ الذى يتأخر عن وقت الدراسة تفوته الفائدة ، ويصعب عليه الحصول عليها ، فيتأخر عن أقرانه

وبما أن قوانين المدرسة من حيث تقسيم الأوقات تراعى القوتين العقلية والجسدية فعلى التلاميذ العمل بموجبها بالدقة لئلا يختل النظام المدرسى

٢ — عليه الاصغاء الى الدروس ، والنصائح التى تلقى على سمعه ، لأن التلميذ الذى لا يعير معلمه أذناً صاغية لا ينجح ، ولا يكتسب شيئا من دراسته ، ويذوق مرارة الحياة

أما التلميذ الذى يلتفت وينعم النظر فى دقائق ما يحيط به فمداركه تكون أتم وأرقى ويبلغ غاية من المعرفة لا يدركها سواه

٣ — يجب على التلميذ ، وهو فى المكتب ، أن يتباعد كل التباعد عن الجلبة ، وعن الاهتزاز وقت القراءة وألّا ينتقل من محل بدون استئذان المدرس أو أمره . واذا وجّه المدرس اليه سؤالا وجب عليه أن يقوم واقفا (المادة ٨١ من قانون نظام المدارس)

٤ — لا يجوز أن يتفوّه التلميذ بكلام غير لائق أو بألفاظ فاحشة أو يشير باشارة خارجة عن حد الحشمة والأدب لأحد ، سواء كان من التلاميذ ، أو من غيرهم من مستخدمى المدرسة وخدمتها ومن وقع منه أمر من هذا القبيل يعاقب عقابا شديدا عملا بقانون نظام المدارس (المادة ٨٢)

٥ — يجب على التلميذ أن يسلك مسلكا حسنا داخل المدرسة وخارجها ، بحيث اذا وجد فى محالّ مغايرة للآداب أو عمل عملا غير جيد تصدر الوزارة أمرها برفته بناء على طلب ناظر المدرسة كما جاء فى قانون نظام المدارس

٦ — لما كان بعض التلاميذ لا يستعملون الأدب فى مسيرهم الى منازلهم بعد الانصراف من المدرسة ، وحيث إن ذلك مخالف للتربية ومناف للأدب ، إذ يقتضى أن أمثالهم يكونون قدوة حسنة للأهالى فى أقوالهم وأفعالهم ، كان من الواجب عليهم استعمال مكارم الأخلاق داخل المدرسة وخارجها ، عملا بقانون نظام المدارس ومنشور الوزارة الصادر بتاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٨٩٨ رقم ٤٦٤

٧ — ممنوع منعا باتا اجتماع التلاميذ اجتماعا من شأنه حصول مظاهرة داخل المدرسة أو خارجها كما أنه محظور عليهم الاشتراك فى أى مظاهرة كانت عملا بالمادة ٨٦ من قانون نظام المدارس

٨ — يجب على التلميذ أن يتواضع لمعلمه ، وأن يطلب الثواب والشرف بخدمته ، فانه وان كان ليس من أخلاق المؤمن التملق ؛ لكنه فى طلب العلم محمود ، فقد ورد : ليس من أخلاق المؤمن التملق والحسد إلا فى طلب العلم

قال شوقى بك أمير الشعراء :

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمتَ أشرف أو أجل من الذى يبنى وينشئُ أنفسا وعقولا

٩ — ليس على التلاميذ للمعلم واجب الطاعة فقط ، بل عليهم أن يحترموه ويخلصوا له احترامهم واخلاصهم لآبائهم

وليت شعرى أيها التلاميذ ، من أحق بالاحترام والاخلاص من رحل وقف حياته على تعليمكم وتهذيبكم واعدادكم للدحول فى مصاف الرجال ؟

من أولى بالمحبة من ذلك الرجل الذى يحلى لكم أسرار الحياة ، فتأمنوا مواقع الزلل ؟

فالرحل الواحب احترامه ومحبته والاخلاص له هو المعلم لأنه أب ثان ؛ ولأن الأب يربى البدن والمعلم يربى الروح

١٠ -- الواحب على التلاميذ هو الاعتماد على النفس ، لأن المعلم لا يستطيع أن يرافق التلميذ الى النهاية ؛ بل يسير معه فى بداية الطريق ويدربه على العمل الى أن يصير قادرا على الاعتماد على نفسه فى أعمال حياته

فالتلميذ الذى يعتمد على معلمه يخرج الى العالم وقواه العقلية ومواهبه الطبيعية صعيفة خاملة ، بخلاف التلميذ المجتهد الذى يهتم بملاحظة الجزئيات والكليات بعين البصيرة ، فيشب قادرا على معرفة كنه الأمور قادرا على تكييفها وتوجيهها الى صالح الانسانية وغيرها

١١ — أن يكون حر الفكر، صريح الضمير، لأن الرياء أحط آفات الأخلاق والتلميذ المرائى المداهن المتملق، الذى يتدلل لارضاء رؤسائه وتبرير أعماله بين رفقائه ، يدل فعله على لؤمه وعلى انحطاط صفاته

الأخلاقية بلا مراء، ويصبح كالأجرب تعاف مصاحبته، ولا يؤمن جانبه ولا تصدق كلمته، ولا تحترم عواطفه، ولا يكون نصيبه مهما نبل سوى الاحتقار والتعاسة

مثال من احترام المعلمين والتواضع لهم

الاسكندر ومؤدبه

قيل للاسكندر. ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟

قال. لأن أبى سبب حياتى الفانية، ومؤدبى سبب حياتى الباقية

الكسائى وولدا الرشيد

كان الكسائى يؤدب الأمين والمأمون، ابنى هارون الرشيد، فأراد يوما النهوض من عندهما، فابتدرا الى نعله ليقدماها له، فتنازعا أيهما يقدمها له، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة منها

فلما رفع الخبر الى الرشيد وجّه الى الكسائى، فلما دخل عليه قال: مَن أعز الناس ؟

قال لا أعلم أعز من أمير المؤمنين

قال : بلى ؛ إن أعز الناس من اذا نهض تقاتل على تقديم نعله له وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة منها

فأخذ الكسائى يعتذر حاسبا أنه أخطأ

فقال الرشيد . لو منعتهما من ذلك لأوجعتك لوما وعتبا ، ولألزمتك دنبا ، وما وضع مافعلا من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، وبيّن عن جوهرهما ولقد تبينت مخيلة الفراسة نفعلهما ، فليس يكبر المرء ، وإن كان كبيرا عن ثلاث : تواضعه لسلطانه ، ولوالديه ، ولمعلمه

ثم قال : وقد عوضتهما مما فعلا عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما

المأمون ومؤدبه

(أبو محمد اليزيد)

لقد برهن أبناء العظماء والملوك قديما على محبتهم لأساتذتهم واحترامهم ، وهاك ما قال أبو محمد اليزيد مؤدب المأمون .

قال . كنت أؤدب المأمون بن هارون الرشيد ، وهو فى كفالة سعيد الجوهرى ، فجئت دار الخلافة وسعيد قادم اليها ، فوجهت الى المأمون بعض خدمه يعلمه بمكانى ، فأبطأ علىّ ، ثم وجهت آخر فأبطأ ، فقلت لسعيد إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر فقال : أجل ؛ ومع هذا فانه

إذا فارقك تهجم على خدمه ، ولقوا منه أذى شديدا ، فقومه بالأدب

فلما خرج ، تناولته ببعض التأديب فبكى

وبينما هو يبكى ، ويدلك عينيه من البكاء ، إذ قيل جعفر بن يحيى الوزير قد أقبل ، فأخذ منديلا فمسح عينيه ، وجمع ثيابه ، وقام الى فراشه ، فقعد عليه متربعا ، ثم قال : ليدخل ، فأقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك اليه . فلما همّ بالحركة دعا المأمون بدابة جعفر ، ودعا غلمانه فسعوا بين يديه . ثم سأل عنى فجئت ، فقال : خذ علىّ بقية حزبى فقلت : أيها الأمير أطال الله بقاءك ، لقد خفت أن تشكونى الى جعفر ابن يحيى ولو فعلت لتنكر لى

فقال : ترانى يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا ، فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه على أنى أحتاج الى أدب ، خذ فى أمرك ، عافاك الله ، فقد خطر ببالك ما لا تراه أبدا ، ولو عُدت الى تأديبى مائة مرة

فلله در المأمون ، وأحسن بأدبه وكريم خلقه ، وتعظيمه لمؤدبه

الواثق ومؤدبه

دخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه ، فقيل له :

مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا أول من فتق لسانى بذكر الله ، وأدنانى من رحمة الله .

إكرام المعلم واحترامه

أشرفت الملكة (لويزا) ذات يوم من شباك قصرها وأبصرت شيخا يتوكأ على عصاه ، وقد أضناه الكبر ، وعليه من الوقار والهيبة ، ما يجعل الناظر المتأمل فى ملامحه يحترم ذات هذا الشيخ ويحترمه ، وبقيت تتأمل فيه ، وتتبعه بنظرها ، كى تعرف أين يقصد حتى وقف أمام باب القصر ، فأخبرت الخدم أن يأتوها به

فلما مثل لديها ، فرحت برؤيته كثيرا ، خصوصا لما عرفت أنه معلمها فى صغرها ، وقدمت له من الاكرام والاعتبار ما يليق بزائر كريم ؛ ولما سألته عن سبب قدومه الى المدينة ، أجابها : انى علمت أن أيامى أوشكت على النهاية ، فأحببت أن أشاهد تلميذتى مرة أخرى فى هذا العالم

فلما سمع روحها هذا الكلام أجلس الشيخ بجانبه ، ولاطفه كثيرا ودعاه للغداء معه ، فأكل معها على المائدة ، ثم أهدته الملكه رسمها مرصعا بالحجارة الثمينة

ولما أراد الرجوع ، أرسله الحاكم بعربته الخاصة ، وطلب اليه أن يزورهم عند ما تمكنه الفرصة

فاقتدوا أيها الطلبة بمثل هذه الملكة ، وأحبوا معلميكم وأكرموهم واصغوا الى ما يرشدونكم اليه « الروضة الانيسة »

واجب التلميذ نحو رفقائه

المدرسة كالأسرة، رؤساؤها المعلمون، وأعضاؤها التلاميذ، فالواجب على كل تلميذ أن يعامل رفقاءه التلاميذ معاملة الاخوة ، فان لم تربطهم رابطة القرابة ، فان بينه وبينهم من روابط الجنسية والوطنية والمعاشرة ما يستوجب ذلك

فيلزم أن يعاشر تلاميذ مدرسته عموماً وتلاميذ مكتبه خصوصاً بالأدب والمعروف ، وأن يعتبرهم فى منزلة إخوته ؛ لأنهم يشاركونه فى حياته المدرسية

ومن حسن المعاملة أن يتكلم معهم بحلم ، وأن يقابلهم بلطف وبشاشة وأن يظهر الفرح بفرحهم ، والكدر بكدرهم

وإذا رأى من أحد رفقائه التلاميذ ما يغاير الأدب ، فليبتعد عنه بالمعروف ، لئلا تسرى اليه عدوى أخلاقه ، فيصيبه ما أصابه من قلة الأدب وسوء الخلق

وينبغى له ألّا يتكبر على إخوانه ، ولا يفتخر بنفسه أمامهم ، أو بما يملكه والده ، أو بشيء من مطاعمه أو ملابسه أو أدواته ؛ بل يجب أن

يتعود التواضع لهم ، والاكرام لكل من يعاشره ، ولايجوز له أن يزعج رفقاءه بالخرافات ، أو التهكم عليهم بالكلام ، أو التطاول عليهم باليد ، حتى يكون محبوبا منهم ، وإلا قوبل بالكراهة والاحتقار والعداوة

وليكن مجلسه مع رفقائه التلاميذ مجلس أنس ، ورياضة للنفس ، ومناقشة فى الفوائد العلمية والأدبية ، لاموضع مزاح وتنكيت وتبكيت

ويجب عليه ألا يجتمع مع رفقائه اجتماعا يكون من شأنه حصول مظاهرة أو تعصب داخل المدرسة أو خارجها فيتهم بالطيش والجنون ويعرض نفسه للعقوبات التأديبية التى يوجبها القانون العام وقانون نظام المدارس

واجبه نحو أصدقائه

اذا أسعدك الحظ بوجود صديق لك ، فحافظ عليه ، وأوثق رابطتك به ، ولا تجعله يشتكى منك ، واذا فرق الموت بينكما فلا تجزع ، وأشعر قلبك الاطمئنان بأمل لقائه فى الدار الآخرة ، ولا تتعجل فى مصادقة كل من أظهر لك المودة فتصادقه ، ولا فى بغض من توهمت عداوته فتعاديه، واصطف من الاخوان والأصدقاء ، ذا الدين المتين ، والحسب والرأى السديد ، والأدب ، ليكون ردءا عند حاجتك ، وركنا حصينا فى نائبتك ، وأنسا فى وحشتك ، وزينة عند عافيتك ، وعليك بالتودد

لأصدقائك ؛ لأن المودة روح حياة الصحبة والصداقة ، ومن لاصديق له بحالته تعسة

ولا تتعجل فى معاتبة صديق لك ، فان الندامة فى العجل ، ولا تتسرع فى معاداة أصدقائك ؛ بل تبصر كثيرا فى الأمر ، لأنك مهما تألمت من معاملة صديق لك ، ثم صبرت يوما يتغير فكرك ، ويتحول نظرك ، وربما يعود الجفاء صفاء والخلاف وفاقا

ومن أعظم دواعى بقاء الصحبة والصداقة دوام الاحترام وتمام الاعتناء والاهتمام بأمور صديقك

وكن عونا وساعدا لصديقك ، لأن المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ولا يعرف الصديق إلّا وقت الشدة والضيق

يجب الاخلاص فى المودة والنصح للصديق فى الخطأ والزلة ، وارشاده الى محاسن الشيم ، وانتشاله من ردىء العادات ، ومعرفة حق الصداقة معه فى حال إعساره وفقره ، كما فى حال غناه ويسره ، ومساعدته ومعاونته على الخروج من أزمات الأمور وشدائد الاحوال ، ومواساته وتقويته فى أشجانه وأحزانه ، وذكر محاسنه ونشر فضائله ، والعفو عن زلاته وستر هفواته وحفظ أسراره

وبالجملة ينبغى أن تكون الصداقة متبادلة بين الصديقين بلا تكلف ولا تصنع ولاموارنة ؛ بل تكون على قاعدة الحب والاخلاص والنصح

والتعاون والادب واللطف ، لتدوم الصداقة وتزداد الألفة والتوفيق .

واعمل بقول الشاعر :

تمسك إن ظفرت بذيل حر فان الحرّ فى الدنيا قليل

مثال الصديق المخلص

جاء ولد صغير من المدرسة وقال لأمه ان رفيق الصغير الذى فقد والدته مريض جدا ، وأريد زيارته يوميا اذا سمحت لى بذلك

فسرت أمه به وأذنت له قائلة : إنى أريد هذا من كل قلبى

نعم ان من الواجب أن الأصدقاء يكونون كإخوة ويفكر بعضهم فى بعض؛ ولكن يجب أن تسأل وتفحص بالتدقيق أمرضه من الأمراض المعدية أم لا ؟

فذهب الولد ليسأل ثم رجع فى الحال وقال لها : ان مرضه ليس معديا ولا خطرا كما قال الطبيب ، فأذنت له بزيارته وصار يذهب اليه يوميا ويزوره ، ويجلس بجانبه، ويناوله كل لوازمه ، وكان يصرف جزءا من الليل عنده ، يقرأ له كتبا وقطعا مفيدة، ويقدم له أطعمة مقوية يأتى بها من بيته

ولما شفى الولد اليتيم من مرضه قدم لصديقه المحبوب تشكراته القلبية على إخلاصه له وقيامه بواجب الصداقة

مثال الرفيق الصالح

كان أحد التلامذة المسمى (محمدا) يقرأ يوما درسه فى كتاب المطالعة فكانت تمر عليه بعض كلمات لايتمكن من قراءتها لصعوبتها ، فأدرك أحد رفقائه المسمى (حسنا) مشقته وتعبه فى المطالعة ، فاقترب منه وأخذ يجهد نفسه فى مساعدته ، وجلسا يقرآن الدرس معاً عن طيب نفس وانشراح صدر ، وأخذ حسن يشرح الكلمات الصعبة التى كان يتعذر على محمد فهمها ، وعند ما يصعب عليه شىء من القراءة أو المعانى فى تفهيم رفيقه يراجع نفسه ويفكر زمنا فيما ألقاه عليه المعلم ، فتقدما تقدما سريعا بسبب اجتهادهما معاً ، منكبين ومجتهدين فى مطالعة كتاب واحد

فأثنى عليهما المعلم الثناء الجميل بين تلامذة ملتهما ، وقال لهما : كونا مع ذوى الأخلاق الحميدة ، والصفات الجميلة ، أصدقاء مخلصين فى المحبة وليساعد بعضكم بعضاً كالاخوة الأشقاء ، وكونوا على يقين من أن من أجهد نفسه فى مساعدة غيره ، فانه فى الحقيقة يساعد نفسه أيضا

هكذا يكون الرفقاء المخلصون

انتهت السنة الدراسية ، وظهرت نتائج الامتحان ، وأخذ التلاميذ يغدون ويروحون كل الى منزل الآخر ليزفوا التهنئة لإخوانهم عما نالوا

من النجاح ، وهم يقومون بهذا الواجب ، والسرور يحيط بهم ، والمحبة تربط قلوبهم

وقد رأى فريق منهم أن يذهب الى رفيق لهم ساء حظه ورسب فى الامتحان يشاركونه فى ألمه ، ويخففون عنه وقع السقوط ويفرجون عنه الكرب ، ويحيون عنده الأمل ، ويخرجون به الى الحدائق للرياضة ، ويشغلونه عن التفكير فى الامتحان وأمره ، ويضربون له الأمثلة عن خاب حظهم ، ثم بعد ذلك صلح حالهم ، وكانت لهم الدرجات الرفيعة ، والمنازل السامية قائلين له : ان لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، وغير ذلك مما يبرهن على حسن أخلاقهم وكريم طباعهم

وهكذا يكون الرفقاء المخلصون ، وهكذا يجب أن يعطف الكبير على الصغير ، ويعاونه اذا احتاج الى مساعدة ، وأن يعلمه كيف يحترمه ، فان احترام الصغير للكبير نتيجة عطفه وحسن معاملته فينشأون إخوانا متحابين ، وأصدقاء مخلصين

يعرف الصديق ، عند الشدة والضيق

صدمت سيارة فى الطريق تلميذاً ، فوقع مغشيا عليه ، فرآه جماعة من رفقائه ، فاقبلوا اليه مسرعين ، وقام بعضهم بما استطاع من اسعاف وقتى ، وجرى آخرون الى أقرب مسرة واستعانوا برجال الاسعاف ،

حضروا وأخذوا التلميذ للقيام بمعالجته ، ثم دعتهم مروءتهم الى أن يخبروا والده ، فقاموا بهذا الواجب . وما زالوا يعودون رفيقهم فى المستشفى حتى تم شفاؤه

ولما بلغ الناظر والمدرسين حسن صنيعهم أثنوا عليهم ثناء جميلا ، وشكرهم والد التلميذ المصاب ودعا لهم بالتوفيق والهداية ، وقال لهم : هكذا يعرف الصديق عند الشدة والضيق

واجب الانسان نحو مهنته

الاخلاص ومراعاة الذمه فى العمل

الاخلاص فى العمل ، هو أن يعمل المرء الخير بوحى من ضميره الخالص ، ويقدم الاحسان بدافع من نفسه الطاهرة ، قاصدا به وجه الله الكريم ، وطالبا ثوابه العظيم ، غير ناظر لسمعة أو متطلع لشهرة ؛ إذ كل مايعمله رياء أو تملقا لاخير فيه ، ولايجلب لصاحبه غير المقت والازدراء

وقد أثنى الله تعالى على المخلصين فى قوله جل شأنه : « وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وكَانَ رَسُولا نَبِياً »

وقال ﷺ . إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصا وابتغى به وجهه

وقال علىّ كرم الله وجهه : لاتعمل شيئا رياء ، ولا تتركه حياء

وقال المرحوم سعد زغلول باشا زعيم مصر : يعجبني الصدق في القول ، والاخلاص في العمل

وقال أحد الشعراء :

عليك بالصدق والاخلاص في العمل ولازم الخير في حل ومرتحل

والاخلاص في العمل هو تخليصه من شوائب الشرك والرياء ، فمن قال : تعلمت العلم لأنفع به الناس ، وهو إنما تعلمه ليقال أنه عالم فهو كاذب وان علم الناس

ومن قال : تصدقت بالمال لوجه الله تعالى ، وهو إنما تصدق به ليقول الناس أنه محسن فهو كاذب

روى : أن أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى : ماصنعت فيما علمت ؟ فيقول : يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار . فيقول الله : كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال : فلان عالم ألا فقد قيل ذلك

ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى : لقد أنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال فلان جواد ألا قد قيل ذلك

ورجل قتل في سبيل الله تعالى : فيقول الله تعالى له : ماذا صنعت ؟

فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله : كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك

والقرآن يقول : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ »

فاذا أخلص التاجر فى بيع بضاعته ، والصانع فى صناعته ، والطبيب فى مداواة المرضى ، والمعلم فى تربية التلاميذ ، والقاضى فى قضاء أحكامه بالعدل ، ولو أخلص أفراد الأمة كل فى عمله ، ساد الرخاء والأمن والعدالة وسعدت البلاد وارتاحت العباد

ولكن لو أهمل الطبيب فى تشخيص الأمراض باخلاص لمات كثير من المرضى ، ولو أهمل المدرس فى تربية تلاميذه باخلاص لساد الجهل ، ولو أهمل القاضى ولم يؤد عمله بذمة وإخلاص لساد الظلم ، ولو غش التاجر ليربح ، وأهمل الزارع شؤون زرعه ، والصانع شؤون صناعته ، لساء الحال ، وتدهورت الأعمال ، وضاعت الرجال والأموال

أما اذا أدّى كل فرد عمله باخلاص على الوجه الأكمل ، تقدمت الصناعة والتجارة ، وانتشر العلم وارتقت الأمة ، فالفلاح فى زرعه وعنايته بماشيته وغنمه ، والجندى بمحاربته ، والكناس بتنظيف الطرق ، والأم بتربية أبنائها ، والخدم بخدمتهم والأطباء بممارستهم الأمراض ،

ورجال العلم بنشر العلوم والمعارف ، والقضاة بالعدل بين الناس ، ومستخدمو الحكومة بالقيام فى دواوينهم خير قيام

كل هؤلاء يخدمون المجتمع والأمة التى يعيشون فيها إذا أدّوا أعمالهم بكل إخلاص ولم يراعوا مصلحتهم الشخصية فقط ؛ بل يراعوا خيرهم وخير الناس أجمعين

ومراعاة الذمة والأمانة فى العمل من أهم واجبات الانسان ؛ لأن مجرد الريب يجعل مركزه مزعزعا ، وحياته تعسة ، وعمله لاقيمة له ، ويفقد ثقة الناس به

فضلا عن أن الأمانة تستر كثيرا من العيوب ، وتسد مكان النقص فى العامل من جهة اتقان العمل وتجويده ، ويكفى أن يقال إن هذا العامل أمين ومخلص فى عمله

والأمانة لا تنحصر فى الاحتفاظ بالمال ؛ بل تتناول الوقت أيضا وطريقة استخدامه

ولصوص الوقت بين العمال لا يقلون جرما عن لصوص المال ؛ لأن الوقت ملك لرب العمل أيضا

وليعلم كل انسان أن الأمانة فى العمل تضاعف قيمة اتقان العمل والرغبة فيه ، فاذا جمع اليها قوة الأمانة فقد جعل لنفسه حصنا متيناً

الأركان ليشرف منه على السعادة ويمتلك منه عاطفة رئيسه ووثوقه به واحترامه

محبة العمل والثبات فيه والمثابرة عليه

محبة العمل هى أول شرط لمزاولته والنجاح فيه ؛ لانه قد ثبت بالتجربة أن الانسان لاينجح فى هذه الحياة إلّا فى الأعمال التى يحبها ويميل اليها بطبيعته وغريزته . فتجد مثلا الطالب للطب لا ينجح فى هذه المهنة إلّا اذا كان محبا لها ميالا اليها . وكذلك طالب الحقوق والهندسة وغيرها فاذا وجهت شخصا لدراسة الطب ولم تكن أمياله متوجهة اليه فانه لا ينجح مطلقا

ومحبة العمل هى التى تدعو الانسان للمواظبة عليه (أى للمثابرة عليه) والثبات فيه ، وفى الأقوال المأثورة · الثبات عنوان النجاح

وفى الحديث الشريف · أحب الأعمال الى الله أدومها وإن قلّ

ولاشك فى أن الذين نجحوا فى الحياة هم الذين واظبوا على أعمالهم ولم يضيعوا أوقاتهم فى اللهو والبطالة

ومهما كان العمل صغيرا قليل الربح فالمثابرة عليه تجعله شريفا وافر الكسب

بخلاف الذين يشرعون فى عمل ثم يضجرون منه لطول المدة التى

يستغرقها أو لصعوبة يجدونها فيه فييأسون من النجاح وينتقلون منه الى عمل آخر

وهكذا يشرعون فى أعمال كثيرة ولا يتمونها فيصرفون قواهم من غير أن ينتفعوا بشيء

وفى الأمثال الفرنسية . الحجر الدائر لابد أن يسقط ولا يحصل على طبقة من العشب كالحجر الثابت المستقر

وتمام الأعمال واجتناء ثمارها والحصول على الفائدة منها لا يكون إلّا بالثبات والصبر اللذين أنالا الانسان مطالبه وأدرك بهما رغائبه كما قال الشاعر .

وقلّ من جدّ فى أمر يحاوله   واستصحب الصبر إلّا فاز بالظفر

فأكثر الناس ثباتا وصبرا أكثرهم نجاحا ورقيًّا

وقد رأى بعض الناس أن الاجتهاد والصبر أخضعا كل صعب فقال . ان الناس كلهم سواء فى العقل ولا فضل لبعضهم على بعض الا بالعمل والصبر

وقال : ان الناس كلهم يمكنهم أن يكونوا شعراء وخطباء وعلماء ومخترعين متى عملوا وصبروا ؛ فالعالم لا يولد عالما ولا الحكيم حكيما ولكن الثبات والصبر أوصلا هؤلاء الى مراتبهم وسارا بهم الى مجالسهم وأنالاهم الرفعة وعز الحياة

فالتلميذ اذا عمل وصبر نال مراده ، وكان من أهل الخير والسعادة والزارع لا يجنى ثمرة غرسه إلاّ بعد العمل الكثير والصبر الطويل ؛ وأفضل الثمار أبطؤها نضجا ، وكل انسان فى هذه الحياة لا يدرك غايته ولا حاجته ولا يحصل على غرضه إلاّ اذا عمل وصبر كما قال الشاعر :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال أحد الشعراء فى مدح الثبات :

إن الثبات بكل شىء يحمد وهو الأساس به البناء يشيَّد
كم شاد إنسان عليه بناية شمخت فمر من الطريق الفرقد
كم أسسوا يوما عليه ادارة رسخت كطود لا تزعزعه يد
صعدت به الأمم الكثيرة وارتقت والى المعالى كل يوم تصعد
إن الثبات ولا نزيدكم به علما لأمر نفعه لا يجحد

مثال المثابرة على العمل

من الأمثلة الدالة على أن مزاولة العمل والمثابرة عليه والمواظبة فيه من أعظم سبل النجاح

أن (السير روبرت بيل) نال بمواظبته على العمل ما جعله رئيسة وخرا لمجلس النواب ؛ لأنه كان من عادة أبيه أن يقيمه على المائدة ليتكلم

ارتجالا ، وقد عوّده أيضا إعادة كل ما يذكر أمامه من المواعظ التي يسمعها من الوعاظ أيام الأحد

ومع أن نجاحه كان قليلا في أول الأمر إلّا أن المواظبة على ذلك أكبرت عنده قوتى الانتباه والذاكرة، فصار يمكنه أن يعيد موعظة كاملة حرفا بحرف

ولما دخل البرلمان وأخذ ينقض أقوال أضداده ببلاغه تفرد بها لم يشك أحد في أن تلك الحافظة الغريبة التي امتاز بها قد اكتسبها بمواظبته وارتياد أبيه مذ كان صغيرا

مثال ثان

كان تلميذ في المدرسة يقرأ في دروسه كثيرا ؛ ولكنه لم يحفظها فسئمت نفسه من القراءة وعزم على ترك المدرسة

وبينما هو واقف ذات يوم على شاطئ نهر يفكر في أمره وقع نظره على طفل يريد أن يتعلم السباحة فرآه في المرة الأولى قطع جزءاً صغيرا ثم عاد الى الشاطئ ، وبعد أن استراح قطع جزءاً أكبر واستمر هكذا شيئا فشيئا حتى اجتاز النهر بأجمعه في المرة الأخيرة ، فاتعظ به وقال لنفسه : إن هذا الطفل أمكنه أن يتم مقصوده بمداومته على السباحة فكيف بك وأنت أكبر وأعقل منه ، وعلم أنه مخطئ في رأيه وعاد

الى المدرسة وأتم دراسته ونجح نجاحا باهرا بفضل مثابرته على العمل

مثال ثالث

كان رجـل يطوف ومعه ثور ضخم يحمله على كاهله أمام الناس ويأخذ منهم مايعطونه من المال فسأله أحد من الناس · كيف وصلت الى هذا الحد من القوة المدهشة ؟

فقال : كنت أحمل هذا الثور على كتفى وهو صغير كل يوم فـكلما ازداد ثقـلا ازددت قوة بالتدريج حتى أصبحت أستطيع حمـله مع ضخامته بسهولة

بذل الجهد فى العمل

الاجتهاد هو بذل الجهد والطاقة فى نهو العمل واتمامه ، ولا عمل فى هذه الحياة يتم على أحسن حال بدون اجتهاد . فاذا أردت أن تعرف قيمة عملك ضعه فى كفة ميزان، والاجتهاد فى الـكفة الثانية، فاذا قلّ الاجتهاد وخفّ هبط العمل وثقل ، واذا زاد الاجتهاد خفّ العمل وارتفع

وهمة الانسان ونشاطه يقويان بالاستعمال كجميع أعضاء الجسم لأن

العضو يقوى بالحركة والعمل ويضعف بالتقاعد والكسل

فاذا أقدم الانسان على الأعمال العظيمة ، وبذل جهده فيها ، واستفرغ طاقته وسعته ، الى أن يجتنى ثمرة عمله ، نشط الى عمل أعظم ، وعلت همته وزادت ثروته ؛ فأى عمل تعمل مهما كان صغيرا وجه اليه عنايتك واجتهد فى تحسينه واتمامه فى حينه ، فقيمة كل امرئ مايحسنه

واحذر أن تصاب بداء الكسل ، والا ضعفت همتك ، ووهنت عزيمتك ، وأصبحت لا تستطيع القيام بالعمل الحقير ، وصرت فى آخر الناس فى سبيل الحياة ، وعشت محروما مرذولا

واعلم يابنى أن مستقبلك منوط بك فبقدر ماتبذل من جهد فى عملك أو تأتيه من الكسل تقدر ما يكون نجاحك أو فشلك فى هذه الحياة

فيلزمك حسن القيام بواجبك ، وبذل الجهد فى جميع أعمالك

واعلم أن من حسنت صحته وجنح الى الكسل وقع فى الشرور والعلل ، وأما الشغل فهو الطبيب القائم بمنافع الأجسام وبه عمار الدنيا ولا تخجل من كونك تكسب قليلا ؛ بل العار الأكبر والوزر الأعظم أن تكون عالة على غيرك أو أن تسأل الناس قوت يومك ولقد صدق من قال . (الجد فى الجد ، والحرمان فى الكسل)

ومن قال :

وما طلب الحاجات فى كل وجهة من الناس الا من أجد وشمرا

وقال آخر :

بقدر الجد تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليالى

وقال الله تعالى : « إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا »

على أن أساس النجاح فى الأعمال محبتها، واستشعار اللذة فى تأديتها على الوجه الأكمل ، فان هذا مما يولد عزيمة قوية وجهدا صادقا فى العمل على رقى المهنة حتى تبلغ غاية الكمال

التلميذ المجتهد .

مرّ تلميذ باحدى السيدات وهو يبكى فسألته عن سبب بكائه

فقال : إن المعلم أمرنا بحفظ قصيدة كبيرة ووعد من يتمن حفظها ويجيد القاءها مكافأة عظيمة ، ولكنى بطىء الحفظ ، وأخشى وصول المكافأة لغيرى مع رغبتى الشديدة فيها

فقالت السيدة : ألم تر هذا النمل كيف يحاول الصعود فوق الشجرة مع بطء حركته وبعد المسافة عليه ؛ ولكن باجتهاده المستمر وتركه جميع مايشغله يصل الى مقصوده

فاذا حفظت كل يوم جزءاً من القصيدة تاركا كل ما يشغلك غير مبال بما تظنه من بطء الحفظ ، فانك تنال المكافأة لامحالة

فعمل التلميذ بهذا الرأى السديد ، واستمر فى الحفظ حتى حفظ القصيدة حفظا جيدا

ولما أتى وقت الامتحان أجاب هـذا التلميذ المجتهد إجابة أعجبت المعلم والتلاميذ فنال المكافأة وحاز الثناء الجميل

ولقد جاء فى الحكم : لـكل مجتهد نصيب . ومن جدّ وجـد . ومن سار على الدرب وصل

بالاجتهاد ينال المراد

يحكى أن فتى أحـد يدرس علم الجبر استعدادا للدخول فى إحدى المدارس العالية ، فأعطاه المعلم ثلاث مسائل وطلب منه حلها ، فأتى فى اليوم التالى وقـد حل اثنتين منها ، وأما المسألة الثالثة فاستعصى عليه حلها فقال له معلمه أتريد أن أحلها لك ؟ فأجاب الفتى : كلا يا أستاذى فانى أستطيع حلها بنفسى اذا أمهلتنى يوما آخر

فقال له المعلم : أمهلك يوما بل أياما

واستمر يعطيه دروسا كان يقوم بها الطالب ، وأما المسئلة الثالثة فبقيت مستعصية عليه

فقال المعلم : أتريد الآن أن أعلمك حلها ؟

فأجابه : كلا يا أستاذى فانى أستطيع حلها اذا أمهلتنى يوما ثالثا

فقال المعلم : أمهلك أياما حسبما تريد

ثم جاء فى اليوم الثالث وعلامات البشر والظفر بادية على وجهه وعرض عليه حلها فاذا هو صحيح محكم

ومن ثم تولدت فيه روح البحث والاستقلال بالعمل ، وأخذت محبته للعلوم الرياضية تزداد ، فتعلق بها وغاص فى بحرها واستخرج منها الدرر الغوالى ، وأصبح من أشهر الرياضيين . حقاً لقد صدق من قال :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

المثابرة على الدرس

كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه فعزم على تركه ، فمرّ بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر فيها

فقال : الماء على لطافته قد أثر فى صخرة على كثافتها ، والله لأطلبن العلم فطلب فأدرك (نال مطلوبه) ، وفى ذلك قال الشاعر ·

اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الماء بتكراره فى الصخرة الصماء قد أثرا

التشجيع على العمل

كان الملك (حورج الثالث) يسير يوما فى القرية متنزها واذا به أمام حقل ليس فيه غير امرأة تحش البرسيم . ولما سألها عن باقى أخواتها وزملائها الفلاحين أجابته · إنهم ذهبوا ليروا الملك

فقال لها : ولماذا لم تذهبى معهم ؟

فأجابته قائلة : كنت أتمنى أن أرافقهم غير أنى لم أستطع أن أفعل ذلك ياسيدى ، لأنى أعول خمسة أطفال وأحتاج بسببهم للانتفاع بكل دقيقة من وقتى

إذ داك وضع الملك الرحيم دينارا فى يدها وقال لها : اخبرى زملاءك الذين تركوا عملهم وذهبوا لرؤية الملك ، أن الملك جاء هنا ليراك وأنه أعطاك صورته منقوشة فى الذهب تذكارا لزيارته لك وتشجيعا لمثابرتك على عملك (التربية بالقصص)

عناية الانسان بما يرقى مهنته ويعلى شأنها

الأعمال كالمغروسات التى لا بد فى أول الأمر من بذل العناية الكلية والاجتهاد فى سياستها وتعهدها بطرق الاصلاح ، ومتى نمت اجتنيت أثمارا كثيرة منها من غير جهد

هكذا أعمال الانسان في مهنته لابد من العناية والاجتهاد في أول أمرها حتى اذا تعودها وعرف أبواب الفائدة منها وطرق رواجها ربح منها ربحا جزيلا وارتقى بها

فالتاجر مثلا يصرف مالا كثيرا ويسعى طويلا فى السنة الأولى من غير جدوى وقد يخسر بعض الخسارة ؛ ولكن متى بذل عنايته فى تجارته اشتهر محله ، وكثرت زبائنه ، وراجت تجارته ، وأخذ ربحه يتزايد تدريجيا ، وتعبه يقل

وكذلك الصانع والعامل والطبيب والمهندس وغيرهم متى عنى كل واحد منهم بمهنته وصل الى درجة عظيمة وعلا شأنها وشأنه

والعناية بالعمل هى اتقان العمل وحسن الصنع ؛ لأن الاتقان يكسب الانسان رفعة وشأنا وذكرا حسنا وقدرا عظيما

بدليل أنك ترى بعض المصنوعات قد فاق غيره وتقدم عليه فى الأسواق ونال رضا الناس وحبهم اياه . ولم يكسبه ذلك الاقبال سوى الاتقان فى عمله والجودة فى صنعه حتى ظهر بمظهر القبول والاستحسان يسر منه من ينظره وينشرح له صدر من يبصره ويسعى فى اقتنائه كل من يراه

إن الاتقان فى العمل يقدم صاحبه ويجعله محبوبا بين الناس ويكسبه الشرف والرفعة

فالصانع والتاجر والمتعلم والعالم والزارع وغيره كل أولئك لو أتقنوا عملهم وأحسنوا صنعهم كانوا من الساعين فى خير أمتهم عاملين على تقدم بلادهم ، الحافظين لوطنهم من حادثات الدهر وكوارث الأيام

الاتقان فى العمل هو الذى يأخذ بيد صاحبه ويقدمه على إخوانه ويرفعه على أقرانه ويظهره أمام قومه بمظهر الرجل العارف والانسان الكامل فيحظى بالدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة وينال محبة الرؤساء والكبراء والاخوان والأصدقاء وجميع الأمة

وبالجملة اتقان العمل فيه الخير والسلامة والسعادة للأمة والبلاد . وقد جاء فى الأثر : إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه

وقال بعض الحكماء : لاتطلب سرعة العمل ؛ واطلب تجويده ، فان الناس لايسألون فى كم فرغ ، وانما ينظرون الى اتقانه وجودته . فعمل مفيد فى وقت طويل ، خير من عمل لايفيد ولا يغنى فى زمن قصير

وقال شوقى بك أمير الشعراء نصيحة الى العمال لاتقان عملهم :

أيها العمال أفنوا الـ ... عمر كدًا واكتسابا
واعمروا الأرض فلولا ... سعيكم أمست يبابا (خرابا)
إن لى نصحا اليكم ... إن أذنتم وعتابا
فى زمان غبىَ النا ... صح فيه أو تغابى
أين أنتم من جدود ... خلدوا هذا الترابا ؟

قلدوه الأثر المعجز والفن العجابا
وكسوه أبد الدهر من الفخر ثيابا
اتقنوا الصنعة حتى أخذوا الخلد اغتصابا
« إن للمتقن عند الله والناس ثوابا »
أتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا
أرضيتم أن ترى مصر من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماء للصناعات وغابا

مثال أول

كان استيفنس مخترع قطار السكه الحديدية الذى بلغ مبلغا عظيما من الغنى والعلم فى أول أمره وقادًا لآلة بخارية فلما رأى ألاسبيل له الى الارتقاء إلّا بتوسيع معارفه وترقية مهنته جعل يقتصد من دخله ويتعلم ، وكلما زاد علما زاد أجرا وزاد انفاقه فى سبيل تعلمه حتى تمكن من اختراع القطار الذى كان سبب ثروته وسعادته

مثال ثان

ان (واط) مستنبط الآلة البخارية كان يحترف بصناعة النجارة وكان يشتغل فى أوقات فراغه بالمطالعة ودراسة العلوم واللغات وما زال

يدأب على العمل حتى تمكن من اختراع تلك الآلة . وهذا هو شأن الكثير من العمال والحكماء الذين لم يستكينوا للفقر بل جعلوه مرقاة لبلوغ ذرا المجد كما قال الشاعر :

العلم يرفع بيتا لاعماد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف

مثال ثالث

قال أحد أعضاء البرلمان الانجليزى عن نفسه .

كنت فى حداثة سنى أعمل فى منجم من مناجم الفحم الحجرى وأجمع من أجرتى صيفا ما أدفعه أجرة تعلمى شتاء ، وما زال هذا دیدنى حتى اتسعت معارفى ، وتمكنت بعلمى من مزاولة أعمال ذات شأن ووصلت الى ما أنا فيه الآن

التضحية فى سبيل المهنة

كثيرا ما يكلفنا القيام بالواجب مشقات ينبغى أن نتحملها أو يتطلب منا تضحية يلزمنا تقديمها ؛ فالقاضى قد يضطر الى الحكم على صديقه أو قريبه فيؤلمه ذلك ، وقد يحمله حب العدل على اغضاب أفراد أو هيئات مختلفة فيعرض بذلك نفسه لأنواع شتى من الآلام

والجندى يقدم حياته عند الخطر فداء لأمته

ورئيس السفينة اذا عطبت يجب أن يبقى فى السفينة حتى ينتقل جميع من فيها الى قوارب النجاة

واعلان الانسان رأيه وتمسكه بمبدئه قد يبعده عن منصب ويحرمه من فائدة

وفى جميع ذلك يجب أن نتحمل التضحية – مهما آلمت – عن رضا وارتياح فى سبيل المهنة ، وفى سبيل القيام بالواجب

ويجب أن نعد مكافأة الضمير فوق كل مكافأة ، ولكن يجب هنا أن ننبه الى أمرين كثيرا ما يخطئ الناس فيهما

الأول – أن التضحية ليست مقصودة لذاتها ، ولا يصح أن تكون غرضا يريد الانسان تحصيله ، فهى ليست الا ألما محضا ينبغى الفرار منه الا اذا استتبع خيرا ، فما يفعل بعض الزهاد من الامتناع عن الأكل الا النزر اليسير ، وحرمان النفس من التمتع بما أحل الله ، ولبس الخشن من الثياب لا لغرض إلا لطلب المثوبة بهذا الشقاء ، خطأ لا يرضى عنه عقل ولا دين

وقد ردّ رسول الله ﷺ على من نذر أن يصوم قائما فى الشمس فأمره باتمام صيامه، ونهاه عن القيام فى الشمس؛ لأن الله لم يضع تعذيب النفس سببا للتقرب منه ، وليست المشقة نفسها سببا فى رضاء الله ، وانما رضاه فى عمل صالح قد يستلزم المشقة

الثانى – ليس لأداء أى واجب تقدم أى تضحية ، بل لابد أن يوازن بين الواجب والتضحية ، فليس صوابا أن يضحى الانسان بحياته ليرتاح من ألم أسنانه ، ولكن خيراً أن يقلم أشجاره ليزيد ذلك فى ثمارها ، فمتى كان الخير الذى يناله من العمل يرجح بالتضحية وجبت كالطبيب يهجر نومه ويتعرض للتعب والبرد لازالة ألم مريض متوجع وادخال السرور عليه وعلى أسرته ، وكالعالم يهجر راحته ولذته من أجل كتاب يهدى للناس للانتفاع به أو لاستكشاف يريد فى خيرهم ، والجندى يضحى بنفسه لتحيا أمته ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهذه الموازنة قد تسفر عن ترجيح أى الأمرين · الواجب والتضحية ، بمجرد النظر أو بقليل من البحث ومتى اقتنع الانسان بخيرية التضحية وجبت عليه ، ذلك لأنه عضو من جسم الأمة فليس من الحق أن يستأثر الانسان باللذات ويتمتع بالراحة التامة والناس من حوله متوجعون آلمون متعبون كما لا يستأثر عضو بكل الغذاء ويترك سائر الأعضاء تتضور جوعا وكلما عظم الغرض كانت التضحية عظيمة وأوجب ، كما تفعل الأمم الحية تضحى بالألوف من أبنائها دفاعا عن حريتها وحفظا لشخصيتها ، وليست تستكثر ما تبذل من التضحية لعظم ما تطلب وسير عظماء الرجال مملوءة بالشواهد على التضحية ، ولا تكاد تجد عظيما لم يضح كثيرا ؛ إما لنشر مبدأ يخالف فيه الرأى العام ، أو محاربة عدو يريد اغتصاب أمة ، أو

لتخليص عقائد دينية مما دخل عليها من التغيير ، أو لتحقيق مسئلة علمية كثر فيها البحث والجدل

وهذه التضحية هى التى تكونهم وهى سرّ عظمتهم فان ما يبذلون فى حياتهم من الجهد لتذليل الصعاب التى تعترضهم ، وما يتحملونه من العناء للتغلب عليها ينمى ملكاتهم ، ويعودهم الصبر على المشاق لنيل أغراضهم أما من يستسلم للضيم ويخلد للراحة فمحال أن يكون عظيما لأنه يشب غير قادر على مشقة الاتيان بعمل كبير

« الأخلاق »

مثال ضحية الواجب

جندى يسقط فى ميدان الجهاد

فى ذمة الله ذلك المجاهد الكبير الذى استشهد فى ميدان الجهاد الوطنى بعد أن خدم بلاده بسيفه وبقلمه وبلسانه

قضى المرحوم على بك فهمى كامل حياته وهو يتفانى فى خدمة وطنه ماضى العزيمة قوى الايمان ، لا يحيد عن مبدئه ، ولا تلين له قناة ، ووقف فى آخر ساعاته يخطب فى الناس ، ويعدد مآثر المرحوم محمد بك فريد الذى جاهد حتى أتى الجهاد على آخر رمق من حياته ، والناس يستمعون له خاشعين ، وهم لا يرون يد الموت تمتد اليه ، حتى اذا قضى

ساعة يفيض حماسة ويتدفق وطنية ، ويضرب للناس مثلا من أمثال الوفاء ، والتفانى فى الوطنية ، دهمه الموت فجأة مساء يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، فكان مثلا للجهاد الصادق والتضحية ، إزاء الواجب الذى لاينتهى الا بانتهاء الحياة

مثال آخر فى ضحية الواجب

الدكتور على ابراهيم رامز بك

نجم العلم فى أحد أساطينه الذين كمل نضوجهم ، ووفاق صدقهم ، وبفقده فقدت البلاد أحد نوابغها الذين قلّ أن يجود الزمان بمثلهم . ونعنى به المرحوم الدكتور على ابراهيم رامز بك الطبيب الاستشارى لجلالة الملك والاستاذ فى القصر العينى مؤسس مستشفى النيل الخاص

فقد كان يجرى بعض العمليات فأصيب بجرح فى إبهامه لم يعبأ به ، وبعد ستة أيام تلوث الجرح فى عملية أخرى فسرت العدوى فيه وتسمم الدم واستنابته حمى فى مساء الجمعة ٨ يونيه سنة ١٩٢٨ فلم تشرق شمس السبت إلّا وقد عزّ الدواء وحمّ القضاء واستشهد كالجندى الباسل فى ميدان الجهاد والكفاح (ضحية الواجب)

ولد رحمه الله سنة ١٨٧٥ ودرس الطب فى المانيا وتخرج فى سنة ١٨٩٨ وعين جراحا بالقصر العينى فى سنة ١٩٠١ وما زال يرقى

المناصب حتى أصبح رئيس أطباء قسم من أقسامه

وكان كريم النفس ، وديع الخلق ، كبير الجنان ، مثقفا مهذبا مبرزا في صناعته ، تغمده الله برحمته « اللطائف المصورة »

« في ١٨ يونيه سنة ١٩٢٨ »

واجبات وفضائل اجتماعية

الصدق

الصدق هو قول الحق ، والاخبار بما يطابق الواقع ، من غير تبديل ، ولا زيادة ، ولا نقصان ، وليس الاخبار مقصورا على القول . بل قد يكون بالفعل ، كالاشارة باليد ، وهز الرأس ونحوهما ، قد يكون بالسكوت من غير قول ولا فعل

وليس للصدق سوى طريقة واحدة ، وهي . أن يقول الانسان الحق ، كل الحق ، لاشيء غير الحق ، والصدق أس الفضائل ، وأجل الصفات الحميدة ، التي يتحلى بها الانسان ، وتزيده في العالم هيبة ووقارا ، إذ به تنال الثقة ، وتكتسب الثروة ، ويطيب العيش

والصدق من الضروريات التي يتوقف عليها نظام العالم أسره ، ألا ترى أنه بالصدق تثبت الحقوق ، وتحفظ الأرواح ، ويتم النظام ،

ويعيش الناس فى أمان وسلام ، ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض ، ولما وصل اليهم شيء من الحقائق فى العلوم والأديان

ألا ترى أن الرجل الصادق يكون دائما موضع الثقة ومحل الأمانة مبجلا محترما مهما كانت درجته ، لأن الصادق لا يكون خائنا ، ولا مختلسا ولا مزورا ، ولا نماما ، ولا منافقا ، ولا مخادعا ، ولا غشاشا

فاذا عاملت رجلا صادقا كنت فى مأمن على مالك وعرضك ، ويكون هو على يقين من رغبة الناس فى معاملته

فالتاجر لا يعامله الناس إلّا اذا اشتهر عنه الصدق فى المعاملة ، والصانع ينصرف عنه عملاؤه اذا لم يصدق فى مواعيده ، والطبيب لا يقصده أحد إلّا اذا وثق به الناس وكان صادقا

والصدق من أهم الأسس ، بل هو الأساس المتين الذى تشاد عليه المجتمعات ولولاه ما بقى مجتمع ، ذلك لأنه لابد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض ، ومن غير التفاهم لايمكن أن يتعاونوا

ومعنى التفاهم أن يوصل الانسان مافى نفسه من الحقائق الى الآخرين وهذا هو الصدق بعينه يتجلى ذلك فى المجتمعات الصغيرة كالأسرة والمدرسة ، فكلاهما لايبقى إلّا بالصدق

فلو كذب الطلبة فى كل مايتكلمون ، وكذب عليهم مدرسوهم فى

كل مايعلمونهم ويحدثونهم مابقيت المدرسة ، وكذلك البيت

والدليل على ضرورة الصدق هو أن أغلب المعلومات التى وصلت الينا بالسماع أو القراءة مبناها الصدق ، وعليها يعتمد الانسان فى معاملاته وتصرفاته ؛ فلو كانت مكذوبة لكانت الأعمال المبنية عليها خطأ وخللا ، ولما وصل الينا من العلم إلّا شىء قليل وهو مايمكننا أن نجربه بأنفسنا ، وهو لايغنى فى الحياة

ومن أجل هذا عدّ الصدق أساسا من أسس الفضائل ، وعنوانا لرقى الأمم وانحطاطها

واعلم أن الذى يعرف بالصدق بين قومه وعشيرته واخوانه يؤخذ قوله حجة بلا برهان ويكون موضع الصدق عند العامة والخاصة

فان كنت تحب أن تكون موثوقا بك ، فاحرص على أن تكون صادقا فى كل ماتحدث به ، والله يتولى هدايتك وارشادك الى طريق الحق والصواب

ذكر ماقيل فى الصدق

الآيات — قال الله تعالى : يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّادِقِينَ

وقال تعالى · وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا

وقال عز وجل · لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ

وقال جل شأنه · رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

وقال عز وجل مبشرا للصادقين · « هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ »

وقال تعالى : « وَٱجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ »

الأحاديث — قال عليه الصلاة والسلام · « عَلَيْكُمْ بِٱلصِّدْقِ ، فَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ ، وَٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ ٱلرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى ٱلصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللَّهِ صِدِّيقًا »

وَإِيَّاكُمْ وَٱلْكَذِبَ فَإِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ وَإِنَّ ٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ وَمَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى ٱلْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللَّهِ كَذَّابًا »

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال · « عَمَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلصِّدْقُ ، وَإِذَا صَدَقَ ٱلْعَبْدُ بَرَّ وَإِذَا بَرَّ آمَنَ ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ ؛ وَعَمَلُ ٱلنَّارِ ٱلْكَذِبُ ، إِذَا كَذَبَ ٱلْعَبْدُ فَجَرَ وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ ،

وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ ٱلنَّارَ »

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : عَلَيْكَ بِصِدْقِ ٱلْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ ٱلْعَهْدِ ، وَحِفْظِ ٱلْأَمَانَةِ ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ

وعن عائشة رضى الله عنها قالت · سألت رسول الله ﷺ · بِمَ يُعْرَفُ ٱلْمُؤْمِنُ ؟ قَالَ · بِوَقَارِهِ ، وَلِينِ كَلَامِهِ ، وَصِدْقِ حَدِيثِهِ

أقوال الخلفاء والحكماء والعلماء والأدباء فى الصدق

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه · لأن يصعى الصدق وقلّما يفعل أحبُّ الىّ من أن يرفعى الكذب وقلما يفعل

وقال على كرم الله وجهه : قد يبلغ الصادق بصدقه مالا يبلغه الكاذب باحتياله ومن كلامه رضى الله عنه : الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، وقال أيضا : الباطل والحق يتداولان دول الزمان من غير مذلة للحق ولا معزة للباطل

وقال الأحنف لابنه يا بنى يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله فى عدوه ، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لايقبل قوله فى صديقه ولا عدوه ، لكل شىء حلية ، وحلية المنطق الصدق، يدل على اعتدال وزن العقل

وقال الشعبي : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه يضرك

وقال عبد الملك لمعلم أولاده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن

وقال ارسطاطاليس : أحسن الكلام ماصدق فيه قائله ، وانتفع به سامعه ، وان الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب

وقالت الحكماء : الصدق عمود الدين ، وركن الأدب ، وأصل المروءة ، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به

وقال أحد العلماء : علّم ابنك الصدق ، والصدق يعلمه كل شيء

وقال آخر : ليكن مرجعك الى الحق ، ومفزعك الى الصدق ، فالحق أقوى معين ، والصدق أفضل قرين

وقال آخر : لا سيف كالحق ، ولا عون كالصدق ، الحق ملجأ الضعفاء والأقوياء

وقال بعض الفضلاء : الصدق منجيك وان خفته ، والكذب مرديك وان أمنته

وقال بعض العلماء : من صدق في مقاله ، زاد في جماله

وقال آخر : تحروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة ، وتجنبوا الكذب وان رأيتم فيه النجاة ، فان فيه الهلكة

وقال محمود الوراق الشاعر :

الصدق منجاة لأربابه　　وقربة تدنى الى الرب

وقال أحد الشعراء ·

الصدق يمن ومنجاة ومحمدة　　فيه الكرامة والاقبال والشرف

وقال آخر :

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به　　ان اللسان لما عوّدت معتاد

موكل بتقاضى ماسننت له　　فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

وقال آخر ·

عليك بالصدق ولو أنه　　أحرقك الصدق بنار الوعيد

وقال النيسابورى :

وأكرم الآداب صدق المنطق　　أكرم به أكرم به من خلق

أعدل شاهد على الصلاح　　وأقرب منهاج الى الفلاح

شرّف به أخلاقك الكريمة　　استر به حالاتك الدميمة

من صدق الحديث فى المقال　　شاركه المثرون فى الأموال

أمثلة فى الصدق

١ - دخل رجل حانوت تاجر ، فأعجبه لون ثوب عنده ، وبهره جمال منظره ، فأحب أن يشتريه منه ، فقال له التاجر : لايغرنك حسن المنظر ، فان نوعه غير جيد ، فشكر له صدقه وارشاده ، وطلب آخر

من نوعه جيدا ، فأسف التاجر لنفاده ، ووعده عند أول رسالة تأتيه أن يخبره . وبعد بضعة أيام جاء النوع الجيد فأعلمه به واشترى منه مايحتاج اليه ، فشكره على ذلك ونشر اسم التاجر بين الناس لما عهده فيه من الصدق

٢ – دخل ولد حجرة أبيه فأعجبه خاتم رآه بها فوضعه فى أصبعه وخرج يلعب مع رفقائه فسقط منه ولم يشعر به ، ولما حضر والده أخذ يبحث عن الخاتم لأنه ثمين جدا فلم يجده ، فغضب وأغضب جميع من فى البيت والكل يتوارى خزيا وخجلا باحثا منقبا عنه

وفى الأثناء أقبل الولد كئيبا حزينا لأن الخاتم سقط منه فوجد من فى البيت فى حالة هياج وحزن ووالده متأثرا فتقدم بين يديه وقصّ عليه أنه هو الذى أخذ الخاتم وفقد منه ، فهدأت ثورة الوالد ولامه على أخذه شيئاً بغير اذنه وسامحه جزاء صدقه

عمر بن الخطاب والعجوز وابنتها

قيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعجوز تبيع اللبن فقال لها : ياعجوز ، لاتغشى المسلمين ولا تشوبى لبنك بالماء

فقالت سمعاً وطاعة ياأمير المؤمنين

ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال · يا عجوز ، ألم أعهد اليك ألّا تشوبي لبنك بالماء ؟

فقالت : والله مافعلت ياأمير المؤمنين

فتكلمت بنت لها من داخل الخباء ، فقالت · يا أمّاه أغِشًّا وحِنثًا جمعت على نفسك ، فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة

فقال ابنه عاصم أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين

فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز نهاية الأرب (الثالث)

وقد سردنا فى الجزء الأول من السمير حكايات كثيرة فى الصدق

الأمانة

الأمانة هى أن تصون لغيرك حقه الذى هو تحت تصرفك المطلق ولا شيء أكثر تأييدا للثقة بالانسان مثل أمانته ؛ لأنها تقضى بحفظ الحقوق لذويها فى حين يسهل اهتضامها ولا مانع أو مؤنب غير الضمير ، كما اذا وجدت لقطة ثم عرفت صاحبها فاذا لم تردّها له فقد تأمن مطالبته وتعيير الناس إذ لا أحد يعلم الأمر غيرك وليس مبكّت لك غير ضميرك ، لكن اذا رددتها اشتهرت بالنزاهة والأمانة وعظمت

الثقة بك حتى لقد يجرؤ بعض الناس أن يستودعك مبالغ طائلة أو يختصك بأعمال عظيمة بلا رقيب عليك

والأمانة بحسب التعريف المذكور تشمل ·

١ – صيانة المال الذى فى يدك لغيرك وليس له صك به عليك كالوديعة مهما كان نوعها والحصة من الأرباح أوالحاصلات ونحوها واللقطة الى غير ذلك

٢ – الأسرار التى توصى بكتمها أو التى تطلع عليها اتفاقا وتعلم أن افشاءها مضر أكثر من كتمانها

٣ – القيام بالواجب عليك لغيرك اذا لم يكن عليك رقيب كما اذا كنت مستخدما لتشتغل النهار كله وكان صاحب العمل غائبا

٤ – القيام بالواجب عليك اذا لم يكن من يسألك كما اذا كنت مفوضا وأهملت واجبات وظيفتك وليس من يقدر أن يسألك عن اهمالك فتعد خائنا

٥ – الاخلاص فى العمل المجهول عن عامة الناس كما اذا كنت طبيبا ووصفت للمريض علاجا وأنت غير متحقق من مرضه لعدم ترويك أو لقصور علمك فتكون خائنا

أو اذا كنت صيدليا وليس عندك كل أجزاء العلاج المطلوبة فركبته ناقصا وأظهرت لصاحبه أنه تام فتكون خائنا

أو اذا كنت تاجرا ومزجت البضائع بالرخيص من جنسها بحيث لايعلم أحد أنها ممزوجة فتكون غاشا

أو اذا عبثت شاريا فى بيع سلعة يجهل ثمنها فتكون غادرا

وكل من يفعل ذلك يشتهر أمره ، وتزول الثقة به فيخسر مركزه الأدبى ، ويقفل باب رزقه

أما اذا راعى الصدق والأمانة فانه يربح ثقة الناس به ، ويفوز برضاء العالم عنه ، ويسعد فى الدنيا والآخرة

وكفى بالمرء عزا وشرفا أن يوصف بالأمانة ويقال له : الأمين

والأمانة من صفات الرسل والأنبياء وقد حتم الله أن تكون فيهم لأنها فضيلة كبرى

فالأمانة كلها نور وحلال ، فمن اتصف بها كان قلبه نقيا تقيا ؛ لأنه اذا اؤتمن على سرّ أسرّ اليه فلا يفشيه ولا يذيعه ، واذا اؤتمن على مال أو وديعة حافظ عليها ولايطمع فيها ولا ينكرها ، واذا اؤتمن على عرض كان عليه حارسا أمينا

وليس أشرف من رجل يحفظ الأسرار ، ويرد الأمانة الى أهلها ، ويحفظ الانساب فيكون من عباد الله المتقين

سُمى النبى عليه الصلاة والسلام بالأمين ، لأنه مصدر الأمانة المبارك ، فقد ائتمنته العرب على أموالهم وأولادهم وأرواحهم قبل أن

ينزل عليه الوحى السماوي فكان نعم الأمين ، إذ حفظ الأموال فى تجارتهم بل زادت ونمت ، ورد اليهم أولادهم ، وأمّن على أرواحهم بروحه فكان بشرا سويا

هذه الصفة العالية التى نعت بها سيد البشر ورسول الخير والسلام حبيب الله لِمَ لا نتصف بها جميعا حتى نكون خير أمّة أخرجت للناس ؟

ذكر ماقيل فى الأمانة

١ — الآيات القرآنية

قال الله تعالى . « إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا »

وقال تعالى . « وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ »

وقال جل شأنه . « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَاتَخُونُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

وقال عز وجل : « إِنَّ ٱللهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا »

٢ — الاحاديث

قال رسول الله ﷺ · « أَدِّ ٱلْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ٱئْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ »

وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ »

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : « عَلَيْكَ بِصِدْقِ ٱلْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ ٱلْعَهْدِ ، وَحِفْظِ ٱلْأَمَانَةِ »

---

٣ — أقوال الخلفاء والأدباء

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لايعجبكم من الرجل طنطنته ، ولكن متى أدّى الأمانة وكف عن أعراض الناس ، فهو الرجل

وقال الامام على كرم الله وجهه · أداء الأمانة مفتاح الرزق

وقال الامام أبو حنيفة النعمان : من كان فقيرا فليأت الىّ أعطه رأس مال يستغنى به عن الناس ، ألا وهو الأمانة

وقال مصلح الدين سعدى : كن ثابتا فى الأمانة ، وإلّا كانت مساعيك باطلة

وقيل فى منثور الحكم · من ضيع الأمانة ورضى الخيانة ، فقد برئ

من الديانة

وقال أحد الشعراء :

أدّ الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولاتظلم يطب لك مكسب

وقال آخر :

وإذا اؤتمنت على الأمانة فارعها إن الكريم على الأمانة راعى

فكن يا بنى أمينا فى صناعتك ، أمينا فى عملك ، أمينا على أسرار إخوانك ، فمن عرف بالأمانة حصنته القلوب بصدق الود ، ونطقت له الألسنة بالشكر والحمد

مثال الأمانة

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أمينا ، محافظا على أموال المسلمين ، حتى أن أخاه عقيلا – وكان فقيرا جدا – طلب منه شيئا من بيت المال ، فرفض وقال ·

اصبر حتى يجىء مالى . فلم يصبر عقيل ، وساعد معاوية بن أبى سفيان ضد أخيه على

أمانة أبي عبيدة بن الجراح

جاء فى الأخبار الصحيحة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل الى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائه وقال للرسول : أنظر مايصنع قال . فقسمها أبو عبيدة

ثم أرسل الى معاذ بمثلها ، وقال للرسول مثل ما قال فقسمها إلّا شيئا قالت امرأته : نحتاج اليه

فلما أخبر الرسول عمر قال : الحمد لله الذى جعل فى الاسلام من يصنع هذا

وقيل . أن ناسا من أهل (نجران) أتوا النبى ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلا أمينا ، قال عليه الصلاة والسلام لأبعثن اليكم أمينا حق أمين ، حق أمين ، حق أمين ، قالها ثلاثا ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل فبعث أبا عبيدة بن الجراح

وقيل إن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلا يعلمهم السنة والاسلام

قيل . فأخذ بيد أبى عبيدة بن الجراح فقال : هذا أمين هذه الأمة

(وهناك فى الجزء الثانى أمثلة وحكايات كثيرة فى فصل الأمانة)

أمانة أبى هريرة ومال البحرين

قال أبو هريرة · قدمت من البحرين بمال عظيم فذهبت الى عمر وصليت معه العشاء فقال لى : ماقدمت به ؟

قلت · خمسمائة ألف

فاستكثرها وقال · انك ناعس ، اذهب الى بيتك ثم عد فى الغد

فرجعت اليه فى الغد فقال : ماجئت به ؟

فقلت خمسمائة الف

قال · أتدرى ماتقول ؟

قلت : نعم ، مائة ألف ، ومائة ألف ، حتى عدّ خمس مرات

فسرّ منى لأمانتى ، وقسم المال بين مستحقيه

أمانة قائد

شهد القائد الفرنسى (ردفيل) موقعة مع الروس انقطعت فيها ساقه ثم اتفق أن الفرنسيين جعلوه واليا على قلعة (فنس) بالقرب من (باريس) ولما هجمت الدول المتحالفة على فرنسا سنة ١٨١٤ بعثوا اليه يقولون : خذ مليونى ليرة وسلمنا القلعة ، فأجاب الرسل · قولوا للروس انى أسلمهم القلعة متى ردوا لى ساقى

الأمانة رأس الدين

خرج شابان الى الحقل ، وبينما هما سائران إذ نظر أحدهما صرة على الأرض فالتقطها ونادى رفيقه وقال له : انظر مالقيت، فأخذها منه ونظر فيها فوجد بها خمسين ريالا ، ثم التفت الى رفيقه وقال له · هذه صرة دراهم تحوى ٥٠ ريالا ، وهذه الكتابة تنبئك بذلك . فانشرح صدره وصار يرقص طربا وفرحا وقال لرفيقه : هل نتقاسم هذه النقود وكل منا يأخذ نصفها

فأجابه : كيف نتصرف فى مال ليس لنا ؟

قال ألا تعلم أن هذا مالنا الآن وأنا لقيته ؟

فأجابه · إن مجرد التقاطك هذه الصرة المفقودة لايجعل لك حقا فى امتلاكها ما دام صاحبها موجودا

قال : نعم ، ولكن من يعلم صاحبها ؟

أجاب يجب أن نبحث عنه قبل أن نتصرف فى المال

قال · إذًا ماذا نعمل الآن ؟

أجاب · اذكر ماقاله المعلم لنا فى الأسبوع الماضى ، يجب علينا أن نأخذ الدراهم ونعطيها للحكومة ، وهى تبحث عن صاحبها وتسلمها له

قال : واذا لم تجده ؟

أجاب : حينئذ يكون لنا الحق أن نقتسمها

قال · عسى ألا نجد صاحبها فتبقى لى ولك ؛ بل وأرى الأحسن أن نكتم الأمر عن سائر البشر

أجاب · لا ياصاحبى ، إن هذا العمل مذموم ، ويحسب نوعا من السرقة ، وان بقيت مصرا على عيك ، فانا مضطر الى أن أقطع كل علاقاتى بك، وانكر صداقتك، إذ تكون قد بعت شرفك بدريهمات قليلة

قال : لانتوسع فى الموضوع أكثر من اللازم ، فنحن لسنا سارقين

أجاب نعم نحن لسنا بسارقين ؛ ولكن تصور الحيرة التى فيها الآن صاحب المال ، وفكر فى ضيقه ، انى لاأنسى أبداً ماقاله لى أبى . إن كرامة الانسان وشرفه أحسن من كل كنوز الدنيا ، وانا أقول أيضا الأمانة رأس الدين

الوفاء بالوعد والعهد

الوفاء هو ثبوت الانسان على قوله وفعله ، فاذا قال قولا اليوم لا ينقضه غدا ، واذا وعد شخصا بشىء أو أداء عمل وفى له به ، ولا ينكص على عقبيه

ومما يعظم الثقة بالمرء أن يكون وفيا بوعده، فلا يخلف، وآفة الوعود التسويف والمماطلة ، وليس الخلف بأكثر عارا من تأحيل الوفاء بالوعد

وكم تكون مسرورا لو وعدك صديق لك أن تتقابلا فى ساعة معينة ومحل معين وحضرت فيهما دون تأخير ؟ وكم تكون قلقا حزينا وتشعر بغيظ شديد ، اذا أخلف وعده ولم يحضر، أو حضر متأخرا بعد ميعاده ؟ لأنه أضاع عليك وقتك ، وأخر عملا لا يتم إلا باجتماعكما ، وقد لا تتمكنان من فرصة أخرى ، فيصبح ضحية خلف الوعد

فاذا فات موعد الوعد ، ولم يعتذر الواعد عن تقصيره بعذر مقبول شك الموعود فى وفائه ، وحاذر أن يقبل منه وعدا بعد ذلك

ولا يخفى أنه لاغنى للناس عن ضرب المواعيد فالتاجر الذى عليه مال لعميله اذا لم يدفعه فى الحال، يضرب له أجلا يدفع فيه ذلك المال واذا أخلف وعده بغير عذر ارتاب العميل به، فاذا تكرر الخلف امتنع عن معاملته

فاذاً لا تعد مالم تقصد أن توفى، وتتأكد أنك تقدر أن توفى الموعود به كله فى الموعد المعين ، واذا حدث ماعاقك عن الوفاء ، فعليك أن تبسط عذرك، وتلتمس المسامحة ، حتى ولو كان ماوعدت به تبرعا منك

ومن الوفاء القيام بالعهود ، وأداء الشهادة ، ورد الأمانة ، وبذل النصيحة ، وكتمان السر ، وصلة الرحم ، وقول الحق ، وصدق الاخاء

والعهد التزام تطوعت به ، لاسبيل لك الى البراءة منه إلّا بالوفاء
إنك حين تعد أحدا بأمر وتعاهده عليه ، فقد بنى على موعدك مصالح كثيرة ، وان فى خلفك لوعده ، ونقضك لعهده ، نقضاً لهذه المصالح ، وهذا ليس من الدين ، ولا من المروءة فى شيء

فالواجب ألّا تقطع عهدا مع أحد قبل أن تتأكد أنك قادر على القيام بكل شروط ذلك العهد ، إنك لتجد من نفسك تأثرا ، وفى صدرك ضيقا وحرجا ، حينما يعدك عامل ، أو صانع ، أو تاجر ، أو غيرهم بعمل من الأعمال ثم لا يفى بوعده

إن جميع الأمم والشرائع مجمعة على ذم من يخلف الوعد ، وينقض العهد ، وربما عدت ذلك من أكبر عيوبه ومساويه ، لما يترتب عليه من ضياع كثير من الفوائد ، وضياع الوقت أيضا

الوفاء بالوعد والعهد من البرّ ، لأنه يترتب عليه نظام المعيشة ، كما أن الغدر والاخلاف من الذنوب الهادمة للنظام ، المفسدة للعمران ، المفنية للأمم

وما فقدت أمة الوفاء ، الذى هو ركن الأمانة ، وقوام الصدق ، إلّا حلّ بها العقاب الالهى ، وضل سعيها ، وخاب أملها ، وأحاط بها الفقر ، ونالها الذل والهوان

والوفاء خلق محمود ينتفع به جميع الناس ، فمن عُرف بالوفاء كان مقبول

القول عند الناس فى جميع ما يَعِد به ، ومن كان مقبولا كان عظيم الجاه ، وكان الناس أكثر ثقة به

ذكر ماقيل فى الوفاء

الآيات القرآنية

قد حثّ الله تعالى على الوفاء بالعهود ، فقال : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا »

وقال جل شأنه : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا »

وقال عز وجل : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ »

وقال سبحانه وتعالى : « ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ »

وقال تعالى : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا »

الأحاديث

قال رسول الله ﷺ : ثَلاثَةٌ أنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِى (عَهْدًا) ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ ٱسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ ٱلْعَمَلَ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ

وقال عليه الصلاة والسلام : آيَةُ ٱلْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ٱؤْتُمِنَ خَانَ

أقوال الحكماء والأدباء

من أمثال الحكماء . حسب المؤمن من مكارم الأخلاق ، صيانة العهد والميثاق ، ومن حفظ العهد يزكو قليل الودّ منه ، ومن نقض العهد يذهب كثير الودّ عنده

وقال أبو تمام

إذا قلت فى شئ نعم فأتمه ... فان (نعم) دين على الحر واجب

وإلا فقل (لا) تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس إنك كاذب

وقال آخر :

فلا تعد عدة إلّا وفيت بها ... ولا تكونن حلّافا لما تعد

وقال آخر :

فارع الوفا للناس تحظى عندهم   محميل ذكر لاتنال مطالبه

وقال آخر .

إن الوفاء على الكريم فريضة   واللؤم مقرون بذى الاخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفا   وترى اللئيم مجانب الانصاف

وقال الحسن بن على رضى الله عنه : المسئول حرّ حتى يعد ، ومسترق بالوعد حتى ينجز

فأوف يابنى بعهد الله إذا عاهدت ، ولا تنقض الأيمان بعد توكيدها ، واحذر الغدر بالعهد ، فانه دليل اللؤم ، وبرهان الدناءة والسفالة

واعلم أن الوعد دين على الحر واجب أداؤه ، فلا تخلف وعدك ، ولا تعد أحدا بما لا تقدر على وفائه ، فان من أخلف الوعد فقد عصى الله ، وخالف سنته فى نظامه

مثال الوفاء بالوعد

نلسن وأخوه

لقد برهن (نلسن) ذلك البحار الانجليزى الذى ملأت شهرته الدنيا ، على نفس عالية ، إذ عُرف بالوفاء منذ نعومة أظفاره

وقد حكى عنه : أن المطر اضطره وأخاه ذات يوم الى عدم الذهاب الى المدرسة ؛ لأنه كان عزيرا حتى منع السير فى الطريق ، وهو إذ ذاك فى الثامنة من عمره، وبعد يومين قال لهما أبوهما : اذهبا الى المدرسة فان رأيتما الطريق سهلا واستطعتما السير فلا تعودا ، وإلّا رجعتما ، وانى آخذ عليكما عهد الشرف ألّا تعودا وفى وسعكما الوصول الى المدرسة

فسارا فى الطريق واعترضتهما أوحال كثيرة ، فقال الأكبر . نعود، فلم يرض (نلسن) رأى أخيه ، ثم صادفا جهة يكاد يتعذرالسير فيها

فقال الأكبر ان من الخطر أن نواصل السير

فأجاب (نلسن) . مادام فى استطاعتنا السير فلا يسعنا أن نرجع وننتهك عهد الشرف الذى قطعه علينا الوالد ، وإن رمت العودة فوحدك ، وأذهب أنا منفردا وفاء بوعد الشرف الذى عاهدنى عليه والدى

ثم أخذا يذللان كل صعب فى الطريق حتى دخلا المدرسة

مثال آخر

حكم ملك بالاعدام على رجل مشهور بالوفاء بالوعد ، فطلب مهلة ليسافر لرؤية أهله ، فضمنه عند الملك أحد الوزراء

ولكن الرجل تأخر لسبب ما ، فأخذ الملك الوزير لتنفيذ الحكم فيه

ولما وضع الجلاد الحبل فى عنق الوزير ، رؤى الرجل آتيا يجرى بكل سرعة حتى وصل حيث يقف الجلاد ، فرفع الحبل من عنق الوزير ووضعه فى عنق نفسه ، وفاء بوعده

فدهش الملك ، وعفا عنه ، لوفائه بوعده

العدل والانصاف

العدل وضع الشىء فى محله ، وايصال الحق الى مستحقه ، وهو ميزان الله تعالى فى الأرض يأخذ به الضعيف حقه من القوى ، والمحق من المبطل ، وبه قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح المخلوقين ، وبه تتآلف القلوب ، وتلتئم الشعوب ، ويشمل الناس التناصف ، ويضمهم التواصل والتعاطف ، وبه تعمر البلاد ، وتسعد العباد ، وتؤمن السبل ، وتدر الخيرات والأرزاق ، ويعم الصلاح الخاصة والعامة

وما قامت به أمة من الأمم ، وحملته فى موارد أفعالها ومصادرها إلا وكانت فى مقدمة الأمم عمرانا ، وأكثرها حضارة ومدنية ، وما حادت عنه إلا وكان الخراب رائدها ، والضعف قائدها ، بذلك قضى العقل

وحكم الله وجرى العمل فى الأمم من أول نشأتها للآن

والعدل قسمان . عدل الفرد ، وعدل المجتمع أو الحكومة

ولنتكلم على القسم الأول فقط الخاص بالأفراد فنقول :

العدل الذى يتصف به الفرد يكون باعطاء كل ذى حق حقه ، لا أكثر ولا أقل . فالبائع الذى يكيل للمشترى أقل مما اتفقا عليه ظالم ، والذى يسرق مال غيره ويمنعه حقه ظالم ، وهكذا

ومما يحمل الانسان على الظلم التحيز بالميل لأحد المتساويين ، ميلا يجعله يعطيه أكثر من حقه لأجل حب أو منفعة شخصية أو مظهر خارجى ، كفصاحة قول ، وأدب فى الحديث ، أو بلاغة فى العبارة تحدث تأثيرا على المستمع ، أو غير ذلك ، والذى يساعد على العدل هو عدم التحيز واتساع النظر بفهم الأمور على وجهها اللائق وادراك الحقيقة

فان كنت محكمًا - واليا أو قاضيا مثلا - فالعدل أساس حكمك الذى لا يتزعزع ؛ لأنه يرضى السواد الأعظم ممن هم تحت سلطتك ويحببهم اليك ، ويرغبهم فيك ، ويحملهم على الطاعة لأوامرك ، والاستكانة تحت أمرتك ، فتنام قرير العين ، مستريح الضمير ، آمنا القلاقل والفتن والدسائس ، ويبقى مركزك ثابتا لا تزعزعه العوامل الخارجية

واذا كنت رئيسا - كمدير عمل مثلا - فالعدل أيضا يثبت رئاستك ؛ لأنك اذا لم تعامل مرؤوسيك بالعدل ، حاولوا أن يعصوك أو

يشوشوا نظام عملك ، لكى يلقوا تبعة الخلل عليك

واذا حرت عليهم توقفوا عن مساعدتك فى المواقف الحرجة ، بدعوى أن مساعدتك ليست واجبة عليهم، وقد ظلمتهم؛ بل ربما يتألبون عليك أو يدسون لك الدسائس

فبالعدل تكتسب حبهم لك ، فيقصون كثيرا من واجباتك فى أوقات تكاثرها ، ويؤيدون مركزك

واذا كنت موظفا كبيرا ، فبالعدل تكتسب اخلاص مستخدميك، وغيرتهم على مصلحتك ، فاذا ظلمتهم خانوك أو أهملوا أمرك عند حاجتك اليهم، وتجنب بعضهم أن يعملوا تحت أمرتك واشرافك

وكذلك اذا كنت سيدا أو صاحب سلطة أو سيطرة مهما كان نوعها ، فعليك أن تعامل الذين هم تحت سلطتك بالعدل لتكتسب طاعتهم وغيرتهم وأمانتهم ومحبتهم

والعدل يقوم بأن تكافئهم على أتعابهم حسب استحقاقهم ، وألا تفرض عليهم من الواجبات أكثر مما يستطيعونه ، أو مما تكافئهم عليه ، وأن تحافظ على مراكزهم، وتحترمهم ، ولا تكلفهم غير واجباتهم ولا تقيد حريتهم إلا فيما له مساس بالقانون والخروج على النظام العام . وهم اذا صادفوا منك هذه المعاملة العادلة ، والتصرف الحسن ، قاموا بواجباتهم خير قيام ، واستتب الأمن والنظام

ذكر ماقيل في العدل والانصاف

الآيات القرآنية

قال الله تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وقال جل شأنه . وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ

وقال عز وجل . وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ

وقال سبحانه وتعالى : يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ

وقال فى آية أخرى يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

وقال تعالى أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

وقال تعالى . وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

وقال تعالى : وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى

وقال تعالى : يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وقال تعالى : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

الأحاديث

وقال عليه الصلاة والسلام · التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة

وقال ﷺ التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء

أقوال الخلفاء والصحابة والعلماء والأدباء

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض عماله عليكم بالعدل ، وتباعدوا عن الجور ، ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه العدل صورة واحدة ، والظلم صور كثيرة ، ولهذا سهل ارتكاب الجرائم ، وصعب تحرى العدل

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له . إذا دعتك قـدرتك الى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك

وسأل الأسكندر أحد حكماء أهل بابل (ارسطاطاليس) أيما أبلغ عندكم الشجاعة أم العدل ؟

فأجاب : اذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة

وقال بعض الحكماء . بالعدل والانصاف ، تكون مدة الائتلاف

وقال بعض الفضلاء إن العـدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ، ونصبه للحق ، فلا تخالفه فى ميزانه ، ولا تعارضه فى سلطانه

وقال أحد الشعراء

العدل فى جسم الولاة جواهر لو مات جسم فالجواهر باقية

وقال آخر .

العدل روح به تحيا البلاد كما دمارها أبدا بالجور يحتم

وقال آخر

وما من يد إلّا يد الله فوقها ولا ظالم إلّا سيبلى بظالم

وقال آخر :

راعوا العدالة يا قضاة بحكمكم فالعدل أشرف خطة الانسان

إن تحكموا بالعدل تلقوا راحة وعلى الأسرّة ترقدوا بأمان

وكتب ، الى عمر بن عبد العزيز ، بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينة ، فكتب اليه حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم

قال عبد الله بن طاهر يوما لأبيه : كم تبقى هذه الدولة فينا ، وتدوم في بيتنا ؟

قال : مادام بساط العدل والانصاف مبسوطا في هذا الايوان

وقال عمرو بن العاص : لاسلطان إلّا برجال ، ولا رجال الا بمال ، ولا مال إلّا بعمارة ، ولا عمارة إلّا بعدل

عدل القاضي أبي حازم

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصيني : حضرت القاضي أبا حازم وقد جاءه طريف المخلدى من أمير المؤمنين (المعتضد بالله) وقال : يقول لك أمير المؤمنين ، لنا على فلان البيع مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك إفلاسه ، وقد قسطت لهم ماله ، فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا

فقال أبو حازم : قل له ، أطال الله بقاءه ، أذاكر لما قال لي وقت أن قلدني القضاء ، قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ؟ ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمدع إلّا ببينة

فرجع طريف وأخبره ، فقال له : قل له فلان وفلان يشهدان ، يعنى رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا فى ذلك الوقت

فقال : يشهدان عندى وأسأل عنهما ، فان زكيا قبلت شهادتهما ، وإلاّ أمضيت ماثبت عندى

فامتنع أولئك من الشهادة فزعا ألا يقبل قولهما ، ولم يدفع للمعتضد شيئاً

فهكذا يكون القضاء السديد « العقد الفريد »

عدل اسماعيل القاضى

قال الدارقطنى : سمعت عبد الرحيم بن القاضى اسماعيل بن اسحاق يقول : كان فى حجر أبى يتيم فبلغ ، وله أم وأختها فى دار الخليفة (المعتصد بالله) فقالت أم اليتيم لأختها : كلمى أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضى الحجر عن ولدى فكلمته ، فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسماعيل القاضى يفك الحجر عن فلان

فقال له الوزير · إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان

فقال القاضى · حتى أسأل عنه ، وقام ، فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدة الصبى الى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يعاود لخشونته ، فعاودته ، فقال : أليس قد أمرت ؟ فقالت : لم يرفع عنه بعد . فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال : أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضى بأن يرفع الحجر عن فلان فقال : قد كنت قلت له عن ذلك ، فقال حتى أسأل عنه

فقال · قل له يرفع الحجر عنـه ، فدعاه الوزير ثانيا وقال له : أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان ، فأطرق القاضى ساعة ، ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه

فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيئا لمحل اسماعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له : توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه

فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال : زعم أن هـذا جواب أمير المؤمنين

ففتح المعتضد الـكتاب وقرأه وألقاه ، وقال لاتعاوده فى هذا

فأخذ عبيد الله الوزير الـكتاب واذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم « يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَاحْـكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِـعِ ٱلْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ

وهناك فى الجزء الثانى من السمير حكايات كثيرة عن عدل الملوك وحب رعيتهم له

قدس العدل

فى أيام حكم (فريدريك الأكبر) ملك (بروسيا) كان على مقربة من قصر (سان سوسى) الذى يقيم فيه الملك طاحون تحجب مناظر الطبيعة عن بعض نوافذ القصر

ولما رأى الملك أن هذه الطاحون تحول دون أن يستكمل القصر بهاءه ورونقه سأل صاحبها عما يطلبه ثمنا لها

فأجاب الطحان الروسى انه لايرل عنها بأى ثمن

وكان هذا الجواب الجافى باعثا لأن يأمر الملك بهدمها على الفور

وعند ما بدئ بتنفيذ ذلك ، قال الطحان : يستطيع الملك أن يفعل هذا ، غير أن فى (بروسيا) قانونا سيعلم بأنه بعد حين

ولما رفع أمره للقضاء حكم على الملك بأن يعيد على نفقته بناء الطاحون كما كانت ، ويؤدى لصاحبها مبلغا كبيرا من المال على سبيل التعويض

كان هذا الحكم – وان جرح عزة الملك – مدعاة لمفاخرته بأن يرى فى (بروسيا) قانونا عادلا يسهر على تنفيذه قضاة أشداء فى الحق يقيمون حدوده حتى على الملك

وبعد سنوات عديدة آل ملك الطاحون الى أحـد ورثة ذلك الطحان

ولما وجد نفسه فى ضائقة مالية لايمكنه احتمالها كتب لملك (بروسيا) فى ذلك الحين يذكره بما كان من أمر جده الطحان السابق مع « فريدريك الأكبر » ويعرض عليه - لما هو فيه من ضنك وشدة - نزوله عن الطاحون اذا رغب جلالته فى ذلك مقابل مبلغ من المال

ولكن الملك أرسل اليه فى الحال ردا بخط يده يقول فيه

جارى العزيز - لا يمكننى أن أسمح لك ببيع هذه الطاحون التى يجب أن تبقى فى حوز أسرتك الى ما شاء الله ، لأن مبانيها أضحت ملكا لتاريخ (بروسيا) ، ويجب أن تظل قائمة تذكارا لعدالة قضاتنا وعدم تحيزهم فى تنفيذ القانون ، وانه ليسوءنى أن أسمع أنك فى ضائقة مالية ، ولهذا أبعث إليك بستة آلاف ريال لتؤدى منها ديونك ، راجيا أن تفى بكل حاجتك ، وأرجو أن تعتبرنى جارك المحب

« فريدريك وليم »

ولا تزال هذه الطاحون قائمة الى اليوم رمزا لعظمة القضاء وشرف القضاة

« التربية بالقصص »

العدالة المطلقة

كان لبقال من « أزمير » ولد وصل بعلمه الى مركز نائب قاض فى المدينة ، وكان عمله الرئيسى ينحصر فى تفقد حال الأسواق المختلفة فى الموازين والمكاييل التى يستعملها البائعون ، فاتفق له أن مر بمتاجر الحى الذى يبيع فيه والده ، ولما علم التجار أن التفتيش يجرى هذا اليوم ، وكانوا يعرفون أن والد المفتش يعامل الناس بموازين ومكاييل غير رسمية وجهوا نظره الى الاحتياط فى إخفائها واظهار الموازين والمكاييل (المدموغة) ولكنه تلقى نصيحتهم بهز الكتف ، ووقف أمام متجره باطمئنان وهدوء منتظرا وصول ابنه

جاء المفتش ولديه من الدواعى الكثيرة ماحتم عليه أن يبحث أساليب والده فى الغش ويكشف عنها للناس ، ليكون ذلك لهم عظة وعبرة

ولما وقف بباب متجر والده وطلب منه احضار موازينه ومكاييله ليمتحنها لم يحفل البقال بهذا الطلب وجعل يبتسم ، ولكنه اعتدل على صوت الأمر الجدى الذى ألقاه ابنه للضباط المرافقين له إذ دخلوا وفتشوا حتى أظهروا الموازين والمكاييل التى اتضح بعد الفحص الدقيق أنها مغشوشة ، فأمر المفتش فى الحال بكسرها

وقف البقال مبهوتا ، وطن أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، وأن ابنه لن يتمادى فى تطبيق القانون وتوقيع الجزاءات الأخرى التى من شأنها أن تفضحه فضيحة علنية

على أنه كان خاطئا فى ظنه ؛ لأن ابنه أمر بالعقوبة كما لو كان المجرم رجلا غريبا عنه ، فحكم بتغريمه خمسين قرشا ، وبجلده عددا معينا من الجلدات ، وقد أنفذ الحكم فى الحال

بعد ذلك نزل المفتش عن صهوة جواده وترامى على قدمى والده وقال له : ياوالدى لقد أديت واجبى لله ، ولمليكى ، ولبلادى ، ومركزى ، فاسمح لى الآن أن أتكلم معك فى احترام الابن وخضوعه المفروض عليه لأبيه

فالعدالة عمياء لاتفرق فى التطبيق بين قريب وغريب ، وفرض الله ، وحقوق المواطنين تجل عن أن تتأثر بالروابط الطبيعية

وأنت قد جرحت على النواميس ، فكنت أهلا أن ينالك عقابها ، ولو لم تتلق هذا الجزاء على يد ابنك لوجب أن تقع تحت طائله على يد أى انسان آخر وانى آسف على أن يكون مقدورا لك ألاّ تتلقى النصيحة إلاّ منى ، على أن ضميرى لم يرض لى أن أفعل إلاّ ما فعلت فاسلك فى المستقبل طريقا أشرف ، وبدلا من أن تحقد علىّ أرجو أن تعذرنى وتقدر أحوالى

وبعد ذلك تسنم صهوة جواده وسار فى وسط هتاف الهاتفين وإعجاب المعجبين من جميع الأهالى

ولم يكن هذا التشجيع والاحترام هو كل ما كوفئ به على عدالته، بل ظهر فى صورة أخرى إذ رقاه السلطان بعد معرفة التفاصيل الى وظيفة قاض، ثم ترقى منها الى وظيفة مفت، وبقى فيها حارسا للقوانين وتطبيقها فى جميع المملكة «التربية بالقصص»

الحلم

الحلم هو كظم الغيظ، والسكون عند ثورة الغضب، حال وجود مايدعو اليه، وترك الانتقام مع القدرة، ودفع السيئة بالحسنة، وهو من دلائل العقل، وشجاعة القلب، والرجل الحليم حقاً هو الذى لا يضطرب، ولا يسلم نفسه لشهوة الغضب فى معاملاته مع الناس، وعند وقوع حادث لم يكن له فى حسبان، ولو علم الشبان الذين يغضبون من أدنى الأمور وأوهى الأسباب، أن الحلم سيد الأخلاق، وأنه يكمل صاحبه بجميل الخصال، ويحببه الى الله تعالى، ويرفع قدره عند الناس، لما عرفوا للغضب سبيلا، ولا سلكوا له طريقا

ذكر ما قيل فى الحلم

قال الله تعالى · وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عزم ِ ٱلْأُمُورِ

وقال عز وجل : خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ

وقال تعالى : وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

وقال عليه الصلاة والسلام · ليس الشديد بالصرعة (الذى يصرع غيره ويغلبه) إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب

وجاء فى الأثر كاد الحليم أن يكون نبياً

وروى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال له أوصى قال لا تغضب . فردد مرارا . قال : لاتغضب

وقال علىّ كرم الله وجهه : أول ما يعوّض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره

وقال معاوية لابنه يزيد · عليك بالحلم والاحتمال ، حتى تمكنك الفرصة ، فإذا أمكنتك ، فعليك بالصفح ، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور ، ويقيك مصارع المحذور

وقال أيضا أفضل ماأعطى الرجل الحلم

وقال أيضا · ماوحدت لذة هى عنـدى ألذ من غيظ أتجرعه ، وسفه بحلم أقمعه

وكان الاحنف بن قيس مشهورا بين الناس بالحـلم وبذلك ساد عشيرته فقيل له :

ممن تعلمت الحلم ؟ فقال : من قيس بن عاصم . كنا نختلف اليه فى الحلم كما يختلف الى الفقهاء فى الفقه ، ولقد حضرته عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به مكتوفا

فقال · دعرتم (حوفتم) أخى أطلقوه واحملوا الى أم ولدى ديته فانها ليست من قومنا ثم أنشد

أقول للنفس تصبيرا وتعزية   إحدى يدىّ أصابتنى ولم تُرد

كلاهما خلف من فقد صاحبه   هذاأخى حين أدعوه وذاولدى

وقال بعض الحكما · احتمال السفيه خير من التحلى بصورته ، والاغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته

وقال بعض الأدباء · من غرس شجرة الحلم ، اجتنى ثمرة السلم

وقال بعض العلماء : ثلاثة لايعرفون إلّا فى ثلاثة مواطن لايعرف الجواد إلّا فى العسرة ، والشجاع إلّا فى الحرب ، والحليم إلّا فى الغضب

وقال أحد الشعراء :

أطع الحليم إذا الحليم نها كا ... إن الحليم اذا ضللت هدا كا
واذا استشارك من تود فقل له ... أطع الحليم اذا الحليم نَها كا
واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ... سبل الرشاد إذا أطعت هواكا

وقال آحر :

والحلم من أسمى صفات الدين ... جاءت به الآيات فى التبيين
وحسبه منقبة وشرفا ... قول الإله للحبيب المصطفى
لو كنت فظًا أو غليظ القلب ... لانفض من حولك كل الصحب
والحلم قالوا سيد الأخلاق ... لأنه أدفع للشقاق
فقابل العدوّ بالحلم ترى ... خصمك يأتى نادما معتذرا

وقال غيره ·

ألا إن حلم المرء أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار حليم
فيارب هب لى منك حلما فانى ... أرى الحلم لم يندم عليه كريم

مثال الحلم

حكى أن وزيرا أراد أن ينصح لأحد الملوك أن يتجنب الخمر، فعز ذلك على الملك، وأراد أن ينتقم من الوزير، فأخذ يشرب حتى ثمل، ثم قال للوزير سأريك إن كان للخمر تأثير فى قواى العقلية، ثم أمر بابن

الوزير ان يجلس على مرمى سهم ، ثم رمى السهم من القوس فاصابه ى قلبه فأرداه ، والوزير يرى ذلك المنظر الهائل ، فتجلد وقال للملك إن فعلك أيها الملك يدل على أنه لامثيل لك فى الرماية

وهذا مثل عال من أمثلة الحلم ، حيث ضبط الوزير نفسه ، وملك عواطفه ، ولو أظهر أى غضب أو استياء لنى الملك به وأهل بيته أجمعين

وقيل . إن ملكا سمع اثنين فى حراسه يذمانه من وراء خيمته ، فرفع الستار وقال لهما : تنحيا قليلا خشية أن يسمع الملك حِوَارَكُمَا (محاورتكما)

مثال آخر

تقامر الملك (كاسيمير) الثانى مع رجل من سراة (بولاندا) فربح منه كل ماله ، حتى غلب اليأس والغيظ على الرجل ، فتطاول على الملك قولا وفعلا ، وفرّ من قصره هاربا ، فأمسكه الحراس وردّوه الى حضرة الملك ، وهو جالس ينتظره فى صدر حاشيته ورجال بلاطه

فلما وقف أمامه قال الملك لقومه إن هذا الرجل أقل منى ذنبا فانى خفضت مقامى حتى قامرته وحملته على ارتكاب هذا الذنب

ثم قال للرجل . أرى أنك تائب فكفى ، خذ ماربحته منك

وانصرف وكف عن المقامرة كما كففت عنها

مثال آخر

كان الأحنف بن قيس مشهورا بالحلم ، حدثت بينه وبين رجل آخر مشاحرة

فقال له ذلك الرجل : لو قلت لى كلمة لسمعت عشر كلمات

قال له الأحنف وأنت لو قلت لى عشر كلمات لاتسمع منى كلمة

وهناك أمثلة كثيرة فى الجزء الثانى من السمير عن الحلم

ضبط النفس

ضبط النفس هو الاعتدال فى الميل الى اللذات ، وخضوعه لحكم العقل ، وليس ذلك مقصورا على اللذات الجسمية ، بل يشمل أيضا اللذات النفسية ، كالانفعالات ، والعواطف

فلا يسمى الشخص ضابطا لنفسه إلا اذا اعتدل فى لذاته الجسمية من مأكل ونحوه ، واعتدل أيضا فى انفعالاته النفسية ، فلم يغضب لأى داع ، ولم يندفع فى السير وراء عواطفه ، كأن يحن حنينا شديدا الى وطنه اذا نزح عنه ، أو يفرط فى حزن لفقد عزيز عليه

وكثير من الرذائل يرجع سببه الى عدم القدرة على ضبط النفس ألا ترى أن الشراهة ، والدّعارة ، والطمع ، والاسراف ، والغضب ، والسخط ، والثرثرة ، والادمان على السكر ، إنما هي تماد في هذه الخلال ، واندفاع وراء العواطف والأهواء ، لاوراء حكم العقل

فاذا تمسك الانسان بفضيلة ضبط النفس كان سيداً لنفسه لا عبداً لشهوات تسيره كما تشاء

وأهم الوسائل لضبط النفس هي :

١ – عدم الاسترسال في الشهوات الجسدية ، فهي شر مايفسد حياة الانسان ، ويضعف روحانيته ، ويسوقه الى أسوأ السبل ومن ثم يجب عليه أن يتباعد عما يغريه ويحرصه على العمل بألا يجالس المستهترين الذين لايتحرجون من قول الهجر والحض عليه ، ولا يغشى أماكن اللهو غير محتشم ، لاسيما في سن الفتوة بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين إبان نمو الشهوات وتيسر الشرور ويجب أن يصحب من قويت شخصيتهم ، ونظف لسانهم ، وطهرت روحهم ، وأن يعنى بما يوضع في يده من كتب ، وما يشاهد من تمثيل ، وما يغشى من مجتمعات ، وإلّا كان عرضة للتحول

وأكثر من ساءت حالهم ، وفسدت أخلاقهم ، كان فسادهم في هذا

الدور دور الفتوة ، وقل أن يسقط أحد بعد أن ينجو منه

٢ – عدم الاسترسال فى الفكر ، فلا يهيم فى كل وادٍ ، ويتحول فى كل مجال ، فالفكر اذا حام حول الشرور يوشك أن يقع فيها كما قيل : من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه

٣ – عدم الاسترسال فى الانقباض والسخط ، لأن ذلك يكدر صفو الحياة ، حتى لقد يخيل الى بعض الناس المتشائمين الساخطين أن الحياة ماهى إلّا سلسلة آلام ونزاع ، وكفاح ، وأن هـذا العالم أسوأ ما يكون فيه من الآلام والشرور أكثر مما فيه من اللذائذ

وقد ثبت بالتجربة أن هـذا إنما يكون لدى من ساءت صحتهم ، وضعفت أعصابهم ، وتوالت عليهم كوارث الزمان ، فتظلم الدنيا فى أعينهم ، ولا يرون فى الحياة إلّا مايؤلم

ولاشك فى أن هؤلاء الساخطين قـد قصرت مشاعرهم عن درك مافى العالم من لذات ، فما مثلهم إلّا كمثل المحموم يدرك طعم العسل مرًّا ؛ إذ ليس أحد يجهل أن الدنيا قد ملئت بما يسر ، وما يؤلم ، ولولا سوء النظم الاجتماعية ، وفساد التربية ، لـكان الناس جميعهم سعداء

امتلاك النفس حين الغضب

مذموم أن يكون الانسان سريع الغضب يخرج عن عقله للكلمة الصغيرة ، والسبب الحقير ، والحادث التافه ، ولكن ليس كل الغضب مذموما ، فهناك أحوال يمدح فيها ، وهو الغضب للحق ، وللخدمة العامة ؛ ألا ترى أنك اذا نظرت الى شخص يعذب حيوانا صغيرا لم يجن جناية ، أو ضعيفا لا يستحق أن يعذب ، أو الى شخص يحرم أولاده من الغذاء ، وهو يتمتع بالأكل والشرب والهناء ، فمن الحق عليك أن تغضب لمثل هذا ، كما أنه من الواجب عليك أن تغضب اذا أهنت فى شرفك ، أو ثلمت « جرحت » فى عرضك ، لتدرأ عن نفسك الظلم

وأكثر ما يدفع الانسان الى الغضب أثرته ، وحبه الشديد لنفسه ، وكثرة التفكير فى حقوقه ، فيتخيل إذا سمع كلمة من أحد أنها احتقار له ، ونيل من شرفه وقدره ، وكثيرا ما يستسلم لغضبه ، فلا يعى ما يقول ، ولا يعقل ما يفعل ، ويظن أنه بذلك يظهر بمظهر المحترم لنفسه المحافظ على كرامتها ، وهو إنما يظهر بمظهر الطائش الأحمق

والانسان فى غضبه حاكم غير منصف ، يبالغ فى الشىء فلا يزنه بميزان الحكمة والاعتدال ؛ بل يضع على عينيه منظارا مكبرا (مجهرا) يريه الأشياء فوق حجمها الطبيعى ، ويشوه محاسنها ، فلا يرى فيها إلّا

ما يغضبه ولذلك تراه يحكم حتى على أعز الناس عليه أحكاما قاسية

فالواجب أن يتريث ، ويعمل الفكر والروية ، ويسأل نفسه ، ويراجعها قبل أن يبت فى أمره ، هل هو محق فى غضبه ؟ أو ليس لما عمل أو قيل محمل حسن ؟ هل الشيء يغضب حقيقة بالصورة التى رآها ؟ فربما يكون لما قد حصل أو قيل محمل حسن ، ولعله عمل بحسن نية واخلاص ، لاتقصد الضرر والاساءة

كما أنه يراجع هفوات المسيء ، ويقدرها بمحاسن حسناته ، وما أسداه من المعروف اليه

والخلاصة ، يجب عدم الاستسلام للغضب ، وتسليم زمام الانفعالات للعقل ، وتملك النفس حين الغضب حتى تسلم من شره

العفو بعد الغضب

غضب انوشروان على وزيره فسجنه وصفّده بالحديد ، وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر ألّا يعطى من القوت إلا القليل من الخبز والملح والماء ، وأن تقيد ألفاظه حتى يطلع عليها ، فأقام الوزير أشهرا لم يسمع له لفظ واحد ، فوجّه اليه الملك قوما ينظرون فى أمره . فقالوا له : أيها الوزير ، نراك فيما نراك من الشدة والضيق ، وأنت كما كنت لم يتغير حالك ، فما شأنك ؟

قال · انى استعنت على أمرى بستة أشياء (١) الثقة بالله تعالى (٢) وعلمى أن كل مقدر واقع (٣) وبالصبر الجميل (٤) ومعرفتى أنى إن لم أصبر أكن قد أعنت على نفسى بالجزع (٥) وانى ربما أكون فى شر أصعب من هذا (٦) وما بين ساعة وأخرى يأتى الله بالفرج القريب

فلما قالوا مقالته لانوشروان ، زال غضبه عليه ، وعفا عنه ، ورده الى عمله وأحسن اليه «ثمار الانشاء»

المأمون والفضل بن الربيع

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان من حقى عليك ، وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تثلبنى (تعيبنى) وتسبنى ، وتحرض على دمى ؟ أتحب أن أفعل بك مافعلته بى ؟

فقال يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يحقدك إذا كان واضحا جميلا ، فكيف اذا أخفته العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضق عنى من عفوك ماوسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك الحسن بن رجاء ·

صفوح عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما

وليس يبالى أن يكون به الأذى ... اذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

«معراج البيان»

كبح جماح الشهوات

النفس كالفرس الجموح ، اذا ضبطها راكبها وكبح جماحها وجهها حيث شاء ، وإذا لم يقدر عليها أوردته موارد التهلكة

فلا تجعل الغلبة لنفسك عليك ، إنك إن فعلت ذلك كنت ضعيف القوة ، ضعيف الارادة يستعبدك هواك فلا تستطيع أن تقمع شهواتك ؛ ترتكب وقت جذلك (فرحك) ما تحرمه الشرائع ، وتُقدِم وقت غضبك على ما يكون فيه حتفك (موتك)

وليس الشجاع من يفتح البلد الحصين ، بل هو من يقدر على مجاهدة نفسه ، وقمعها عن الهوى

كان الاسكندر فاتحا عظيما ، غزا بلاد العجم ومصر ، وتغلب على أهلها ؛ ولكنه لم يتغلب قط على نفسه ، فرمى صاحبا عزيزا له ساعة غضبه فقتله ، ثم وجم (حزن) عليه حتى قضى نحبه (مات)

وكان إذ ذاك فى بلاد الهنـد عالم محقق درس الحياة وخبرها ، ألقى على تلاميذه درسا هو الحكمة الغالية ، والعظة البالغة . فقال :

لو حالف النصر رجلا فى غزواته ألف مرة ، وتغلب فى كل مرة على عشرة آلاف رجل ، وتغلب رجل آخر على نفسه مرة واحدة ، لكان الذى غزا نفسه فتغلب عليها أحق بالمدح ، وأولى بالتكريم

وفى ذلك قال الله تعالى : وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ

وقال الأبوصيرى صاحب البردة المشهورة ·

· وخالف النفس والشيطان واعصهما   وان هما محّضاك النصح فاتّهم

فاذا طوّحت بك النفس الى وادى الشهوات ، وأمرتك بالانغماس فى الموبقات ، فخالفها ، أومالت بك نحوها فأمن زمامها ، واكبح جماحها ، كى تكون كرامتك موفورة ، وأموالك مصونة ، وصحتك محفوظة

صيانة اللسان

خلق الله الانسان ، وميزه على سائر الحيوان ، بالعقل واللسان

واللسان عضو صغير موضوع فى الفم لتمييز الأغذية ، وترجمان للكلام ، إذ به يعبّر الانسان عما فى ضميره ، وعما يحيط به

فهو عدة التفاهم والتخاطب مع الغير ، وهو مقياس تقاس به درجة فضل الانسان ، وبه تقدر مقدار معارفه وأفكاره ، وهو محك تعرف به آدابه وأخلاقه ، من حلم ، وغضب ، ورقة ، وخشونة ، وكمال ، ونقص

فالواجب على كل انسان أن يضبط لسانه حتى لاينطق إلّا بما يرضاه العقل السليم ، وليجعل لسانه لسان صدق فى القول ، ولطف فى المعاملة ، وليحفظه من سيئ الأحاديث ، لأن بذيء اللسان دائما

مكروه ، أما حلو الحديث فهو دائما محبوب

ومن مكارم الأخلاق ، صيانة اللسان عن الكلام فيما لا يعنى ، والخوض فى الباطل والمراء ، والخصومة ، والتشدق ، والمزاح الذى يتعدى الحشمة ، والاستهزاء ، وإفشاء السر ، والكذب فى القول ، والغيبة والنميمة ، والحلف ، وخلف الوعد ، الى غير ذلك من عثرات اللسان ، ومهلكات الانسان ، فكم من أشخاص ألقوا فى غياهب السجون لكلمة خرجت من فيهم ، مغايرة للأدب ، أو مخالفة للقانون ، وكم من كلمة أثارت غضباً وسخطا ، وأسالت دماء ، وجرت ذلا وعناء ، وبدلت حالة الانسان من هناء الى شقاء

ذكر ماقيل فى صيانة اللسان وحسن الكلام

قال الله تعالى . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وقال تعالى . وَهُدُوا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ

وقال تعالى : مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

وقال ﷺ . رحم الله عبدا قال خيرا فغنم ، أو سكت فسلم

وقال عليه الصلاة والسلام : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده

وقال عليه الصلاة والسلام · من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

وقال عليه الصلاة والسلام لايبلغ المرء حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه

أى لا يصل المرء الى الايمان الكامل، ويتصف به على الحقيقة، إلا اذا صان لسانه، ولم يتكلم إلا بما فيه رضا الله، وخير نفسه، وذوى عشيرته

قال معاذ بن جبل : قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟

فقال ثكلتك أمك يامعاذ بن جبل ، وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم

وروى ، أن معاذا قال · يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟

فأخرج رسول الله ﷺ لسانه، ثم وضع عليه أصبعه

وقال أنس بن مالك قال ﷺ · لايستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه

وقال عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به

فقال قل ربى الله ، ثم استقم

قلت يارسول الله ، ما أخوف مايخاف على ؟ فأخذ لسانه وقال. هذا

وعن سعيد بن جبير قال رسول الله ﷺ · إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان ؛ أى تقول اتق الله فينا ، فانك

إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا

وروى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو يمد لسانه بيده فقال له : ما تصنع ياخليفة رسول الله ؟

قال : هذا أوردنى الموارد ، إن رسول الله ﷺ قال : ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته

وقال علىّ كرم الله وجهه : احسبوا كلامكم من أعمالكم ، وأقلوه إلّا فى الخير

وقال أيضا : اللسان معيار أطاشه الجهل ، وأرجحه العقل

وقال أحد الحكماء اعقل لسانك إلّا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أوحكمة تنشرها ، أونعمة تذكرها

وقد قيل إن اللسان سبع إن عقلته حرسك ، وإن أطلقته افترسك ، فانطق به على قدر ، وكن منه على حذر

وفى الأمثال : سلامة الانسان ، فى حفظ اللسان

وقال لقمان لولده : يابنى ، اذا افتخر الناس بحسن كلامهم ، فافتخر أنت بحسن صمتك

وقال بعض البلغاء : احبس لسانك ، قبل أن يطيل حبسك ، أو يتلف نفسك

وقال أحد الشعراء :

لسانك احفظه وصن نطقه　　واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زين ووقار وقد　　يؤتى على الانسان من لفظته
من لزم الصمت نجا سالما　　لا ينـدم المرء على سكتته

وقال صالح بن عبد القدوس

وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن　　ثرثارة فى كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه　　فالمرء يسلم باللسان ويعطب

وقال ابن السكيت ·

يصاب الفتى من عثرة من لسانه　　وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه　　وعثرته بالرجـل تبرأ على مهل

وقال آخر ·

جراحات السنان لها التئام　　ولا يلتام ماجرح اللسان

حكايات وأمثال فى حفظ اللسان

١ – احتمع قس بن ساعدة وأكثم بن صيفى فقال أحدهما لصاحبه · كم وحدت فى ابن آدم من العيوب ؟

قال هى أكثر من أن تحصر، وقد وحدت خصلة واحدة اذا استعملها الانسان سترت عيوبه

قال : وما هى ؟ قال · حفظ اللسان

٢ – أوصى بعض الحكماء ابنه فقال له : يا بنى إن من الكلام، ماهو أشد من الحسام، وأثقل من الصخر، وأنفذ من وخز الابر، وأمرّ من الصبر، فصن لسانك عن لغو الكلام

واعلم أن القلوب مزارع فازرع فيها طيب الأحاديث، فان لم ينبت فيها كله، نبت بعضه، وإن صمتا تعقبه سلامة، خير من نطق يسلب كرامة، من قلّ كلامه، قلت آثامه، ومن كثر لغطه، كثر غلطه، وان الرجل لايزال مهيبا مادام ساكتا، فاذا تكلم زادت مهابته، أو سقطت رتبته

٣ – يحكى أن لقمان الحكيم أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها، فأتاه بقلبها ولسانها

ثم أعطاه شاة أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب مافيها

فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها

فسأله عن ذلك ، فقال : ياسيدى ، لاأخبث منهما اذا خبثا ، ولا أطيب منهما اذا طابا

٤ - ذكر ابن خلكان : أن رجلا كان يجالس الشعبى ، ويطيل الصمت ، فقال له الشعبي يوما · ألا تتكلم ؟

فقال . أصمتُ فأسلم ، وأسمع فأعلم ، إن حظ المرء فى أذنه له ، وفى لسانه لغيره

وهناك فى الجزء الأول من السمير حكايات كثيرة فى هـذا الموضوع

حسن المعاملة

الانسان فى هذه الحياة لايمكنه أن يقوم وحـده بجميع حاجاته ، فهو مفتقر لاخوانه ، مضطر لمعاملتهم ومعاونتهم له ، كما قال الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فمن أراد أن يعيش عيشة هادئة مطمئنة ، محبوبا عند اخوانه ، اذا افتقر مانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، لزمه أن يكون حسن المعاملة معهم ، وقد جاء فى الأثر · الدين المعاملة ، فعلى حسن المعاملة تتوقف حياة الانسان ، و بمقدار حسن المعاملة يكون مقدار نفعه وفائدته من الغير

وحسن المعامة يدل على أخلاق الانسان الكامنة فيه ، وعلى دوقه وعواطفه واحساسه ، كما يدل على الوسط الذى يعيش فيه ، وينتمى اليه

فالرجل الذى يعامل غيره معاملة حسنة يحبه الناس ، ويلتفون حوله ، ويريدون نفعه ؛ بخلاف الرجل السيء المعاملة فانه تكرهه الناس وينفرون منه ، ولا يحبون فائدته ، انظر الى تجارة بعض الناس تراها كاسدة لا يقبل عليها أحد مع قلة ثمنها وجودة نوعها ، وانظر الى سلع البعض الآخر تراها رائجة يقبل عليها الناس مع ارتفاع ثمنها ، وربما كانت أقل جودة من سابقتها ؟ فما السبب فى ذلك ؟

السبب فى ذلك ، أن الأول جهل طرق حسن المعاملة ، فساء خلقه ، وابتعدت الناس عن معاملته ، فما ربحت تجارته ، وساءت حالته

أما الثانى فقد عرف كيف يحسن معاملته مع الناس ، فاستجلب مودتهم اليه ، وجذب قلوبهم نحوه ، بما يرونه من حسن أخلاقه ، وجليل صفاته ، يهش للناس ، ويبش فى وجوههم ، ويكرم وفادتهم ، مع لطف وسهولة فى المعاملة ، وأدب فى المجاملة

فاذا أردت أن تكون محبوبا ، موفقا فى هذه الحياة ، وجب عليك اتباع طرق حسن المعاملة الآتية :

١ - عامل الناس بالأدب الذى لا يكلفك شيئا ، بل يكسبك رضاهم عنك ، ويسهل عليك نيل ما يصعب الوصول اليه بالدراهم

٢ – عامل الناس بالرفق واللين والاخلاص ، فان الرفق يريح القلوب بأكثر من الاحسان ، والاخلاص أجلّ قدرا من الدرهم ، والكلمة اللينة تكسب سرورا لاتأتيه الهدايا

٣ – عامل الناس بالبشاشة والرأفة والمحبة ، ولا يكفى أن تحب من تعز بالقول ، ويجب أن تبرهن له على اخلاصك ، وأن تجتنب ما يفرط منك

٤ – عامل الناس باللطف ، فاللطف فى المعاملة سبيل لنيل كثير من المقاصد ، وفى الواقع أن كثيرا ممن اعتنوا لم ينالوا الثروة إلّا بحسن معاملتهم ، كما أن كثيرا لم يحصحوا بسبب سوء معاملتهم

٥ – إن حسن المعاملة توجب عليك ألاتكون كثير الاعتكاف عن الناس ، وألاتكون كثير التودد اليهم ، وألا تخشى ظهور احساساتك مظهراً أجلى البراهين على إخلاصك ، وأن تكون حرّ الفكر ، رقيق الاحساس ، صادق القول والفعل ، وأن تكون شفيقاذا قلب سريع التأثر

٦ – لا تقتصر فى معاملة الناس على ماتريد أن يعاملوك به ، بل يجب أن يكون لك عليهم إحسان إذا أردت أن يحسنوا إليك ، وألا تقابل السيئة بمثلها ، بل بالحسنة ، فتحمد وتشكر

٧ – ابذل جهدك فى استمالة قلوب الناس اليك بحسن معاملتك لهم ، فالذوق السليم تنجح فى مقصودك ، وتنال باللطف مالم تنله بالعنف ،

كما أنك تنال بالابتسام والبشاشة ، مالم تنله بالارهاب والغطرسة

٨ - اعمل على أن تكون محبوبا عند الناس ، وهذا لا يفقدك شيئاً بل يكسبك سرورا ينشرح به صدرك فى كل آن ، وان صدقت رغبتك فى استجلاب محبة الناس نلت مقصدك لامحالة ، فان لم تكن عندك تلك الرغبة ما كنت محبوبا أبدا

٩ - أحسن الظن بالناس ، واذكر محاسنهم ، واترك مساويهم ، إن أردت أن تكون بعيدا عن انتقادهم عليك ومعاكستهم لك

واعلم أن من الواجب الأدبى أن تتكلم عن الأحياء بالاحسان ، وألا تذكر من مات إلا بخير

١٠ - لا تحتقر من دونك ، أو أحدا من إخوانك ، ولا تفتخر بقوة عقلك ، أو بالثروة التى ورثتها من آبائك وأجدادك ، بل عليك أن تعرف قدر نفسك ، وقدر العالم ، فلا تعامل الدون معاملة الكفء ، ولا الكفء معاملة الأعلى ، وعامل كل انسان بحسب درجته ومركزه

١١ - اجتهد فى ألا يكون لك أعداء ، بل اجتهد فى إرضاء الناس ليحبوك محبة خالصة لوجه الله ، وخالطهم مخالطة إن مت معها بكوا عليك ، وإن عشت حنوا إليك ، ولهجوا بالثناء عليك

١٢ - اهتم بشئون إخوانك ليهتموا بشأنك ، فانك إن أظهرت لهم عدم اهتمامك لهم ، فكيف تنتظر منهم القيام بغير مافعلت

١٣ - الزم الاحترام والاعتبار لاخوانك ، فانك اذا لم تعتبر أحـدا من الناس ، ولم تحترمه ، فـكيف ترجو أن يكون لك اعتبار أو احترام عند أحد ؟

١٤ - للانسان على الانسان حق المعاونة والمساعدة ، إنما لابد أن تكون وقتية لعذر طارئ ، ولـكن من العبث أن يقوم شخص بحاجات شخص آخر ، ميعوده البطالة والـكسل ، وعدم السعى على المعاش ، ومن العار على هذا الشخص أن يقبل مثل هذه المعيشة الاتكالية وألا يرضى بأى حرفة مهما كانت ، ليعيش من عرق جبينه ، وألا يكون عالة على الناس

حسن معاملة النبى عليه الصلاة والسلام

كان ﷺ كريم العشرة ، حسن المعاملة ، رءوفا رحيما بأصحابه ، ميهذا وصفه الله تعالى فى كتابه فقال . بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

كان يعطى كل واحد من جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، قد وسع الناس خلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده فى الحق سواء

وكان عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعا ، وأبعدهم من كبر ، يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويتفقد أحوالهم ، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم ، حيثما انتهى به المجلس جلس

روى : أنه خرج على أصحابه يوما فقاموا له ، فقال : لاتقوموا كما يقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضا . وقال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة ، فقال له :

هوّن عليك ، فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد (اللحم المملوح المجفف فى الشمس)

وكان عليه الصلاة والسلام أوقر الناس فى مجلسه ، لايتكلم فى غير حاجة ، ويعرض عمن يتكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسما ، وكلامه قصدا ، لافضول ولاتقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيرا له واقتداء به ، مجلسه مجلس حلم وحياء، وخير وأمانة ، لاترفع فيه الأصوات ، ولا تنتهك فيه الحرم

وصية الامام على لابنه الحسن

فى حسن المعاملة

قال الامام على رضى الله عنه لابنه الحسن : يابنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ماتحب لنفسك ، واكره له ماتكره لها ، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ماتستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه

لهم من نفسك ، ولا تقل مالم تعلم وان قلّ ماتعلم ، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك

التعاون

وجد التعاون منذ وجدت الجماعات الانسانية ، وأحسّ الناس بحاجة بعضهم الى بعض ، فكم يميل الانسان بطبعه الى السعى لينال من شريكه مساعدة فى الحياة ، أو زميله فى العمل ، وليحصل على معونة من الأقرباء والأصحاب ؛ وكم رأينا أفراد أسرة واحدة طرحوا جانبا مابينهم من بغضاء ، واتحدوا وتضامنوا على الأخذ بيد الأسرة من وهدة كان يخشى السقوط فيها ، ويتقدمون جميعا بقلب واحد بكل ماعندهم من قوة مادية كانت أو أدبية لتضحى فى سبيل سعادة الأسرة وما العصبية الشديدة عند قبائل البدو وقبائل العرب خصوصا إلّا نوع من التعاون والتآزر حول مبدأ الدفاع عن كل فرد من أفراد القبيلة وعن القبيلة جميعها ، فالقبيلة كلها تهب لتأخذ بثأر أحد أفرادها ، والفرد يهب ليأخذ بناصر القبيلة كلها ، مهما تكلف من عناء ، ومهما انفق من كفاح ، وتعرض لأشد الأخطار

التعاون غريزة فى الانسان فطر عليها ، ونشأت مع نشوء الجماعات وكانت من سبل التغلب على متاعب الحياة ، وحصنا يقى الانسان

عاديات الزمان

وليس التعاون غريزة فى الانسان فحسب ، بل هو غريزة فى الحيوان، أيضا ، إذ نشاهد زرافات من الحيوانات ، وأسرابا من الطيور ، وجماعات من الحشرات ، تستعين على تحصيل الرزق ، ودفع الشر ، بالعمل متآزرة ، وبما أودع فيها من غريزة التعاون ، وتضامن قواها الصغيرة ، لتكون قوة كبيرة ، تتغلب بها على المشاق والأخطار

ان الفيلة وهى من أكبر الحيوانات حسما تعيش متضامنة ، وتسير متعاونة ، فالفيل يعيش بمساعدة المجموع من الفيلة ، وهذا المجموع فى حاجة الى مساعدة كل واحد منها فتخرج الفيلة جماعات إلى موارد المياه وتعود غير متفرقة

وكذلك أغلب الحيوانات والطيور والحشرات القردة والذئاب ، الحمام والبط البرى ، النمل والنحل ، تعيش كلها متحدة متعاضدة فى كل حركة ، وفى كل وقت ، وفى كل مكان ، وكأن كل واحد منها يحيا ويموت على مبدأ الفرد للجماعة ، والجماعة للفرد

والأمم تتعاون أفرادها فى أوقات الشدائد ، ويرى الانسان حوله ويسمع كل يوم تضامن الأحياء فى مختلف الأمور

وقد حثت جميع الأديان السماوية : الموسوية ، والمسيحية ، والمحمدية ، على فضيلة التعاون والتآزر ، ومساعدة الفقير ، ولمّ الشمل بين الأسر والجماعات

فضيلة التعاون أولى المبادئ الأخلاقية التى يلقنها الوالد لأولاده ، ويشير بها المعلم الى تلاميذه ، ويرفع لواءها الزعيم لتلتف حوله الأمة وبالاجمال التعاون فضيلة تقوم عليها الحياة الهادئة المطمئنة ، وهى أساس النجاح ، ودعائم التقدم والفلاح ، وهى درع يحفظ الانسان من السقوط والتدهور ، وهى عماد الحياة بين الناس فى المعاملات ، وفى تخفيف المصائب ، وويلات الزمان

ذكر ماقيل فى التعاون

الآيات

قال الله تعالى وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

وقال عز وجل : وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

وقال سبحانه وتعالى . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

الأحاديث

قال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا

وقال عليه الصلاة والسلام · يد الله على الجماعة

وقال ﷺ : والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه

وقال عليه الصلاة والسلام · مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر

وقال عليه الصلاة والسلام : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه

وقال عليه الصلاة والسلام : انصر أخاك ظالما أو مظلوما

قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره

أقوال الأدباء

قال المهلب بن أبى صفرة حينما جمع أولاده قبيل وفاته ·

كونوا جميعا يابنى اذا اعترى   خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسّرا   واذا افترقن تكسرت أفرادا

وقال أبو الفتح البستى

وكن على الدهر معوانا لذى أمل   يرجو نداك فان الحر معوان

واشدد يديك بحبل الله معتصما   فانه الركن إن خانتك أركان

من كان للخير مناعا فليس له   على الحقيقة إخوان وأخدان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم   وعاش وهو قرير العين جذلان

وجاء فى الأمثال · المرء قليل بنفسه كثير باحوانه

خطبة

فى حث الناس على اعانة قوم أصابهم حريق

لقد منّ الله على الناس إذ أوجد فى قلوبهم الشفقة لاخوانهم ، وبنى جنسهم ، ومشاركيهم فى أوطانهم ، وأوجب على غنيهم مساعدة فقيرهم ، وقويهم إعانة ضعيفهم ، وجعلهم كأسرة واحـدة يتعاونون ، وفى هذه الحياة يشتركون ، حتى يعيشوا إخوانا وأحبابا ، ووعد السخى الكريم بالزيادة واليسر ، وأوعد البخيل الدنىء بالخسران والعسر

قال تعالى · فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى

وإنا لنشكر لأغنياء هذه الأمة ، وسراة هذا الوطن ، فإنهم بأعمالهم الحسنى ، وفعالهم الجميلة فى مواطن كثيرة ، أظهروا للناس كيف يؤدون الواجب ، ويفعلون الخير ، ويبرون بالأمة

وقد جئنا اليوم نستعطفهم ، ونتطلب المعونة منهم ، لتضاف هذه المكرمة الى كثير من أمثالها مما قدموا ، ولهذه الأمة بذلوا

أيها السادة ، أهل الشفقة والرحمة ، ان سكان (ميت غمر) أصابهم حادث مؤلم ، ونزلت بهم نازلة مروّعة ، فان النار (نعوذ بالله منها) قد شبّت في بلدهم فأحرقت الدور والمساكن ، وأكلت الأقوات والأموال ، وذهبت بما ادّخروا وما جمعوا ، فأصبحوا يتوسدون الثرى ، ويستظلون بأديم السماء ، لايجدون من الأكل مايسد رمقهم ، سوى مايساعدهم به أهل بلدهم ، وهو شيء في ذاته جليل عظيم ، ولكنه بالنسبة لهم قليل حقير ، لايجديهم نفعا ، ولا يغني عنهم من الجوع شيئاً ، لكثرة عددهم ، ووفرة جوعهم .

أيها الرحماء ، كيف يرى الواحد منا نفسه لو سمع أن قوما كانوا على الأرائك متكئين ، وفوق البسط والنمط جالسين ، وفي مساكنهم منعمين ، وببلدهم آمنين ، ولاخوانهم جامعين ، وبحياتهم مسرورين ، ثم نظروا فاذاهم فوق الثرى أجسادا هامدة ، وتحت السماء جثثا جامدة قد فقدوا أقواتهم وأموالهم وديارهم وحبوبهم ، وأظنه يرى نفسه مضطربة متألمة من هول الأمر

يا أهل الرأفة ، كيف يكون حال الواحد منا لو شاهد هؤلاء القوم ؟ أم ماذا يكون أمره لو كان منهم ؟ انكم عما يكون لعارفون

فيجب على كل واحد منا مهما كان ، أن يساعد هؤلاء الناس ولا يتكل على غيره ولا يعتمد على سواه ، فانا لهم مدينون ، وعلى إهمالهم

محاسبون ، ونشكر الله على أن جعلنا لهم معينين ، ولم يجعلنا فيهم مصابين ، لنشكر الله ببذل الأموال ، لنشكر الله بمعاونتهم بالأقوال والأعمال ، حتى يخف مصابهم ويقلّ ألمهم ، وحتى نكون قد فعلنا الواجب ، وحتى نرى عند الضيق فرجا ، وعند الشدائد أعوانا

وما من أحد فى هذه الحياة الدنيا بأصغر من أن يعين ، ولا بأكبر من أن يعان ، والله وحده وليّ الأمر وهو المستعان

« ثمار الانشاء »

التعاون المالى

« التعاون المالى هو اتفاق جماعة من الأفراد كموظفى البريد ، أو مزارعى بلد من البلاد ، أو التجار أو الصناع أو العمال تتفق مصالحهم على أن يكون لهم متجر خاص يشترى كل منهم ما يلزمه من الحاجات بأثمان معتدلة ويبيعها كذلك ، ويكون للشركاء نصيب فى الأرباح مناسب للمبلغ الذى أودعه فى الشركة

وفى (انجلترا) فكر جماعة من صغار العمال فى إنشاء حانوت تقريبهم يأخذون منه كل حاجاتهم آمنين من الغش وطمع التجار فاستغنى كل منهم عن جزء يسير جدا من مرتبه الشهرى وجمعوا من ذلك مبلغا صغيرا من المال جعلوه رأس مال التجارة وجلبوا فى التجارة جميع

مايحتاج اليه أهل القرية من مأكل ومشرب وملبس ومتاع ، وقدروا لهم أرباحا مناسبة مع المصروفات ورأس المال، فما هى إلا سنين قلائل حتى زاد رأس مال الشركة على بضعة ملايين من الجنيهات ، وأقبل الناس على تعضيدها وتشجيعها، واقتدت بهم (فرنسا والمانيا) فأنشؤا نقابات التعاون

وهذا التعاون المالى سر عظيم من أسرار النجاح والفوز وسبب من أسباب رقى الأمم وتقدمها وزيادة ثروتها وعظمتها

ويقوم التعاون المالى بتأليف الشركات والمصارف

والقطر المصرى حديث العهد بالتعاون ، إذ بدأ بالدعاية اليه المرحوم عمر بك لطفى برعاية المرحوم السلطان حسين كامل عام سنة ١٩١٠ ولكن الحركة لم تتم لظروف عدة ، منها قيام الحرب العظمى ، ولما هدأت الحالة نوعا ، أصدرت الحكومة عام سنة ١٩٢٣ قانونا للتعاون ؛ ولما وجدت به بعض العيوب عادت فأصدرت سنة ١٩٢٧ قانونا منقحا يلائم حالة البلاد فأنشئت وفقا لأحكامه ١٨٢ جمعية تعاونية تعمل فى التوريد والتسليف الزراعى عدا جمعيتين للتعاون المنزلى وواحدة لزراعة الخضر محلها الى اليوم ١٨٥ جمعية يبلغ عدد أعضائها ١٥٫٠٠٠ عضوا

وتساعد الحكومة هذه الجمعيات وسيأتى الوقت (ان شاء الله) الذى تعد فيه الجمعيات التعاونية فى مصر بعشرات الآلاف كما هو الحال فى البلدان الأخرى

وعندئذ يتجلى مبلغ الفائدة التى تجنيها البلاد من هـذه النهضة المباركة

وفى يوم السبت الأول من شهر يوليو من كل سـنة يحتفل رجال التعاون فى العالم بعيدهم

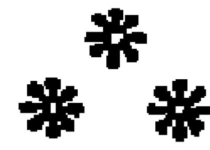
وقد بدأ قسم التعاون فى الاحتفاء بهذا اليوم

وقد كتب بعض عظماء مصر ورجالها المشهورين آراء قيمة عن التعاون وهى المذكورة بعد :

التعاون

كلمات خالدة

١ — مزايا التعاون كثيرة وأفضلها فى نظرى حب كل فرد لمصلحة الآخر وعمله لخير الجميع (عمر طوسون)

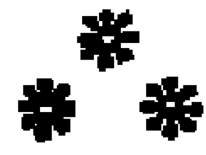


٢ — أعمال التعاون تنمى الشعور لدى الأفراد بحاجة بعضهم الى بعض، وتقوى روح الجماعة، وتجعل من الأسر المختلفة أسرة واحدة تربطها المصلحة، واذا صادفها التوفيق بحسن اختيار الأخيار كانت من الوسائل النافعة فى تقويم الخلق ونشر الفضيلة ورغد العيش

(محمد مصطفى المراغى) شيخ الجامع الأزهر

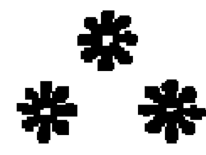
٣ — خير التعاون ما كان على البرّ والتقوى ، وأنفع الناس أنفعهم للناس ، وكمال الايمان أن تحب لأخيك ماتحب لنفسك ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه (محمد بخيت)

مفتى الديار المصرية سابقا



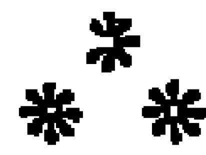
٤ — ليس التعاون غاية فى ذاته ، وانما هو طريق لتعليم الناس وتهذيبهم ، وسبيل الى نفع فقيرهم وغنيهم ، وربطهم فى مصالحهم برباط المحبة والصداقة ، وفى ذلك صلاح للنفس ، وسعادة وهناء للمجموع والأفراد

(يؤس) بطريرك الكرازة المرقسية



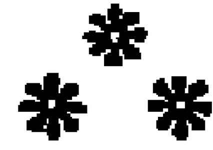
٥ — أرى من الخير كله نشر مبادئ التعاون فى مصر ؛ لأنها العامل الأول اجتماعيا فى تنظيم العمل ، واقتصاديا فى تدبير المال ، والعمل والمال هما مناط الرخاء فى حياة ورقى الأمم فى كل عصر (عبدالحميد البكرى)

شيخ السادة الصوفية

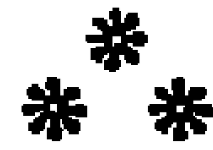


٦ — لاشك أن ماوصلت اليه البلاد الغربية من العظمة الصناعية والقوة المالية إنما كان بفضل التعاون ، وقد كان من أسباب تأخرنا فى الميادين الاقتصادية اعتمادنا على المجهود الفردى الذى فات أوان الاعتداد

به منذ أصبحت الأنظمة العالمية مبنية على وفرة المال وضخامة القوة الآلية . والتعاون مزية أخلاقية لا يستهان بها ، وهي توافر الثقة بين الناس مما يقوى الروابط ويكسب الأمة الاحترام (اسماعيل صدقى)



٧ — التعاون الزراعي في مصر ليس نظرية من النظريات ؛ ولكنه عمل اجتماعي شاق يرمي الى تعويد المزارعين في دائرة جمعية معينة على ثقة الأعضاء بعضهم ببعض ، واعتبار منفعة الفرد منسجمة مع مصلحة المجموع ، ومصلحة المجموع متسقة مع أعظم ما يستطاع من مصالح الأفراد فهو عمل مبنى على الثقة ، وتبادل المنافع ، وتناسق المصلحة الفردية مع مصلحة المجموع (محمد طلعت حرب)



٨ — كل أمة زراعية لا تؤمن بالتعاون ، وتنضوى تحت لوائه ، فهي مستباحة المرافق ، مغلوبة على أمرها في ذلك المعترك الاقتصادى العالمى المحتوم (يوسف نحاس) سكرتير النقابة الزراعية العامة

الأهرام في ٦ يوليو سنه ١٩٢٩

الشركات

الشركات هي اتفاق عدة أشخاص على القيام بعمل يعود بالخير على الناس ، ويجلب الثروة للمشتركين فيه ، يقوم كل فرد بدفع حصة صغيرة من رأس المال ، ومن مجموع هذه الحصص المعروفة (بالأسهم) تأسست شركات كبيرة قامت بأعمال عظيمة ، لا يمكن للفرد الواحد القيام بها

فى القاهرة والاسكندرية شركة الترام التى سهلت للناس طرق المواصلات ، وقربت المسافات ، بأجور رخيصة ، وعادت على مؤسسيها بأرباح كثيرة

وشركة النور (غاز الاستصباح والكهرباء) التى أضاءت المنازل والطرق ، وساعدت على ازدياد الأمن والراحة ، ودرّت على مؤسسيها الخير العميم ، والربح العظيم

وشركة المياه التى مدّت أنابيبها فى جميع الطرقات وسائر المنازل تحمل للناس ماء زلالا نقيا ، فسهل عليهم أداء العبادات ، وقضاء الحاجات

وأمثال ذلك كثير من الشركات التى ملأت البلاد ، وساعدت على الرقى والحضارة ، وسيأتى ذكرها ، ويوجد أيضا شركات التعاون المنزلى ،

والغرض منها الحصول على اللوازم المنزلية ، أى حاجات المعيشة

وهى شركات كبيرة الفائدة ، كثيرة النفع ، خصوصا اذا تسى لها أن تشترى وتبيع بالكميات الوافرة من البضائع التى تستحضر من البلاد النائية ، فانها تغنينا حينئذ عن الشراء من التجار الذين يبيعون بالتجزئة (بالقطاعى) كما أنها تغنينا كذلك عن تدخل الوسطاء بيننا وبين أرباب الحاصلات ، ومن ثم يكون فى استطاعتها جلب البضائع بالثمن الزهيد وبيعها بالثمن المناسب

ومن مزاياها أيضا أنها لاتكون فى حاجة الى بيع الردئ من الأصناف كما يقع أحيانا من بعض التجار الأصاغر إعناء لأرباحهم وهو مايشاهد خصوصا فى المدن والقرى الكبرى

ويوجد أيضا شركات التعاون الزراعى المنتشرة فى أنحاء القطر المصرى ، وقد أصدرت الحكومة المصرية قانونا رقم ٢٧ خاصا بالتعاون الزراعى بعناية (جلالة مولانا الملك فؤاد) وقد أصبح بموجبه للزارع وكل من له علاقة بمهنة الزراعة الحق فى أن يؤسسوا شركة زراعية تعاونية للعمل على مافيه صلاحهم وترقية شؤونهم المادية والأدبية والدفاع عن حقوقهم الزراعية

هذا ومن أهم العوامل لنجاح شركات التعاون النظام والأمن وتوفر الثقة بين الأفراد إذ شاهدنا فى أيام الاضطرابات والثورات كيف تزعزعت النظم الاقتصادية وتأثرت من جراء ذلك

انزع من العامل والصانع والتاجر أو أى إنسان أمنه على نفسه وماله وعلى عياله تجده قد شلت كل قواه وأقعد عن العمل

انزع الثقة بين المتعاملين ، سواء أكانوا فى شركة أو جمعية أو تجارة تجد أن مايشتركان فيه من عمل انهار من أساسه

والعوامل التى توجد لنا الطمأنينة ، وتوفر الثقة بين الأفراد ، كثيرة أساسها العامل الأدبى أو الأخلاقى الذى تحث عليه الأديان

فالأديان على اختلافها أدت الى العالم الانسانى أجل خدمة ، تأمر الانسان بفعل الخير ، وتنهاه عن الشر ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

والدين الاسلامى يصدق ماسبقه من الأديان فى الحث على التمسك بالفضيلة ، التى هى أساس المعاملات ، وأساس النهضة الاقتصادية ، والعمل على نشر روح الثقة بين الناس ، التى هى من أكبر أسس النجاح

وهاك بيان أهم الشركات فى القطر المصرى :

بيان أهم الشركات فى مصر

١ – شركة مياه القاهرة

أسست هـذه الشركة فى سنة ١٨٦٥ ومجلس ادارتها بالقاهرة وهى خاضعة لقوانين الحكومة المصرية ، وينتهى الامتياز الحالى المعطى لها من

الحكومة فى سنة ١٩٦٩

٢ – شركة (غاز) القاهرة

هذه الشركة فرع من شركة الانارة بالغاز الفرنسية المركزية (ليبون وشركاه) منحت هذه الشركة امتياز مدّ مواسير الغاز للمحلات العمومية والمنازل فى سنة ١٨٧٣ لمدة ٧٥ سنة

٣ – شركة مياه الاسكندرية

أنشئت هذه الشركة فى سنة ١٨٧٩ واشترت من الحكومة المصرية (وابورات) مياه الاسكندرية وفى سنة ١٨٨٠ اشترت الشركة (وابورات) مياه ضاحية الرمل وعملت عقداً إضافيا مع الحكومه المصرية

٤ – شركة (غاز) الاسكندرية

منحت الحكومة المصرية فى سنة ١٨١٥ الخواجات ليبون وشركاه امتياز انارة مدينة الاسكندرية وضواحيها (بالغاز) وبمقتضى العقود التى وضعت فى سنتى ١٨٩٣ و ١٩٠٩ وقد عدلت الحكومة هذا الامتياز بمنح الشركة حق الاضاءة بالكهرباء

٥ – شركة قناة السويس

منحت هذه القناة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ . وتنتهى مدة امتياز

الشركة فى سنة ١٩٦٩ وقد رفضت الجمعية العمومية فى اجتماعها سنة ١٩١٠ مشروع مد أجل امتيازها

هذا وان نصف أسهمها تقريبا تملكه الحكومة الانجليزية

٦ – شركة لسكة الحديد بالدلتا

٧ – شركة لسكة الحديد بالفيوم الضيقة

٨ – شركة لسكة الحديد بالوجه البحرى الضيقة

٩ – شركة (الترامواى) بالقاهرة

١٠ – شركة واحة عين شمس (هليوبوليس)

١١ – شركة الأراضى والرهنيات المصرية بالاسكندرية ولندن

١٢ – شركة الرهن العقارى المصرى بالقاهرة ولندن

المصارف (أو البنوك)

المصرف هو المكان الذى يودع فيه الناس مايريد على حاجتهم من نقود، ولهم أن يستردوها متى شاؤا، وقد يأخذون ربحا نظير استثمار المصرف لهذه الأموال

ومن شأنه أيضا أن يقرض الأموال للذين يكونون فى حاجة الى الاقتراض، بشرط أن يستوثق مقدما من اقتدارهم على رد مايقترضونه، فاذا وثق من ذلك أعطاهم القرض وحسب عليه فائدة مقابلة انتفاعهم

بالمال المقترض

والغرض من ايداع الأموال فى المصرف هو حفظها فى مكان أمين لكيلا يتمكن اللصوص من سرقتها ؛ لأن المصرف فيه خزائن من الحديد محكمة الصنع ثقيلة الحمل ، بحيث لا يستطيع اللصوص كسرها ولا نقلها ، فضلا عن وجود حراس من الشرطة عليه فى كل وقت صباح مساء

والمشاهد فى البلاد الأوربية أن معظم الأغنياء يضعون أموالهم كلها فى المصارف ؛ لأنهم وثقوا من أن هذه الواسطة تحول دون تبذير المال وتعريضه للضياع

وللمصرف فائدة أخرى وهى سهولة توصيل النقود الى الأماكن البعيدة جدا

فلو أردت أن ترسل من مصر الى صاحب لك فى (باريس) أو (لندن) أو (برلين) أو غيرها مائة جنيه مثلا ؛ فانك لا ترسلها فعلا ، بل تودع المال المصرف ، وتأخذ إيصالا نظير دفع أجرة زهيدة ، وترسل الايصال الى صاحبك داخل مكتوب موصى عليه . فبعد استلامه يصرف من المصرف المحول عليه وقد يتفق أن يكون فى إحدى المدن من يريد أن يرسل لصاحبه أو قريبه فى مصر مبلغا فيتبع معه هذه الطريقة دون أن يرسل المال ، وبذلك لم تتعرض الأموال لخطر النقل والسرقة فى الطريق

وأهم مايقوم به المصرف هو اقراض صاحب العمل كالتاجر والزارع والصانع مايحتاج اليه من النقود على أن يردها اليـه جملة فى أجل معين أو أقساطا على آجال متقاربة على أن يقوم المقترض بدفع فائدة معلومة لا تزيد على ٩ فى المائة تقدر بنسبة المبلغ ومدة أجله

ولا يخفى مافى هذا العمل من تسهيل الأعمال والمعاملات ، وتداول الأموال بين الناس ، وقد قام جماعة من سراة الأمة ومفكريها بتأسيس (بنك مصر) وجعلوا جميع سهومه مصرية ، وليس للأجانب حق الاشتراك فى تأسيسه ، فأقبل المصريون على تشجيعه ، وأودعوا أموالهم فيه وعضدته الحكومة فأودعت فيه جزءاً كبيراً من مالها ، وأناطت به القيام بكثير من الأعمال اللازمة لتشجيع الصناعات الوطنية ، وواصل القائمون به عملهم بجد واهتمام ، فانتشرت فروعه فى جميع أنحاء البلاد تمد الى أهلها يد المعونة وتساعدهم على العمل والنهوض ، حتى أصبح يفوق كثيرا من المصارف الكبيرة بهمة الاستاذ المالى الكبير (محمد طلعت حرب بك) واليك الفوائد التى عادت على الأمة من بنك مصر

(بنك) مصر

وفائدته

فائدة (بنك) مصر تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى

تعود عليه وعلى البلاد بالربح العظيم

فائدته الرحمة بالفلاحين عند الحاجة ، فانه يعطيهم بفوائد معتدلة ومناسبة ، وهو مع ذلك يربح ولا يخسر

فائدته أن يجعل لمصر صوتا فى سوقها المالى ، ويدافع عن مصالحها كما تدافع (البنوك) عن مصالح بلادها

فائدته هو ومشروع النقابات الزراعية ومشروع مستودعات التأمين أن تتحقق فى الوجود الكفاءة المالية التى هى الأساس المتين للرقى المطلوب

وان كانت النقطة الأساسية من انشاء (بنك) مصر المساعدة ؛ ولكن لا تمنح إلا لمن هو أهل لها وجدير بها ليستوى فى ذلك الأشخاص والمشروعات

ولم يكن الغرض من إنشائه محاربة (البنوك) الأجنبية الموجودة فى مصر؛ لأن هذه (البنوك) قد أدت الى البلاد من الخدمات الجليلة مالا يصح نسيانه، وانما الغرض أن يعمل (البنك) على مشاكلة تلك (البنوك) فيستفيد من تجاربها وخبرة رجالها بالأمور المالية، وطول ممارستهم العمل بها، غير أنه يمتازعنها بأمر واحد، وهو أن هذه (البنوك) الأجنبية لا ترمى منذ تأسست إلا الى غرض واحد هو مصلحة المساهمين غير ناظرة الى مصلحة البلاد إلّا فيما يوافق مصلحتها فان

رأت مكسبا جرت وراءه وفتحت أبوابها لكل طالب ، وان توهمت ضررا مقبلا سدت أبوابها عن كل طالب ، فهى بذلك لا تنظر إلّا الى مصلحة المساهمين لاتدخل غالبا مصلحة البلاد فى حسابها ولا تنظر اليها

والغاية الأولى من (بنك) مصر هى نفع البلاد والتخفيف عن الفلاح وانتشاله من ظلم المرابين الذين يتمتعون بعرق جبينه وخيرات أرضه غنيمة باردة ويقرضونه بالربا الفاحش ثلاثين أو أربعين فى المائة ، وأزيد من ذلك فى أحيان كثيرة ، تكون أطيانه مرهونة (للبنك) الى آجال محدودة حتى اذا ماحل الأجل واشتهت أنفسهم من ذلك الربا الحرام أجبروه على بيع أطيانه منهم بما حسن لديهم من الثمن والفلاح يجيبهم الى ذلك مكرها لأن الربا قد أثقل كاهله وألقاه الى الأرض وسد فى وجهه باب الرجاء

وليست فائدة (بنك) مصر مقصورة على الاحتفاظ بتنمية الثروة الأهلية وبقائها فى البلاد ، وإنما هو مدرسة تدرس السياسة الاقتصادية الأهلية الرشيدة التى تقوم على تقدير الحاجات القومية تقديرا علميا صحيحا مبنيا على المشاهدات والاستقراءات العديدة الصحيحة

اشترك (بنك) مصر فى تأسيس مطبعة مصر وفى رأس المال الأولى للشركة المساهمة المصريه لتجارة وحليج الأقطان وهذه الشركة التى وجدت فى السنة الماضية (بوابور) حليج لها فى مغاغة وفى هذا

العام (بوابور) حليج آخر فى المحلة الكبرى وستلحق بأحد (الوابورين) معاصر الزيت والصابون ويلحق بالآخر مصبغ للقطن الصحى النظيف ويهتم مصرف مصر بدراسة وتحضير الأعمال التمهيدية لتأسيس شركة جديدة للغزل والنسيج

وقد أنشأ أيضا شركة مصايد الأسماك التى يحلها لمصر من السويس

ويمكن للجماعات التعاونيه أن يستفيدوا منـه فوائد لاتقدر بواسطة السلف وأن يودعوا أموالهم فيه

فواجب على كل مصرى يقدر الأموال قدرها أن يعمل ماا ستطاع على مساعدة (بنك) مصر بنشر الدعوة الى معاملته ، والاكتتاب فى رأس ماله ومساعدته

وقد قال فى شأنه الشاعر الأديب محمد افندى الهراوى :

أنشأوا مصرف مصر فهو ذخر للبـلاد
فخـذوا منه وأعطوا لاكتساب ، واقتصاد
واحفظوا الأموال فيه من ضياع ، ونفاد
كل مال هو فيـه فلصون ، وازدياد
واليكم ، لو علمتم كل ربح مستفاد
انمـا الدنيا جهاد وهو ميدان جهاد

بيان المصارف الشهيرة بالقطر المصرى

بنك الانجلو اجبسيان ليمتد أسس سنة ١٨٦٤
بنك الخصم الأهلى البار يرى أسس سنة ١٨٨٩
بنك الكريدى ليونيه أسس سنة ١٨٦٣
البنك العثمانى أسس سنة ١٨٦٣
بنك مصر : أسس بموجب أمر عال فى ٣ ابريل سنة ١٩٢٠
البنك الأهلى . أسس بموجب أمر عال فى يونية سنة ١٨٩٨
البنك الزراعى المصرى
البنك العقارى المصرى
بنك الأراضى المصرى بالاسكندرية
بنك روما
البنك الشرقى الألمانى

الأندية العلمية والأدبية

أصل الأندية وتاريخها والغرض منها

إن لفظة نادى أو (كُلُب) بالانجليزية أصلها سكسونى ، ومعناها النصيب أو الحصة أو الجعل الذى يدفعه الشريك أو العضو فى النادى ،

ثم أطلقت على جماعة النادى ، ثم أطلقت على نفس المجتمع أو المكان الذى يجتمع فيه أعضاء النادى

وأول ناد تأسس فى العالم كان ببلاد الانجليز منذ نحو الجيلين ثم تلاه أندية أخرى كان من ضمن أعضائها (شكسبير الاجتماعى الكبير)

وقد أسست النوادى لأغراض مختلفة : فمنها ماجعل لمجرد الرياضة واللهو كالألعاب الرياضية ، وركوب الخيل ، وغيرها من الألعاب المعلومة عند جماعة الانكليز

ومنها ماأسس للآداب والفنون الجميلة ليجتمع فيه الكاتب والشاعر والموسيقى والممثل والمصور وغيرهم ممن تحلوا بالآداب مثل نادى الآداب الذى أسس فى سنة ١٧٨٩ وقد أقيم له عيد فى القرن التاسع عشر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيسه

ومنها ما أسس للجماعات السياسية ، وكل من هذه الأندية خاص بحزب من أحزاب (البرلمان) الانجليزى، وقداشتهرت الأندية بضخامة البناء ، فانها قصور جميلة فسيحة مفروشة بأحسن الأثاث بها مكتبات (كتبخانات) جليلة عظيمة

وقد انتشرت الأندية ببلاد الانكليز انتشارا عظيما حتى صار لكل طائفة من الطوائف ناد خاص بهم ؛ فأهل العلم اختصوا بأندية لهم مثل (اكسفورد كُلُب) و (كامبردج كُلُب) ولرجال الجيش والبحرية

أندية خاصة بهم

ويختلف رسم الدخول فى هذه الأندية من ١٥ جنيها الى ٤٠ جنيها انكليزيا ، وقيمة الاشتراك من ١٠ جنيها الى ٢٠ جنيها ويبلغ عدد المشتركين فيها من ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نفس

وهى بالاجمال ذات ثروة وقوة عظيمة فى البلاد الانكليزية

وقد قلد جماعة الفرنسيس الانكليز فأسسوا أندية فى عصر (لويس السادس عشر) أى فى زمن الثورة الفرنسية ، ولذلك كان أغلبها مخصصا لأغراض سياسية ، إلا أن الأندية الفرنسية سمح فيها للسيدات بالانتظام فى سلك أعضائها بخلاف الأندية الانكليزية

هذا ولما دخلت المدنية الغربية البلاد المصرية وسكنتها الطوائف الغربية أسسوا أندية على شكل ونظام بلادهم فأسس الانكليز (أكلبها الشرق) وأسس الفرنسيون (السركل فرانسيه) وغيرهم أندية أخرى

وقد أسس الوطنيون والأجانب معا (الكلوب الخديوى)

على أن فكرة الاجتماع فى الأندية لم تكن مألوفة عند المصريين لأن لهم أماكن خاصة باجتماعهم من قديم الزمان وهى (المنادر) ولكن تركت الشبيبة المصرية هذه العادة وأحدثت تجتمع فى الأماكن العمومية مثل القاهى ، وهذا الاجتماع لم يعوض مطلقا اجتماعهم القديم (بالمنادر) لأنه كان مقصورا على الأحباء والأصدقاء وأفراد الناس

الذين تربطهم رابطة واحدة ، فكان التاجر يجتمع بالتاجر ، والصانع بالصانع والأمير بالأمير ، والعالم بالعالم ، والكاتب بالكاتب ، والمدرس بالمدرس ، والطالب بالطالب ، وهكذا فأصبح من الضرورى لهذه الشبيبة أن تجتمع فى أماكن خاصة بها ، وبكل طائفة منها ، فلهذا أسسوا نادى الطلبة الذى سيأتى ذكره وتاريخ تأسيسه

نادى المدارس العليا

تاريخ انشاء النادى والغرض منه

رأى حضرة الدكتور الفاضل عبد العزيز بك نظمى صاحب مجلة الحكمة والطبيب الشهير بمضاء العزيمة وثاقب الرأى أن شبان المدارس العليا والتجهيزية فى حاجة كبرى الى ناد يلم شعثهم ويجمع كلمتهم ، ويغنيهم عن التحلف الى القاهى العمومية التى كثيرا ماتكون علة غالب المصائب وسببا لسقوط الكثيرين فى مهاوى الفساد التى تذهب بهم الى حضيض الذلة والهوان ، فأخذ يستحث طلاب المدارس العالية على انشاء ناد خاص بهم دون سواهم ، طورا بنشر المقالات فى الجرائد وطورا بلسانه فى المجتمعات ، حتى تولدت من ذلك حركة فكرية جعلت للمشروع أهمية كبرى وشأنا عظيما

فلما رأى أن هناك ميلا كبيرا الى إنشاء هـذا النادى دعا طلبة

المدارس العليا الى اجتماع فلبى دعوته الكثيرون منهم وعقدوا فى اليوم العاشر من شهر ستمبر سنة ١٩٠٥ أول اجتماع فى محل عيادته ، ثم أخذوا يعقدون مثل هذه الاجتماعات على التوالى ناشرين خلاصة أعمالهم على صفحات الجرائد السيارة

وكان الغرض الأول من تلك الاجتماعات الاهتمام لجمع النقود اللازمة لانشاء النادى وسن قانون نظامى له ، لأن عملا كبيرا مثل هذا النادى يستلزم ولاشك مالا وفيرا ليكون فى مأمن من عوادى الدهر وفى حرز أمين من السقوط العاجل

ولما توطد الأمل بانشاء النادى وجمع من التبرعات ما يكفى لاظهاره عقدت جمعية عمومية فى قاعة مدرسة الطب لانتخاب ادارة جديدة له فكان من حسن الحظ أن وقع الانتخاب على خيرة رجال القطر من أولى الفضل ، فتألف المجلس من أعضاء كرام اذا ذكر الواحد منهم كان عنوانا للفضل، ومثالا للأدب ومكارم الأخلاق، نخص بالذكر منهم

المرحوم عبد الخالق باشا ثروت ، المرحوم على باشا أبو الفتوح ، المرحوم على بك حسنى ، المرحوم عمر بك لطفى ، محمد على بك دلاور ، الدكتور عبد العظيم نظمى (صاحب المشروع) حافظ باشا عفيفى (وزير الخارجية سابقا)

ولما تم انتخاب المجلس الدكتور أخذ يوالى اجتماعاته حتى تمكن

فى وقت قريب من اختيار المحل المناسب للنادى ثم عين لجنة فرعية لتنقيح القانون وندب أخرى للاهتمام بشراء مايلزم للنادى من المروشات والأثاث

ولما استلم المرحوم عمر بك لطفى زمام هـذا النادى رأى أنه من الواجب على أعضائه ومؤسسيه أن يعتمدوا على أنفسهم بأنفسهم ، وأن ينشئوا هـذا العمل الوطنى المجيد الذى هو الأول من نوعه عالمهم دون الاحتياج الى معونة أحد

وعلى ذلك جمع سعادته فى أيام قليلة مبلغا عظيما أصدر به ألفى سهم وجعل قيمة السهم الواحد جنيها

ثم وزعت هذه الأسهم على حضرات الأعضاء ، وبذلك توصل الى أن يجعل هذا النادى من أحسن النوادى نظاما وأجملها ترتيبا بل تمكن من افتتاحه رسميا فى اليوم الخامس من ابريل سـنة ١٩٠٦ فى حفلة سامية زاهرة حضرها سعادة المرحوم فخرى باشا ناظر المعارف وقتئذ وسعادة يعقوب أرتين باشا وكيلها ونظار المدارس وكثيرون من كبار الأمة وأعيانها

ولما انتظم عقد حفله الافتتاح وقف سعادة الرئيس المفضال وألقى الخطبة الآتية

ياعطوفة الناظر ، أيها السادة

بكل سرور أتقدم بالنيابة عن أعضاء هـذا النادى معلنا افتتاحه اليوم سائلا له العمر الطويل والنفع الجزيل ان حاجة الشبيبة المصرية الراقية لاتحتاج اليوم الى إقامة الدليل ، فان جميع الأمم الحية أسست أمثال هذا النادى لأغراض مختلفة أهمها ترقية المدارك بالمباحث العلمية والأدبية والفنية ، وبكل ماتنقضى به ساعات الراحة فى رياض العقل والروح ، مع التباعد عن الملاهى الحاطة بكرامة النفس ، المضعفة لمكارم الأخلاق

وانا معشر أعضاء هـذا النادى لسنا فى الحقيقة إلّا أفرادا جمعتنا رابطة الإخاء الشريف العالى (رابطة العلم) ولهـذا أرى أن اجتماعنا لابد منه

واننا لا نرتاب فى أن أول من يسر بوجود هـذا النادى هم رجال معارفنا الذين يعود عليهم فخر هذا العمل

هذا وانى أرفع شكرى لحضرات كبار رجال نظارة المعارف، وجميع من تكرم بمساعدتنا ماديا وأدبيا ، وانى أعد نفسى مقصرا اذا لم أبدأ اليوم بشكر حضرة الدكتور البارع عبدالعزيز نظمى مبتكر هـذا المشروع الجليل وأول الساعين فى ايجاده إذ يغنيه عن الشكر سروره بتحقيق أمنيته

ولاشك أنكم ترون مثلى أن هذا اليوم هو من أسعد أيام حياتنا لأنى

فيه أعلن افتتاح أول ناد للشبيبة المصرية

وما كاد هـذا النادى تفتح أبوابه لقاصديه حتى تقدمت طلبات الاشتراك بكثرة متوالية الى حـد حمل مجلس الادارة يفكر فى نقل النادى من محله الى مكان آخر مساحته ضعف مساحة المكان الحالى ليكون ذا متسع كاف لحضور جميع المشتركين

ولقد أظهرت الحكومة ميلا كبيرا لتعضيد هـذا النادى منذ افتتاحه بحضور صاحبى السعادة ناظر المعارف ووكيلها ومستشارها ووكيل المالية

ولم تكتف بهذه المظاهرة الأدبية فقط بل رضيت منح النادى قطعة أرض فضاء فى الجزيرة لتكون مسبقا لأعضائه فى الألعاب الرياضية

« عن مجلة المجلات العربية »

« السنة السادسة »

الأندية الاخرى

بعد نادى المدارس العليا أنشئت أندية كثيرة نذكر أهمها وأشهرها :

١ – نادى التجارة العليا · تأسس بالقاهرة سنة ١٩١٨ وغرضه تكوين رابطة بين أعضائه أساسها الاخاء والتضامن وترقية حالتهم علميا

وأدبيا وماليا

٢ – نادى الحقوق بالقاهرة : تأسس سنة ١٣٤٢ هـ – ١٩٢٤ م وغرضه تكوين رابطة بين رجال القانون أساسها الاخاء والتعاون على ترقية حالتهم الأدبية والاجتماعية

ووسائلها تسهيل الاجتماع فى مكان لائق والقاء المحاضرات العلمية والأدبية ونشرها ، وبالجملة العمل على كل مافيه نفعهم

٣ – نادى خريجى مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة

٤ -- النادى الزراعى

٥ - النادى الشرقى

٦ — نادى الموسيقى الشرقى

٧ - نادى الألعاب

٨ — النادى الأهلى للرياضه البدنية

٩ - نادى محمد على وهو مؤسس من قديم وخاص بالعظماء والأمراء وكبار رجال الدولة المصرية

النادى المصرى (بلندن)

النادى المصرى فى لندن من أجل الأندية يؤمه عدد عظيم من المصريين ويساعد كثيرا فى حفظ سمعة مصر الأدبية فى الخارج

وقد كلف تأسيس النادى وفرشه وتوفير أسباب الراحة أموالا طائلة لكنها أموال أنفقت فى سبيل اعلاء شأن المصريين فى الخارج واظهار الشبيبة المصرية مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، أمام شبان البلدان الأخرى

ويوجد به غرفة للمطالعة وضعت فيها الموائد والمقاعد فى اليسار ، وفى الجهة اليمنى منها جزء من مكتبة النادى التى تحتوى على الكتب والمؤلفات المفيدة عن مصر والبلدان الخارجية ، ويقضى أعضاء النادى أكثر أوقاتهم فى هذه الغرفة لمطالعة أخبار الوطن العزيز والوقوف على سير الأحوال فيه . ويصل الى النادى معظم الصحف والمجلات المصرية والخارجية

وقد فرش النادى على الطراز الحديث وبدا فى حلة جميلة ويعدونه من أفخر الأندية فى (لندن)   « المصور رقم ١٠٦ »

« فى ٢٢ - ١٠ - ١٩٢٦ »

نادى اتحاد الطلبة العام

ان فريقا كبيرا من طلبة المدارس الثانوية والخصوصية والعليا فكروا بمعاونة جماعة من الأساتذة فى تكوين ناد لهم بعنوان ، نادى اتحاد الطلبة العام

وجهته أدبية محضة فلا يتعرض للسياسة ولا يشتغل بها . وقد خصصت شعبة منه للأدب والتأليف وتسمى لجنة الكتاب ، وأخرى للتمثيل والموسيقى وتسمى لجنة الفنون الجميلة ، وثالثة للتعاون ومهمتها معاونة الطلبة الذين لاتمكنهم ظروفهم من مواصلة الدراسة

فأنعم بأغراض هذا النادى ، ووفق الله أعضاءه لما فيه النجاح والفلاح

« الاهرام »

فى أول مارس سنة ١٩٢٩

واجبات المرء نحو الانسانية

المؤاساة

المؤاساة هى أن تخفف كرب الصديق وغيره بالتسلية والتعزية والنصح والهداية الى وسائل الراحة والسرور

ولابد من شكوى الى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وذلك يقضى على المرء أن يحامل صديقه فى ضرائه قبل سرائه ، وأن يصحبه فى شقائه كما فى سعادته ، وأن يسعى جهده بمجاملة البائسين الذين هم دونه فى أوقات شدتهم ومحنهم وغمهم ، وأن يظهر شعوره بمصيبة كل من يحيط به

وبذلك يخفف عنهم بعض همومهم ومصابهم وبكلمة طيبة منه وسداد

نصحه وحكمة ارشاده يزيل مابقى عندهم من ألم وهمّ

فادا رأيت معسرا فساعدته بمالك ، أو مظلوما فنصرته بجاهك ، أو مكروبا فنفست كربته ، أوفقيرا فأحسنت اليه ، أو يتيما فأحسنت تربيته ، كنت من أهل المؤاساة ، وصرت محببا إلى قومك ، معظما فيهم ، منشرح الصدر ، مستريح الفؤاد ، لتأدية الواجب الانسانى ، وارضاء رب العباد

فمن قام بواجب المؤاساة نال الثناء الجميل ، والأجر الجزيل ، فضلا عن ارتياح نفسه ، وسرور قلبه ، وزوال ألمه النفسانى ، عند شعوره بشقاء غيره ومواساته له

ولما كان أحسن الأعمال ما كان خالصاً لوجه الله الكريم ، خالياً عن كل غرض كبير أو صغير ، وأقدس الأمور ما كان فى صالح الانسانية بصفة عامة ، تخفيف ويلاتها ، أو تفريج كربها ، ومساعدة المحتاجين والأرامل من أبنائها ، وتعليم الفقراء النجباء ، وإيواء الأيتام ، وحماية المتشردين من الأحداث المهملين الذين أحاطت بهم عوامل الفساد ، والذين ان تركوا جعلتهم الظروف شراً ووبالا على البلاد ، وخطرا جسيما على العباد ، قامت فى مصر جمعية برياسة المغفور له حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ عبدالعزيز جاويش بك وتأسست فى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٢٦ هـ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م بعنوان (جمعية المؤاساة الاسلامية العامة)

تلك طائفة من أعمال الجمعية المذكورة التى أوجدها الله منذ

عشرين عاما تسعى فى خير الانسانية ، وتدأب على ازالة شرورها ، وتقليل مصابها ما استطاعت عاملة على إيجاد رابطة التعاطف والتراحم بين الفقراء والأغنياء

وقد تولى رئاستها الآن حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد على البلاوى نقيب الأشراف بالديار المصرية

وقد تولى رعايتها مليك البلاد المحبوب (فؤاد الأول) نصره الله وحفظه وأبقى سمو ولى عهده الأمير (فاروق) ذخراً للبلاد ، وسنداً للعباد

ذكر ماقيل فى المؤاساة

الآيات

قال الله تعالى : وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ *

وقال تعالى · مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

وقال تعالى : وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

وقال تعالى · وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

الأحاديث

قال عليه الصلاة والسلام : اتخذوا لدى الفقراء أيادى فان لهم دولة عند الله يوم القيامة

وقال صلى الله عليه وسلم · إن حقاً على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد للرأس

أقوال الحكماء والأدباء

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاتصغرن هممكم فانى لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم

وقال ابن عائشة القرشى · لولا أن المروءة صعب محملها لما ترك أصحاب اللؤم منها شيئا

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : صدق اللسان ، ومؤاساة الاخوان ، وذكر الله فى كل مكان

وقال بعض الحكماء من المروءة أن يبذل الانسان لك ماله عند الحاجة ، ونفسه عند النكبة ، ويحفظك عند المغيب

وقال بعض الشعراء :

وأسعد العالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه

ومن أغاث البائس الملهوفا أعانه الله اذا أحيفا

قصيدة

ألقاها فى حفلة جمعية المؤاساة الاسلامية بدار (الأوبرا) الملكية فى ٣ رمضان سنة ١٣٤١ هـ - ١١ ابريل سنة ١٩٢٢ الحاج محمد الهراوى افندى رئيس الحسابات والمستخدمين بدار الكتب المصرية

يابنى مصر وما أدعو سوى   أمة فى المجد تمضى دأبا
إن للبرّ عليكم حقه   مثل ما للمجد حق وجبا
هل أتاكم نبأ عن بائس   لم يزل يطوى الليالى سغبا
وعزيز ذل من بعد الغنى   عزه الميسور مهما طلبا
ويتيم فاته كافله   فقد الأم صغيرا والأبا
وأب مد ضاق بالعيش يدا   ضاقت الدنيا عليه مذهبا
وعجوز ثكلت واحدها   فالتوى السعى بها واضطربا
وحَصَان فى الحيا محجوبة   هتك البؤس عليها الحجبا
ولقيط أنكرته أمه   لا لعار بل لعيش نصبا
وطريد لايعى مما به   حين يمشى أآتى أم ذهبا
ومعنّى تحت أعباء الصبا   قد تخلى الناس عنه هربا
وصريع عاله صرف الردى   لم يجد فى الموت حجرا حربا
هذه طائفة من بينكم   يابنى مصر تذوق العطبا

اهبا يامكرمى أضيافكم لم تنل منكم نصيب الغربا
أى عار يحمل النيل اذا هان قوم وهو يجرى ذهبا

الحاج محمد الهراوى

أمثال فى المؤاساة

١ — كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه معروفاً باللين والرحمة والعطف ، يواسى الفقراء ، ويقضى حوائجهم ، وكان يطوف بنفسه بالليل والناس نيام ، علّه يجد مظلوماً فينصره ، أوضالا فيرشده ، أو بائساً فيطعمه ، أو يتيما فيؤويه

ومما يؤثر عنه : أنه خرج ذات ليلة مع صاحبه أسلم يطوف أنحاء المدينة كعادته ، فرأيا نارا على بعد ، فقصدا اليها ، فوجدا امرأة جالسة توقد ناراً تحت قدر وحولها صبية يبكون

فسألها عمر عن سبب بكائهم ، فقالت : الجوع

قال : وماذا فى القدر ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا

فخرج من عندها وذهب إلى بيته ، فحمل دقيقاً وسمناً ، وسارحتى وصل اليهم ، فوضع الدقيق والسمن فى القدر ، وصار ينفخ عليها النار والدخان يتخلل لحيته حتى نضج الطعام فوضع لهم وجلس يؤاكلهم ويلاطفهم حتى شبعوا وضحكوا وناموا

٢ – مات عامل فقير ذو أسرة كبيرة وليس فيها من يعولها ، فحملت الرأفة والرحمة جاره فكان ينفق على هذه الأسرة كما ينفق على أسرته ، ويراعى أطفالها كما يراعى أطفاله حتى بلغوا أشدهم ، وقدروا على الكسب ، فقاموا بواجبهم ، وشكروا لجارهم رأفته ومؤاساته لهم

٣ – اشتعلت النار فى بيت باحدى القرى ، وسدت المسالك على من فيه ، فلم يتيسر لهم الخروج منه فصعدوا على سطحه وأخذ الأطفال يبكون والنساء يصحن يطلبن النجدة والغوث ، والناس يحاولون إطفاء النار ولا يجرءون على الدنو من البيت لانقاذ من فيه

فألهمت الرحمة صدر أحد الأغنياء الرحماء ، فتبرع بمائة دينار لمن ينقذ هذه الأسرة البائسة المسكينة ، فانبرى لذلك شجاع باسل وخاطر بنفسه حتى أنقذهم ، فشكره الناس على عمله ، ونقده ذلك المحسن مائة دينار ، فأبى أخذها وقال :

كلا بل فعل الواجب عليه ، أعطها هؤلاء الناس فتخفف آلامهم وتسهل مصابهم ، ففعل واستحق الاثنان من الناس الثناء الجميل ، ومن الله الأجر الجزيل

الرحمة والعطف

الرحمة سرّ من الأسرار الالهية أودعه الله فى قلوب عباده يدفعهم به

إلى عمل الخير والبر ، وينهاهم عن الغلظة والقسوة

الرحمة هى الشعور بمصائب الغير، والميل إلى مساعدته واسعافه ، وهى من الصفات الجليلة التى حثّ الله عليها وأوجبها الشرع ، وجميل الطبع ، حتى ان الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه فقال .

« إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ »

وقال تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ »

ووصف بها نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فقال .

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (أثمتم) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ »

وقال ﷺ . من لايرحم لا يرحم . ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم لاتنزع الرحمة إلّا من قلب شقى

وقال عليه الصلاة والسلام خاب عبد وخسر ، لم يجعل الله تعالى فى قلبه رحمة للبشر

وقال عليه الصلاة والسلام لايدخل الجنة إلّا الرحيم

وقال عليه الصلاة والسلام : الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء

أما العطف أو العاطفة ، فهو الشفقة التى تحرك الانسان لفعل الخير وتبعده عن ارتكاب الشر والأذى سواء للانسان أو للحيوان

مثال من عطف سيدنا عمر ورحمته بالضعفاء المحتاجين

خرج سيدنا عمر بن الخطاب فى سواد الليل فرآه طلحة ، فذهب عمر فدخل بيتا ، ثم خرج ، ودخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت ، فاذا به عجوز عمياء مقعدة فقال لها . ما بال هـذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا ، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى ، فقال طلحة : ثكلتك أمك ياطلحة ، لعثرات عمر تتبع

فانظروا رحمكم الله كيف كان سيدنا عمر ، أمير المؤمنين رضى الله عنه ، يقوم بمصالح هذه المرأة العجوز وحدهتها ، ويحضر لها ماتحتاج اليه رحمة وشفقة بها ، فجزاه الله خير الجزاء

مثال آخر

روى أن عبد الرحمن بن عوف بينما هو يصلى فى بيته ليلاً إذ جاءه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عبد الرحمن : ماجاء بك ياأمير المؤمنين فى هذه الساعة ؟

فقال عمر إن رفقة نزلوا فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة، فانطلق لنحرسهم ، فخرج معه عبدالرحمن حتى أتيا السوق، فجلسا

على حجر هناك يتحدثان ، ويحرسان القوم المسافرين

فانظروا رحمكم الله الى عطف سيدنا عمر حتى بالأجانب المسافرين في بلده

مثال من الشفقة بالانسان

حكاية صلاح الدين مع المرأة التى خطف ولدها

فى زمن صلاح الدين الأيوبى كان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام العدوّ فيسرقون منهم الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة أشهر وساروا به حتى أتوا الى خيمة السلطان وعرضوه عليه ، وكان كل ماياخذونه يعرضونه عليه ويعطيهم ما أخذوه

ولما فقدته أمه باتت حزينة كئيبه مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها الى ملوكهم فقالوا · ان صلاح الدين رحيم القلب ، وقد أذنّا لك فى الخروج، فاخرجى واطلبيه منه، فانه يرده عليك فخرجت تستغيث الى اليزك (الحرس) فأخبرتهم بمسئلتها فأطلقوها وأنفذوها الى السلطان ، فلقيته وهو راكب وفى خدمته خلق عظيم فبكت بكاء شديدا ومرغت وجهها فى التراب ، فسأل عن قصتها فأخبروه فرق لها قلبه، ودمعت عينه، وأمر باحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع فى السوق ، فأمر برده ودفع ثمنه الى المشترى ، وأخذه منه ، ولم يزل

واقفا حتى أحضر الطفل وسلم اليها ، فأخذته وبكت بكاء شديدا وضمته الى صدرها ، والناس ينظرون اليها ويبكون ، فأرضعته ساعة ثم أمر لها ، فحملت على فرس وألحقت بمعسكرهم مع طفلها فهذا مثل من شفقة صلاح الدين ورحمته وشهادة الأعداء له

الولد الشفيق

كان صبى حديث السن سائراً فى بعض الأيام الى المدرسه وقت الصباح بجد ونشاط وسرعة ، لأن المعلم أوصاه بالحضور فى الوقت المعين للدراسة ، وكان منزله بعيداً عن المدرسة ، فحافظ على عدم مخالفة معلمه

وبينما هو سائر إذ رأى رجلا فى الطريق ، تظهر عليه علامات الفقر وسوء الحال ، فوقف عنده برهة قليلة ، فطلب هذا المسكين منه إحسانا لأنه كان جائعاً جوعاً شديداً حيث لم يتناول شيئاً من الطعام منذ يومين فرق له قلب هذا الشاب النشيط الحسن الخلق وأعطاه رغيفاً كان اشتراه لنفسه . ثم جد فى السير نحو المدرسه بعد أن حرم نفسه من الطعام لأجل هذا الفقير الذى أضرَّ به الجوع ، فدخل مكتبه ووجهه يلوح عليه الفرح والسرور بما فعله من الاحسان ، وأدى دروس ذلك اليوم بنشاط لم يعهد فيه فى سابق أيامه

ولما رجع وقت المساء إلى المنزل قص على والدته مافعله ، فضمته اليها

وعانقته وشكرته على جميل فعله ، وقالت له . إن الولد الشفيق ، الرحيم القلب يوده الناس، ويحبونه حباً شديداً ، ومن اجتهد فى العمل الصالح يسعد فى الدنيا والآخرة

مثال من رحمة الحيوان بالحيوان

وليست الرحمة بخاصة بنى الانسان ، فان الحيوانات أيضاً تتراحم ويواسى بعضها بعضا

فقد روى أن طائفة من علماء الأزهر كانوا يفطرون فى مساء رمضان على سطح بعض أروقة الجامع، فغشيهم هر ، فكانوا يلقون اليه من طعامهم المرة بعد المرة وهو فى كل مرة يغيب ، ثم لايلبث أن يعود ، فرابهم أمره ، وتبعوه ، واذا به يلقى مايأخذ من الطعام بين يدى سنور كبير أعمى فى بعض الخربات، فوقفوا حيارى، ومجدوا الرب تعالى الذى رحم العالمين بايجاد عاطفة الرحمة فى نفوسهم ، ولولاها لأصبح الكون خراباً ، ولكانت الحياة فيها عذاباً

الرفق بالضعيف

الرفق هو معاملة جميع الناس بالرأفة ولين الجانب، والابتعاد عن القسوة والغلظة ، والعطف على البؤساء والضعفاء ، واستعمال الشفقة والرحمة مع جميع

المخلوقات، لافرق بين إنسان وحيوان ، وهومن دواعى الألفة والتواصل، وسبب إلى السلام والوئام ، وعماد السعادة وأس النظام ، ولذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ : (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

وقال رسول الله ﷺ · إنّ الله يحبّ الرفق فى الأمر كلّه

وقال عليه الصلاة والسلام · من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من الدنيا والآخرة

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ما كان الرفق فى شىء إلّا زانه ، ولا نزع من شىء إلّا شانه

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على سواه

وقال أيضا · اذا أحب الله أهل بيت أوصل اليهم الرفق

وقال أيضا من يحرم الرفق يحرم الخير كله

وقال بعض الحكماء · يدرك بالرفق مالايدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته

وقال بعض العقلاء : يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ، ويد الخرق تغرس شجرة الندامة

وقال أبو الفتح البستى

ورافق الرفق فى كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذممه انسان

ولا يغرنك حظ جرّه خَرَق فالخرق هدم ورفق المرء بنيان

وقال النابغة الذبياني :

الرفق يُمن ، والأناة سعادة فاستأن في رفق تلاق نجاحا

فاذا مررت في طريقك بأعمى أو عاجز أو كبير السن فساعده حتى يصل سالما الى المكان الذي ينشده

واذا رأيت ضعيفا فقيرا فواسه ، وارفق به ، وساعده بمالك

واعلم أن الانسان في حياته عرضة لمصائب الزمن ، وتقلبات المحن ، فقد يصاب في جسمه ، أو في ماله ، أو في قوته ، فيصبح محتاجا الى من يعطف عليه ، ويرفق به

حكاية في الرفق

حكى أن رجلا يدعى عامرا ، وكان واليا من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، دخل عليه فوجده مستلقيا على ظهره ، وصبيانه يلعبون على بطنه ، فأنكر عليه ذلك

فقال له عمر رضى الله عنه : كيف أنت مع أهلك ؟

قال اذا دخلت سكت الناطق

فقال له عمر . اعتزل ، فانك لا ترفق بأهلك فكيف بأمة محمد ﷺ

حقوق الحيوان وواجب الرفق به

الشعور بالرفق مع الغير لاينحصر بين الانسان والانسان فقط ؛ بل علينا حقوق وواجبات نحو الحيوان غير الناطق الذى لايستطيع التذمر والشكوى من صرامة معاملتنا له ؛ ولكنه يشعر بالآلام والأوجاع مثلنا ، والرفق به واجب ، ودليل بلوغ الانسانية فينا شأنا راقيا

وإذا كان من واجب الانسان الشعور بالرفق مع من هو أقدر منه كان أحرى به الشعور به مع الضعفاء الذين لايتمكنون من الدفاع عن كيانهم ، فان الرفق بالضعيف دليل جمال النفس وشهامتها

وبما أن الحيوان الأعجم أضعف منا فمن واجبنا الاهتمام والرفق به

وبما أن الانسان قد فضل على سائر الحيوان بما خص به من مزية العقل الذى يتصرف به فى جميع الأشياء، فسخرالله له الحيوان ليخدمه فى منافعه وقضاء لوازمه وركوبه ، وأوجده ليتخذ قوته من ألبانه ولحومه ، ويصنع من أصوافه وأوباره ملابسه وأغطيته وفرشه

ومن حيث إننا نرى بأبصارنا أننا نجنى منه كل هذه الفوائد العظيمة والمنافع الكثيرة، فمن الواجب علينا أن نرفق به ونشفق عليه، فلانحمله مالا يطيق، ولانعذبه بالضرب أو الجوع أوالعطش، وألا نمثل بخلقته ، فلانقطع أذنابه أو آذانه، أو أى عضو من أعضائه ، لأن ذلك قدحرمه علينا الدين

ونهانا عنه سيد المرسلين ، حيث قال عليه الصلاة والسلام ·

« من مثل بحيوان (أى غير خلقه) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »

وقال عليه الصلاة والسلام من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة

وقال عليه الصلاة والسلام · إتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة ، (اركبوها صالحة) أى اعلفوها وأريحوها حتى إذا ركبتموها وجدتموها صالحة للركوب ، وجديرة أن توصلكم الى حيث تقصدون

وقوله : (وكلوها صالحة) أى أحسنوا خدمتها وتعهدها بالعلف والرى وخصب المرعى فتسمن وتصلح للأكل

وقال أيضاً إذا ركبتم الدواب فأعطوها حقها من المنازل ولا تكونوا عليها شياطين

أى انزلوا عنها وأريحوها فى الطريق المرة بعد المرة ، ولا تلزموا ظهورها حتى تتعبوها وتنهكوا قواها ، فتكونوا شياطين ، وكل مؤذ شيطان

وأبلغ ما قيل فى الحض على الرفق بالحيوانات ، وعرفان قيمتها ، وشكر الله على الانعام بها قوله تعالى

وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ولَكُمْ

فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ »

فيجب علينا أن نتبع أمر الله ورسوله ، وما يطلبه منا العدل والرأفة فنشفق عليه ، ونعطيه ما يحتاج اليه ، من المآكل والمشارب ، حتى نحفظ ذلك الجميل ، ونقضى عليه مصالحنا

فضلا عن أن معاملتنا الحيوان بالرفق تزيد انتفاعنا منها ، فالحلاب من الحيوان يزداد بالرفق حليبه ، والخيل والبغال والحمير والابل يزداد نشاطها ، والجاموس والبقر والمعز والغنم تزداد لحومها وينمو صوفها ووبرها

والقانون المصرى يحمى أنواع الحيوان ولا يعتبرها مجرد آلات بدليل أنه يحظر على الفلاح أن يقسو على دوابه

منشأ جمعية الرفق بالحيوان

حدثنا التاريخ عن أمير المؤمنين المعتصم أحد خلفاء الدولة العباسية أنه رأى ذات يوم وهو على جواده كلبا مكسور الساقين يلهث من شدة العطش ، فدفعه الرفق بالحيوان الى النزول عن جواده فنزل وصار يغترف بيديه من النهر ويسقيه ، حتى حرك الحيوان ذنبه شكرا له على بره بعد أن روى ظمأه

ولما عاد الى عاصمة ملكه جمع الأمراء والأغنياء وألف تحت رعايته (جمعية الرفق بالحيوان) لأول مرة فى التاريخ

وقد تأسست بمصر من عهد طويل جمعية الرفق بالحيوان ولها عربات خاصة لنقل الحيوان المصاب لعلاجه بالمستشفى المعدّ لهذا العرض ، وهى الآتى ذكرها :

جمعية الرفق بالحيوانات بالقطر المصرى

ابتدأت هـذه الجمعية فى سنة ١٨٩٤ وسارت فى أعمالها حسب قرار وزارة الداخلية الذى حرّر لصالحها كى تتغلب على مسئلة القسوة نحو الحيوانات بالقطر المصرى

وقبل سريان هذا القرار كان فقراء الأهالى وجهّالهم لايشعرون بأن للحيوانات حقوقا من العناية ، وزيادة الرفق بها

وكانت الحيوانات إذ ذاك عرضة للتعذيب ، وسوء المعاملة الدائمين ، وكان من المستحيل إحداث أى تحسين لحالها نظرا لخلو القانون من مثل هذه المسائل

وكان غرض الجمعية من عهد نشأتها - اتكالا على محبي الحيوانات - السعى فى تعليم كيفية العناية والرفق بالحيوانات

والغرض الأصلى للجمعية هو تخليص الحيوانات المسكينة التى تُرى غالبا فى شوارع القاهرة بحالة تألم ثم إن سبب هذه الآلام هو على الأكثر

جهل للمالك أو السواق ؛ إلّا أن الجمعية تجتهد فى الأحوال التى من هذا النوع حال مباشرتها فى معالجة الحيوانات باعطاء المالك أو السواق التعليمات اللازمة بزيادة المراعاة والرفق فى المستقبل

واذا كان الألم مسببا عن تعذيب الحيوانات بغير موجب بواسطة السواق أو المالك ، فالجمعية تباشر معالجة الحيوان ، وتعاقب السواق أو المالك بحسب قدر الجريمة

حكايات وأمثلة فى الرفق بالحيوانات

١ – قيل: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا مع بعض أصحابه فجاءت حمامة ترفرف فوق رأسه منزعجة خائفة ، فقال لأصحابه · من آذى هذه الحمامة ؟

فقال أحدهم · أنا أخذت بيضها

فأمره الرسول برده الى مكانه شفقة عليها

٢ – ورأى مرة قطة عطشى ، فأمال اليها الاناء بيده الشريفة حتى شربت وانصرفت

٣ – وروى أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت فى سفر مع رسول الله ﷺ فركبت بعيرا وفيه صعوبة ، فجعلت ترده وتأمر نصربه فقال لها رسول الله : ياعائشة عليك بالرفق

٤ — وربط الزمخشرى (أحـد كبار العلماء) وهو صغير رجل عصفور بخيط طويل ، وأخذ يلعب به حتى قطع رجله ؛ فلما كبر سافر الى بعض البلاد الباردة فأصاب رجـله برد شديد فتلفت وقطعت ، فنال بذلك سوء معاملته للعصفور

مثال من الرفق بالحيوان

بلغ الامام أحمد بن حنبل أن رجلا وراء النهر يروى أحاديث ثلاثية فرحل الامام أحمد اليه ، فلما ورد عليه وجده يطعم كلباً ، فسلم عليه الامام أحمد رضى الله عنه ، فرد عليه السلام ، ثم اشتغل باطعام الكلب ولم يقبل على الامام ، فوجد الامام أحمد فى نفسه شيئاً إذ أقبل الرجل على الكلب ولم يلتفت اليه

فلما فرغ الرجل من إطعام الكلب التفت إلى الامام وقال : لعلك وجدت فى نفسك شيئاً إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ؟

قال : نعم

فقال : حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة

ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه

فقال الامام أحمد : يكفينى هذا الحديث ثم رجع

يستخلص من هذه الحكاية مقدار الرفق بالحيوان ، وأنه اذا قصد حيوان انسانا ، فعليه أن يعطيه شيئاً ولا يؤذيه

الشفقة بالحيوان

رأى المغفور له ابراهيم باشا خديوى مصر سابقا يوماً حماراً يأكل والى جانبه حماره وعلى ظهر الحمار حمل ثقيل

فقال ابراهيم باشا للحمار . كم يأكل حمارك كل يوم ؟ قال . ثلاث أقات شعير

فأمر ، فأتى بالشعير ووضع فى معلف الحمار ، ثم قال لمن حوله : ضعوا هذا الحمل على ظهر صاحبه ففعلوا ، فأخذ الحمّار يستغيث من ثقل ذلك الحمل

فقال له ابراهيم باشا لأتركنك فى هذه الحال حتى ينتهى الحمار من أكله ، فانك كما جاريت تجارى

فالواجب الرفق بالحيوان

إذا أردت أن لا تؤذى فلا تفعل الأذى

كان صبي شرير قاسى القلب من عادته أن يخرج الطيور من أعشاشها ويفقأ عيون بعضها فرحا مسروراً ، وكانت أمه كثيراً ما تنهاه عن ذلك وتوبخه قائلة له :

أيها الولد الشقى ، اسمع نصيحتى واعمل بها ، وهى أن تبتعد عن هذه الشقاوة ، ولا تؤذ الطيور فى أوكارها وتب إلى الله وإلّا حلت بك عقوبته ، فكان الصبى الشقى يضحك سرّا من انذار والدته الصالحة ويزداد قساوة

ففى يوم من الأيام انطلق الى الغابة، وصعد على شجرة عالية كبيرة حداً ، وأخذ يبحث فى عش فيها عن طيور صغيرة ، وخطف من العش فرخاً وألقاه الى الأرض بعنف وشدة

فلما أراد أن يأخذ الطيور الصغيرة الأخرى ، وإذا بأبيها وأمها اللذين كانا من الطيور الجارحة المخيفة هجما عليه، وفقآ عينيه بمنقارهما، فسقط على الأرض مغشياً عليه ، ومات غير مأسوف عليه

ولقد صدق من قال . إذا أردت أن لا تؤذى ، فلا تفعل الأذى

عبد الله والعصفور

خرج عبدالله يوماً للتنزه فى حديقة بيته ، فرأى عُشًّا على رأس شجرة عالية وفيه عصافير صغيرة تشقشق . ولما سمع صوتها أراد أن يأخذ واحداً منها ، فصعد فى سلم على الشجرة حتى وصل إلى العش ومدّ يده اليها فصاحت العصافير خوفاً وفزعا ، ولكن قلبه مارقّ لحالها ، بل أخذ منها واحداً ونزل به وهو يسمع صراخ العصافير الأخرى ، كأنها تبكى على فراقه ، وأخذ يقبله ويلعب به ، ولم يعلم ما يقاسيه من الألم والحزن على فراق أهله ؛ بل سار مسرعا والعصفور بين يديه يصيح ويتلوى ويضرب بجناحيه ولا مغيث يغيثه

قابل عبدالله أباه فى البيت وأراه العصفور ، فأخذه الرجل فى يده وقال .

هذا عصفور جميل يا عبد الله من أين جئت به ؟

فقال الولد : وجدته فى عش فى الحديقة مع أهـله فصعدت على الشجرة وأخذته

فقال الأب : كيف تـكون حالك لو خطفك رجل من البيت وذهب بك إلى حيث شاء ؟

قال الولد : أكون فى غاية الحزن والألم من فراق أهلى فلا يهنأ لى عيش مادمت بعيداً عنهم

فقال الوالد : وما بالك خطفت العصفور من بين أهله هل بلغت هذا الحد من الظلم والقساوة ؟

فأدرك الولد أنه صنع شراً وأمر الخادم أن يرد العصفور إلى أهله

لا تُسِء معاملة الحيوانات

إن صبياً كان ذا حماقة يفرح بإساءته إلى أوز المنزل، وكثيرا ماسأله الناس عن سبب ضربه وإساءته لهذه الطيور من غير جناية صدرت منها فيقول : لأنها أحمق الحيوانات ، حيث تصرخ وتضطرب لأقل حركة

فاتفق ذات ليلة أن تسوّر بعض اللصوص حائط المنزل وقتلوا الكلب الذى كان يخفر المنزل لئلا ينبحهم ، وأخذ اللصوص فى كسر الأقفال ولم يشعر أحد من أهل البيت بهذا الخطر الملم بهم ، حيث كانوا غارقين

فى بحار النوم، فأحس الأوز بعمل اللصوص لحدة سمعه، فلما خاف صرخ ورفرف بأجنحته، فاستيقظ أهل المنزل، وفرّ اللصوص، ونجوا بأنفسهم، ولم يتمكنوا من أخذ شيء من متاع البيت

فلما استيقظ الصبى فى الصباح قيل له : انظر الى سوء اعتقادك فى حماقة الأوز، حيث قلت أنه يفزع ويضطرب لأقل حركة، فلو لم يفعل بالأمس مافعل لحاق بنا الخطر، ووقعنا فى المكروه والضرر، فخجل الصبى وعاد على نفسه بالملامة وقال : سأستبدل تأديب الأوز بتأديب نفسى، فلا أسيء إلى الحيوانات الداجنة مادمت حياً

لا تؤذ الهرّ فانه نافع وغير مضر

كان لطفل هرّ وكان يؤذيه كثيرا، فتارة يربطه بخيط غليظ ويدليه من أعلى البيت، وتارة يعذبه بسحبه على الأرض، وكان من عادة الهر أن ينام بقرب فراش الطفل

فى إحدى الليالى رأى الهر ثعبانا يزحف بجانب الفراش، فوثب عليه وجعل ينهشه بأسنانه وأظفاره، فتنبه الولد على فحيح الأفعى وحركة الهر فصاح مرتعبا، فحضر والداه وهدآ روعه، وقالا له : انظر فائدة الهر الذى تؤذيه كيف منع عنك شر هذا الثعبان الخبيث

فسرّ الطفل من الهر وصار يحبه ويكرمه ويرفق به ويبحث عنه اذا

لم يره فى المنزل

الغلام والقط

دخل غلام غرفة فتبعه قط ، فلما رآه بادر الى الباب وأغلقه وأخذ يعدو وراء القط بالعصا والقط يموء ويقفز قفزات عظيمة حتى كسر بعض أدوات الغرفة من آنية وغيرها

فاهتاج الغلام واغتاظ ، وغضب وزمجر ، وجعل يضرب القط بلا رحمة ولا شفقة ، فتألم القط كثيرا ولم يجد مفرا ، فاستجمع قوته ووثب على الغلام بشدة ففقأ إحدى عينيه وجرح وجهه جروحا بالغة

فأسرع الغلام الى الباب وفتحه مستغيثا ؛ ففر القط ونجا ، وبقى الغلام قبيح المنظر مشوّه الوجه طول حياته ، وعرف أن الظلم يجلب لصاحبه البلاء ، ويوقعه فى البؤس والشقاء ، حمانا الله منه

الحذر من تعذيب الحيوانات الخرس

كان لرجل سبعة أولاد بُكْمٌ لايتكلمون ، فكان يحزن كثيرا لما يرى كل الناس تتكلم إلّا بنيه ، وأحيانا كان يتذمر ويقول : لماذا يا إلهى خلقتهم بُكْما ؟ لك فى ذلك حكمة

فجاء مرة مع أولاده الى دار رجل (سويسرى) عنده كثير من اللبن

والجبن ، وأراد أن يشترى قليلا من الحليب ، فلما رأى الرجل (السويسرى) الأولاد السبعة بصحة كاملة كالغزلان ؛ ولكنهم خرس أسف كثيرا ، وقال لوالدهم : انى أعرفك ياصاحبى من الصغر وأتذكر أنك كنت تمسك العصافير وتقطع ألسنتها وتتركها تطير ، وكم مرة نهيتك عن هذا الفعل القبيح وأنت لم تقبل نصيحتى ، فالله أرسل لك سبع بنين بكما جزاء خطيئتك ، إذ عذبت تلك الحيوانات الصغار بدون شفقة ، فطارت العصافير وشكت أمرها الى الله ، فكان الجزاء من جنس العمل ، أى أنك لما حرمت العصافير أن تنطق وتسبح خالقها حرم الله أولادك نعمة النطق ، فلا تسمع من أفواههم كلمة (ياأبى) فالحذر الحذر من تعذيب الحيوانات الخرس

أنجت كلبها من الغرق فنجاها من الموت

كانت سيدة يوماً تتنزه على نهر صغير ، فرأت هناك زمرة من الأولاد الأشقياء يجرون كلباً صغيراً لطرحه فى الماء وإغراقه ، فحنت عليه ورأفت به واشترته منهم وأخذته إلى قصرها ، فألف الكلب صاحبته ولم يتركها دقيقة واحدة

فى ذات ليلة ، حينما دخلت السيدة فى غرفتها لتنام وتستريح ، أتى الكلب ليرقد تحت السرير ، فطفق يعوى ، فأخذت السيدة المصباح وتطلعت

إلى ماتحت السرير، فأبصرت رجلا ذا هيئة وحشية، وكان لصاً كبيراً قد اختفى ليقتلها ويسرقها، فعند رؤيتها هذا المنظر البشع صرخت المسكينة صراخا شديداً لتستغيث ، فأسرع جميع السكان اليها ، وقبضوا على اللص وأسلموه إلى الحكومة . وقد اعترف بجريمته، بأنه كان فى نيته أن يقتل السيدة وينهب القصر ، فحكمت عليه حكما قاسيا ، فتضرعت السيدة إلى الله بالحمد والشكر على نجاتها

وقالت . ان الله نجانى من الموت بسبب هـذا الكلب الذى نجيته من الغرق

فالواجب الرفق بالحيوان ، لأنه مفيد للانسان

الملاجئ

الملاجئ هى أماكن فسيحة صحية أقامها الموسرون وأولو البر والاحسان فى بلادهم ، ليأوى اليها المعدمون والعجزة وأبناء السبيل ، حيث يجدون فيها ما يطفئ حرارة جوعهم ، وما يقيهم لفح الشمس ونفح البرد ، فضلا عن القيام بعمل يناسب كلا منهم، ينسى به همومه ويقضى به زمنه ، ويبتعد عن وصمة العطلة والبطالة

فقد أصبح الانسان أينما مرّ بطريق أوشارع ووجّه نظره رأى بائساً أو عاطلا ، واذا جلس بقهوة أوحانوت أو ركب مركبة أو (تراما) مرت

به أسراب المعوزين والسائلين ، وهؤلاء كلهم أعضاء فى جسم الأمة

فالواجب الانسانى يقضى على كل إنسان ألا يترك هذه الأعضاء يصيبها الشلل ، ويقعد بها إلى الضعف عن أداء وظيفتها فى الهيئة الاجتماعية ، بل يجب العناية بهم ، وتشييد الملاجئ التى تؤويهم ، وتقوم بتعليمهم ما ينفعهم من العلوم والحرف ، حتى يستطيعوا أن ينفعوا أنفسهم وأمتهم عوضاً عن أن يكونوا عالة وخطراً يهدد سلامتها

فقد يبلغ بهؤلاء المعوزين الجوع ، وتضطرهم الحاجة إلى الاخلال بالأمن العام وارتكاب الجرائم والسرقات

ولا وسيلة لنفعهم ورد أخطارهم سوى إقامة الملاجئ والعمل على انتشارها ، واليك أسماء بعض الملاجئ التى أسست بمصر وذكر كلمة عن بعضها

١ — الملاجئ التابعة لوزارة الأوقاف

لوزارة الأوقاف ملجأ طره ، وملجأ القبارى ، لإيواء الفقراء العاجزين عن التكسب وليس من يعولهم

و (تكية) الكاشى بشارع تحت الربع ، و (تكية) محمد بك أبى الدهب بحى الأزهر ، وهما معدتان لسكنى طلبة العلم من الغرباء ويتعاطى بعضهم مرتبات لسد عوزهم

و (تكية) مكة المكرمة ، و (تكية) المدينة المنورة ، وهاتان (التكيتان) يقدمان الأطعمة للفقراء فى هاتين البلدتين ويتضاعف عملهما فى موسم الحج

٢ — جمعية الملاجئ العباسية

بمدينة الاسكندرية

تأسست جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الاسلامية فى ٢١ رمضان سنة ١٣٢٣ وانتظم فى سلكها نخبة من أعيان الثغر وكثير من وجوه القطر بعد ماعرفوا أن صاحب الدعوة فى هذا العمل الحميد هو رجل المروءة والهمة ورب الأيادى الطولى فى المشروعات الخيرية ألا وهو سعادة المفضال الهمام خليل حمدى حماده باشا

والغرض من تأسيس هذه الجمعية أمران الأول ، إنشاء الملاجئ فى عواصم القطر للعجزة من أبناء البلاد وللأطفال المشردين من اليتم فى كل واد والثانى ، تعميم الوعظ والارشاد واختيار الأكفاء الذين يعرفون كيف يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويعلمون كيف يقومون بهذه المهمة الدينية فى القرى والعواصم ، حتى تكون الفائدة عامة ، والهداية منهم تامة

خطبة لتلميذ يتيم تدل على فوائد الملجأ

هذه هى الخطبة التى ألقاها أحد تلامذة الملجأ العباسى فى ليلة ٢٢ رمضان سنة ١٣٢٣ فى الحفلة التى أقيمت بدار الصناعة لأبناء شيالى (الجمارك) وكان عن يمينه يتيمان أحدهما أصغر من الآخر فقال ·

وُلدت أنا وأخواى هذان من أبوين فقيرين ، وكان أبى رحمه الله حمالا فى تفريغ الفحوم ، ومات بثغر بور سعيد ، ولم يكن ربحه يتجاوز الستة قروش تنفق على خمسة أنفس ، فكأن الدهر لم يكتف بإصابتنا بهذا الفقر المدقع حتى اختطف الموت أبانا

فتكفلت بنا المسكينة أمنا ، ولم يمض علينا إلا ثلاثة أشهر حتى فقدنا أمنا التى قضى عليها الحزن والمشقة من القيام بشؤوننا ، فأصبحنا ولا مأوى لنا ولا معين ، نتوجع من الجوع واليتم ، ونذوق علقم الفقر ، على حالة أعيذ أولادكم منها ، فكفلتنا خالة لنا ، حفظها الله مع أولادها الأربعة وكانت حرفة روحها وكسبه كحرفة المرحوم أبى (شيال فحم) فلما سمعت خالتنا ، كافأها الله ، بأمر الملجأ العباسى ، عرضت أمرنا على إدارته ، فقبلتنا وأنقذتنا من سوء حالنا

ومن المصائب التى تهدد اليتيم المسكين – ومصائبه جمة – ما أصابنى بعد وفاة والدتنا ، ذلك أنى دخلت بمنزل جارة لخالتنا وكانت واضعة

قدرا فيها ماء يغلي على تنور ، فعثرت به ، ووقعت على القدر بذراعي فاختلط جلده بعظمه ، وصار كالشواء ، فانتشلوني فاقد الاحساس والشعور وضمد جرحي على فساد ، واشتبك لحم الذراع بالساعد ، وصار ذراعي هكذا معطلا عن الحركة ، فلما دخلت الملجأ رأت إدارته أني صرت عاجزا فاستشارت الأطباء عما اذا كان يمكن إصلاح ذراعي بعملية جراحية فقالوا بامكان ذلك ، فأرسلتني الادارة الى المستشفى وعملت لي العملية فنجحت والحمد لله ، وأصبح ذراعي كما كان ، وهاهي آثار تلك الحادثة المحزنة التي كادت أن تفضي الى عجزي لم تزل حاضرة ، وهأنذا فرح مسرور بانقاذي من العجز ، وهاهي أعمالي وصناعتي أتشرف بعرضها على حضراتكم ، وقد عوفيت والحمد لله من العجز ، ووجدت سدادا من عوز واستغضت بشفقة الأبوين جنان ولي النعم ورحمته بالتجائي الى هـذا الملجأ » « المؤيد في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٠٥ »

المستشفيات

إن الفقراء لعاجزون عن القيام بنفقات الأطباء ، وإن قدروا عليها فهم لايقدرون على اتخاد الوسائل التي يرشدونهم اليها ، من إحضار الأدوية ، وسكنى الأماكن الطلقة الهواء ، الخالية من الروائح الكريهة ، وغيرها مما يؤلم الجسم ويضعفه

لذلك كان من أكبر النعم عليهم وعلى الأمة وجود المستشفيات التى ترشد ضالهم، وتدل حائرهم، وتداوى مرضاهم، مع القيام بكل مايحتاجون اليه من أكل وشرب ولباس وسكنى، حتى يتمكنوا من مزاولة أعمالهم بكل نشاط وسرور

وقد تحدث الحوادث فجأة كمداهمة قطار أو (ترام) أو سيارة، أو سقوط حائط قديم أو اعتلال صحة، أو غير ذلك من الحوادث التى تضر بصحة الانسان، فيكون الملجأ والقصد هو المستشفيات الخيرية التى يسرع عمالها باتخاذ الاسعافات الناجحة، والوسائل النافعة

وإن ذلك لمن أجلّ الفوائد التى تقدمها المستشفيات للأمة

وكما أن الفقير محتاج اليها، فالغنى كذلك؛ لأن النظام التام واختيار الأماكن الصحية، ووجود المعدات اللازمة مع العناية والاهتمام، كل ذلك لايتيسر إلا فى المستشفيات، فان أطباء المستشفيات يعودون المريض كثيراً، وهم أطباء مهرة عارفون بالحقوق والواجبات التى يؤدونها للمريض ويقدمونها نحوه، بخلاف غيرهم فانهم يطلبون باهظ الأجر لرؤية المريض مرة أو مرتين، واذا ذهب المريض اليهم فنقله لايخلو من صعوبة، وربما زاد مرضه من ذلك أو استعصى شفاؤه

وبعض الأطباء أعدّ للمرضى أماكن فى محل عيادته ليتمكن من مباشرتهم ورؤيتهم، ولكن ذلك لايعادل المستشفيات الخيرية، فان بها

بدل الطبيب أطباء وبدل الممرض (التمورجى) عدداً ليس بالقليل ونفقاتها لا تكاد تذكر لزهادتها ، والفقير لا يكلف بها لأنه يعالج مجاناً

وبعد هذا وذاك ، فان العمال الذين يقومون بأمر المستشفيات من كبيرهم إلى صغيرهم يتمتعون بما يتقدون من مرتباتهم فيفيدون ويستفيدون

لذلك كله على أغنياء الأمم وسراتها بالتبرع بجزء من أموالهم لاقامة المستشفيات الخيرية لما لها من جليل النفع وعظيم الفائدة

وعلى المستشفيات عماد الأمة فى زمن الحرب، واعتمادها عليها وقت الضراب والقتال ، فكم من جريح آوته وأسعفته ، وكم من مصاب أعانته وشفته ، ثم عاد إلى القتال ، والضرب والنضال ، فهى الساعد الأكبر فى السلم والحرب ، جزى الله القائمين بها خيرا

هذا وانه ليسرنا أن حضرة صاحب الجلالة مليك البلاد الملك فؤاد الأول حفظه الله مهتم جد الاهتمام بانشاء المستشفيات ونشرها فى أنحاء القطر المصرى ، وهذا مما يسجل له التاريخ به الفخر ويعود على أمته بالخير والسعادة

واليك أسماء المستشفيات التى أقامتها الحكومة وغيرها من المستشفيات الخيرية التى شيدها أولو البر والاحسان

١ — المستشفيات الأميرية التابعة لمصلحة الصحة العمومية

١ – مستشفى القصر العيني (القريب من منيل الروضة) تعالج فيه الأمراض الجراحية والباطنية والرمدية لمرضى الوطنيين و لفقراء الأجانب، ويمكن للمرضى أن يحضروا العيادة الخارجية فى كل يوم الساعة ٨ صباحا ماعدا أيام الجمع والأعياد ، يفرض على من يعالجون داخل المستشفى رسوم حسب اقتدارهم ، أما الذين يعالجون خارجه فعليهم أن يحضروا معهم الزجاجات وغيرها للدواء الذى يوصف لهم

٢ – مستشفى الحميات العفنة المعدية – يوجد بالعباسية ويقبل فيه المرضى بناء على كل طلب يقدم إلى مصلحة الصحة ، وعند الطلب ترسل مصلحة الصحه نقالات لنقل المرضى مجانا إلى المستشفى المذكور

٣ – مستشفى المجاذيب فى العباسية – لمعالجة الأمراض العقلية — ويقبل المرضى الوطنيين بشرط تقديم شهادات وافية من طبيبين ، ورسوم المعالجة تختلف من ٤ قروش إلى أربعين قرشاً صاغا يومياً حسب الدرجة التى يراد إقامة المريض بها

وكذلك يقبل المستشفى عدداً معيناً من مرضى الأجانب بشرط أن يقدموا شهادات مخصوصة مصدقاً عليها من القنصل الذى ينتسبون اليه ، وصور الشهادات للوطنيين والأجانب تطلب من مصلحة الصحة العموميه

ويوجد أيضاً مستشفى آخر بجهة (الخانكة) التابعة لمديرية القليوبية وهى تبعد عن القاهرة بنحو ١٥ ميلا

٤ – مستشفيات دائمة للرمد بطنطا والمنصورة وأسيوط . وهى نتيجة التبرعات التى جاد بها الأعيان الوطنيون

٥ – مستشفيات متنقلة خاصة بالرمد ، ومستشفى بقليوب أنشىء على نفقة المرحوم الشوار بى باشا

٦ – مستشفيات بالقاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة وقليوب عدا أحد عشر مستشفى متنقلا لمعالجة مرضى الانكيلوستوما (والبلهارسيا) البول الدموى الكثيرى الانتشار فى القطر المصرى وخصوصاً بين أهل الطبقة الفقيرة من السكان والمرضى يعالجون بهؤلاء المستشفيات مجاناً كمرضى لعيادة خارجية . ويوجد بها أسرّة لراحة المرضى بعد تناول الأدوية إذا استدعت حالتهم ذلك

مستشفى الأميرة فوقية الرمدى

بروض الفرج

فى يوم ٤ مايو سنة ١٩٢٩ تفضل حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول (ملك مصر) بزيارة مستشفى الرمد بروض الفرج وافتتح أعماله رسمياً وقد تعطف جلالته بأن قبل أن يدعى هذا المستشفى « مستشفى الأميرة

فوقية الرمدى الأميرى »

وهذا المستشفى أكبر مستشفى رمدى فى القطر أنشأته مصلحة الصحة فى حى روض الفرج بالقاهرة ، إذ أنه يحتوى على مائة وستة أسرّة . وقد استوفيت فيه كافة وسائل العلاج والفحص بأحدث الأجهزة الرمدية فضلا عن اشتماله على قسم كبير خاص بعلاج المرضى المترددين على عيادته الخارجية

وهذا المستشفى كغيره من مستشفيات الرمد يقوم بمعالجة الفقراء مجانا

مستشفيات وزارة الأوقاف

لوزارة الأوقاف عدة مستشفيات منها

١ – مستشفى الملك . ويعالج به جميع الأمراض وقسم خاص بالتوليد بإسعاف الحاملات بالخارج

٢ – مستشفى قلاوون — وهو خاص بأمراض العيون وبه قسم داخلى

٣ – مستشفى الأزهر

٤ – مستشفى فؤاد

مستشفى قلاوون

إن مستشفى قلاوون فى القاهرة المعروف عند الوطنيين باسم (بيمارستان)

قد شيَّده (منصور قلاوون) أول سلطان لأسرة البحاريين المماليك . وقلاوون هذا أسس حسب التقاليد التى كانت مرعية فى ذلك الوقت الجامع المسمى باسمه والمدرسة وقبره ، وهذا المستشفى يوجد فى حارة بين القصرين وتلقب اليوم نشارع النحاسين . وقد كان نذره نذراً فى شبابه بعد ما أصيب بمرض خطير . وقد بُدئ فى بناء هذا المستشفى فى سنة ١٢٨٤ وتم فى سنة ١٢٨٥ وبعد افتتاحه بأيام قليلة أعلن أنه يقبل فيه كل إنسان ذكراً كان أو أنثى مصاب بأى نوع من الأمراض . ولقلة الطرق الطبية فى المعالجة كانوا يعنون بارضاء أولئك المساكين بحسن المعاملة ، وكانوا يعلنون صلاة الصبح بجامع المستشفى المذكور قبل جوامع القاهرة بساعتين ، وذلك ليتعزى المصابون بمرض الأرق بحلول الصبح مبكراً . لكن رئيس أطباء غزوة بونابرت على مصر المسمى (واحنييت) ذكر فى بيان قدمه إلى ديوان العلماء فى مصر حال هذا المستشفى الذى يرثى له ، وبعد ما برح الفرنسيون مصر كان هذا المستشفى قد قصر عنايته فى عهد المماليك أيضاً على المصابين بالرمد والجنون إلى أن تولى اسماعيل باشا الأريكه الخديوية فأبعد عنه المجاذيب إلى بولاق أولا ثم إلى العباسية بعد ذلك

ومن وقتها تخصص هذا المستشفى للمصابين بداء الرمد

كلمة

على المستشفيات الخيرية

إن رجل الخير يذكره الناس بالخير ، والعمل النافع يذكر بكل عمل مفيد نافع

فاذا ذكرنا المدارس والملاجئ وسواها من أعمال البر والاحسان فانا نذكر المستشفيات لتكون لنا منها العبرة ، وليكون هذا الحاضر دليلا على المستقبل الزاهر

في سنة ١٩٠٦ أنشأ المرحوم الشوار بى باشا مستشفاه فى قليوب ، وبعد أن بناه وأثثه وقف عليه دخلا فى السنة ١٤٠٠ جنيه ، وفى هذا المستشفى ٥٩ سريراً ونفقاته فى السنة ٣٧٠٠ جنيه ، فالحكومة تديره والحكومة تدفع عجز النفقة

وفى سنة ١٩٢٣ سلمت (شركه كوك) داراً فى الأقصر للمستشفى تسع ٢٦ سريراً وتنفق عليه الحكومة فى العام ٢٢٠٠ جنيه

وفى سنة ١٩٢٤ تبرع أهالى مركز (طهطا) ببناء المستشفى وتأثيثه وهو يسع ١٥ سريراً وينفق عليه فى السنة ألفا جنيه

وفى سنة ١٩٢٥ سلم صالح لملوم باشا مستشفى فى (مغاغه) لمصلحة الصحة وهى تنفق عليه فى السنة ١٨٠٠ جنيه

وفى سنة ١٩٢٦ سلم أهالى (ملوى) ومجلس المديرية للصحة مستشفى يسع ١٦ سريراً ونفقته فى السنة ١٦٠٠ جنيه

وفى سنة ١٩٢٦ سلم الشوربجى بك لمصلحة الصحة مستشفى فى (بريم) يسع ٣١ سريراً ونفقته فى السنة ١٥٠٠ جنيه

وفى سنة ١٩٢٧ أنشأ أهالى (ميت غمر) بمساعدة مجلس المديرية مستشفى يسع ٣٢ سريراً ونفقته فى السنة ٣٠٠٠ جنيه

وفى سنة ١٩٢٨ أنشأ مجلس المديرية فى (الفكرية) مستشفى يسع ٢٤ سريراً

واليوم يقوم بدراوى باشا عاشور وينشىء مستشفى فى بلدته (درين) يسع ٢٤ سريراً. وقد وعد بتسليمه قريباً لمصلحة الصحة

وقد أنشأت الست نبيهه هانم كريمة المرحوم عبد الله عزت باشا وحرم المغفور له محمود حمدى باشا الأرناؤوطى مستشفى بلدة (التوفيقية) مركز إيتاى البارود ووقفت عليه مائتى فدان

فأنت ترى من هذا الاحصـــاء البسيط ومن تاريخ إنشاء هذه المستشفيات أنه لا يمر عام دون أن تستلم مصلحه الصحة مستشفى يقوم به فرد أو يقوم بانشائه جماعة أفلا ترى أن هذا المستشفى الـكبير الذى وضع أمس حجر أساسه وهو مستشفى المحسن الـكبير (عبد الرحيم باشا

الدمرداش) جاء متوجاً لجميع الأعمال التي تقدمته ؟

« الأهرام فى يوم الاحد ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨ »

كلمة حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء فى وضع أساس مستشفى الدمرداش

ياالخامة اللورد ، ياحضرات السادة والسيدات

يسرنى كل السرور أن أضع باسم الله الرحمن الرحيم حجر الأساس فى هذا البناء الذى تعده أريحية حضرة المحسن الكبير السيد عبد الرحيم الدمرداش لجميع المعوزين والمرضى من أى جنس كانوا ومن أى دين ؛ لأن الجميع من بنى الانسان

هذا البناء الخيرى الذى جادت به أريحية حضرة صاحب السعادة المحسن الكبير السيد عبد الرحيم الدمرداش باشا سيكون ان شاء الله بمثابة رحمة للعافين من الناس ، يذكرون السيد الدمرداش وآلاءه كلما خلصوا من آلامهم وبرئوا من أسقامهم وأمراضهم ، ويسألون الله أن يعطيه من الصحة بقدر ما أسدى لهم من الخير وتخفيف الآلام

وأنت أيها السيد الجليل نسأل لك الصحة وسرعة العمل فى بناء هذا المستشفى الخيرى حتى تشهد افتتاحه فى وقت قريب

وان الأمة حكومة وشعبا لتذكر لك ولحضرة حرمك وحضرة

كريمتك هذا العمل المجيد بكل فخر مقرون بالحمد والثناء

جزاكم الله الجزاء الأوفى، وألهمنا جميعاً كل مافيه حسن العمل النافع في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك أيده الله

« الاهرام فى يوم الاحد »

٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨

الجمعيات الخيرية وفوائدها

من عهد أن أخذت مصر تستعيد غابر مجدها على يد رجلها العظيم الخالد (محمد على باشا الكبير) رأس العائلة المالكه ألقى الأجانب من ولاتها على التوالى ـ خلا فترة قصيرة ـ تشجيعاً على القدوم اليها فأقبلوا يتوافدون عليها زرافات ووحدانا ، إذ وجدوا بلداً أمينا ، ومثوى كريما فاتخذوها وطناً ثانياً ، وشمروا عن ساعد الجد يستثمرون جهودهم وأموالهم فيها وبطبيعة الحال لم يكن جميعهم بمفلحين ؛ بل ساءت حال البعض منهم ، فالتف ذوو البأساء على مواطنيهم أو لجأوا الى رؤساء دياناتهم فرأى أصحاب المكانة من هؤلاء أن من المتعين عليهم إغاثة الملهوفين من اخوانهم والأخذ بناصرهم ، تدفعهم النخوة الانسانية والنعرة الوطنية أو العاطفة الدينية

ومن هنا نشأت فكرة تأسيس الجمعيات الخيرية ثم اقتدى بهم

سائر الطوائف والهيئات الأخر فألفوا جمعيات على هذا النحو يعضدهم أولو البر والتقوى منهم

ولهذا ترى جمعية خيرية لكل طائفة ، ولكل جالية تقريبا فى القطر المصرى

وهاك أسماء الجمعيات الخيرية الشهيرة بمصر :

« الجمعية الخيرية الاسلامية - جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية - جمعية المساعى المشكورة بشبين الكوم — جمعية التوفيق القبطية — الجمعية الخيرية بمصر — جمعية الروم الارثدوكس — جمعية المساعى الخيرية المارونية — جمعية المؤاساة الاسلامية — جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية — جمعية الهلال الأحمر المصرية — جمعية أمهات المستقبل — جمعية حماية الأطفال — جمعية الاسعاف العمومية — جمعية الرفق بالحيوانات »

فالجمعيات الخيرية هى اذن إحدى ظاهرات الرقى البشرى ، لأنها الدليل المحسوس على عاطفة نبيلة ألا وهى التضحية يبعثها نكران الذات وحب الخير للغير

وهى جديرة بكل تقدير وتشجيع لأنها تمثل الاحسان فى أحسن صورة من حيث انها تضع الندى فى موضعه ، وبالتالى فهى الاحسان المنظم مجسما

تألفت الجمعيات الخيرية من وطنية وأجنبية لغاية واحـدة هى : الأخذ بيد من غلب على أمره فى ميدان الحياة على تنوع فى تنفيذ تلك الغاية ، فكم أنشأت من مدرسة ، ومشغل ، وملجأ ، ومستوصف ، ومستشفى ، وكم وزعت من إعانات نقدية وعينية مما يفوق الوصف ، وكم استفاد منها الألوف ، ولولا تلك المساعدات لعادوا عالة على إخوانهم بل خطرا على الأمن العام ذاته . ولا عجب فقديما قيل : إن الفقر أس الرذائل

وقد رأت الحـكومة السنية الساهرة على الأمن العام والنفع العام مجهود الجمعيات الخيرية ومآثرها الغراء ، فوجدت فيها أداة نافعة تقوم بخدمة اجتماعية من حيث انها تخفف من ويلات الفقر والبطالة فهى بذلك تتفق وأغراض الحـكومة من حيث تنظيم الاحسان وتوطيد الأمن العام ، وقد رأت الحـكومة أيضا فى الجمعيات الخـيرية هيئات محترمة خليقة بالتعضيد فشجعتها على المضى فى سبيلها ومساعيها المشكورة وبذل المزيد من همة أفرادها ، وذلك بأن منحت بعضها إعانات سنوية وخولت للبعض الآخر إصدار أوراق (يانصيب) باسمها تديره بشروط معينة وتصرف غلته فى أوجه البر التى تتولاها . فسارت هذه الجمعيات فى حياتها المفيدة سيرا حثيثا وازداد عدد المنتفعين بخيراتها ومبراتها جزى الله الحـكومة والقائمين بأمر هـذه الجمعيات خير الجزاء ، انه السميع المجيب

نبذة صغيرة فى سير بعض العظماء

١ — عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

هو أبو حفص ، حفيد عاصم بن عمر بن الخطاب ، وسابع خلفاء بنى أمية وُلد سنة ٦٠ ﻫ بمصر وأبوه وال عليها ولما ترعرع أرسل من مصر الى المدينة ليتأدب فيها على العلامة عبد الله بن عبيد الله ، فلم يزل معه حتى صار اليه المنتهى فى جميع علوم عصره

ولما تولى ابن عمه سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦ ﻫ طلبه اليه واتخذه وزيرا له وأطلق يده فى أمور الخلافة فقام بها خير قيام

ثم لما مات سليمان سنة ٩٨ خلفه هو بعهد منه فصعد المنبر وقال : أيها الناس والله ماطلبت هذا الأمر قط فى سر ولا علانية ؛ وانى خلعت مافى أعناقكم من بيعتى فمن كان كارها لشىء مما وليته فالآن . . . (فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك ورضيناك أميرا لنا) فلما سكتوا قال : فأوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خلف ، فاعملوا لآخرتكم ، فان من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله

فلا طاعة له ، فأطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لي عليكم

ثم أخذ يدير حركة الخلافة على محور العدل ، فرد المظالم ، ونشر المكارم ، وأبطل سب الامام عليّ على المنابر وبدّله بهذه الآية

« إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

فلما بلغت الخوارج سيرته اجتمعوا وقالوا : ماينبغي لنا أن نتعب هذا الرجل الصالح ، فسكتوا

ثم إن يزيد بن عبد الملك رأى أن عهده سيطول على هذا العقل والعدل والاستقامة ، فجعل لخادم الخليفة ألف دينار على أن يسمه ، فقتله وكان ذلك سنة ١٠١ هـ

وكان عمر بن عبدالعزيز كثيرا مايتمثل بهذه الأبيات

نهارك يامغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى ... كما غُرّ باللذات في النوم حالم

وشغلك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ومات عن اثني عشر غلاما لم يترك لهم شيئا ولما حضرته الوفاة جمعهم وجعل يصوب نظره فيهم ويصعده حتى اغرورقت عيناه بالدموع

ثم قال :

نفسى فتية تركتهم ولا مال لهم ، يا بنى إنى خيرت نفسى بين أن تفتقروا الى آخر الأبد وبين أن يدخل أبوكم النار، فاخترت الأول

يابنى عصمكم الله ورزقكم ، وقد وكلت أمركم الى الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين

وكان عنده وقتئذ مسلمة بن عبدالملك فوهبه أربعين ألفا ليفرقها على أولاده وقال له : عن طيب نفس فعلت ؟

فقال له مسلمة : لقد جمعت علينا قلوبا متفرقة وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا

وهو أول من فرض لأبناء السبيل ، ولم يكن خليفة للمسلمين فقط ، بل هو فيلسوف عظيم ، وفقيه كبير ، اجتمعت فيه الصفات العالية ، والخلال الحميدة ، فكان القدوة الحسنة لمن وليه من الخلفاء ، ومثال الاستقامة والزهد ، حكم أمته بالعدل ، ونهج منهجا قويما ، فصار نموذجا للعالمين

عرف هذا الملك العادل كيف يدير ملكه ، وكيف يسير به فى طريق الاصلاح والرقى ، استفتح ولايته ببيع ما كان يملكه سليمان من ملابس وغيرها ، حتى اجتمع لديه من ذلك مبلغ عظيم، ثم وضع الثمن فى بيت المال كما وضع فيه ثوب زوجته بنت عبد الملك علماً منه أن ماأنفق

عليه إنما كان من بيت مال المسلمين

٢ — هارون الرشيد بن المهدى

هو هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس، بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه موسى الهادى، وكان عمره حين ولى اثنتين وعشرين سنة، فلما مات الهادى جاء اليه يحيى بن خالد البرمكى وهو نائم فى فراشه فقال له قم ياأمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تروعنى إعجابا منك بخلافتى ؟ فكيف يكون حالى مع الهادى إذا بلغه هذا ؟ فاعلمه بموته وأعطاه خاتمه، وبينما يحيى بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة إذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبد الله وهو المأمون، فى ليلة واحدة مات خليفة وتولى خليفة وولد خليفة وفى هذه السنة ولد محمد الأمين بن الرشيد أيضاً فكان المأمون أكبر منه

وفى سنة ١٧٠ هـ استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقلده أمر الرعية وأعطاه خاتمه، وفى ذلك قال ابراهيم الموصلى :

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة ... فلما ولى هارون أشرق نورها
بيمن أمير الله هارون ذى الندى ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

ويقصر الواصفون عن وصف مناقب هذا الخليفة الذى أقل مايقال فيه أنه حمل الخلافة علما هو مسماها فكان أنيساً وديعاً إلى الغاية، شديد

الرعية فى قضاء حاجات الناس ، محافظا على راحة رعاياه . وذكروا أنه كان يطوف فى أكثر الليالى متحمياً فى أسواق بغداد وشوارعها ليقف على أحوال الناس فاذا رأى أحداً منهم مظلوماً أعانه وأنصفه

وكان يحب المديح ، لاسيما من شاعر فصيح ، ويرغب فى العلم والعلماء ، ويبذل لهم العطاء ، حتى قيل انه لم ير خليفة قبله أعطى منه للمال ، وكان لايضيع عنده إحسان محسن

قيل : صنع مرة وليمة عظيمة وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية الشاعر وقال له · صف لنا مانحن فيه من نعيم هذه الدنيا

فقال أبو العتاهية

عش مابدالك سالما   فى ظل شاهقة القصور

فقال · أحسنت ، ثم ماذا . فقال ·

يسعى اليك بما اشتهيـ   ـت لدى الرواح وفى البكور

فقال · أحسنت ، ثم ماذا . فقال

فاذا النفوس تقعقعت   فى ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقناً   ما كنت إلا فى غرور

فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث اليك أمير المؤمنين تسره فأحزنته ، فقال : دعه ، فانه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه

« تاريخ دول الاسلام »

وكان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم كان يحج سنة ، ويغزو سنة ، كذلك مدة خلافته إلّا سنين قليلة قالوا . وكان يصلي فى كل يوم مائة ركعة ، وحج ماشيا ، ولم يحج خليفة ماشيا غيره ، وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم ، واذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة الفاخرة ، وكان يتصدق من ماله الخاص كل يوم بألف دينار

وكان عالى الهمة ، موصوفا بالحلم وحسن التدبير ، يميل لأهل العلم ويعظم حرمات الاسلام

ولما جلس على كرسى الخلافة اشترك معه يحيى وزيره فى تدبير شئونها فبلغت من السعادة والكمال مالم تبله من قبل ، وسطعت فى خلافته شمس المعارف والآداب ، وكتبت الكتب التاريخية والأدبية وترجمت المؤلفات الفلسفية والعلمية ، من اللغة اليونانية الى العربية ، واتسعت دائرة التجارة ، وامتدت الفتوحات

وقد أضاء فى زمنه كوكب سعد البرامكة ، الذين هم من الفرس وحرضوه على إحياء الفنون والتجارات والصنائع ، ثم وشى بهم اليه فى السنة السابعة عشرة من حكمه ، فقتل أعظم وزرائه الفضل وجعفر البرمكى مع جميع أسرته

ويقال : أن هارون انتصر فى ثمان حروب حضرها بنفسه أعظمها

غزوة (هرقلة) لأن الروم خلعت الملكة (ايريني) التي كانت تعظم الرشيد وتبجله ، وولوا (نيقيفور) فلما تمكن من ملكه كتب الى الرشيد أنه عازم على التجول فى بلاده والهجوم على أمصاره ؛ فلما بلغ الرشيد ذلك جمع جيشا جرارا فيه قوادبواسل ، وتوغل بهم فى بلاد الروم وجد فى السير ، وجعل يقتل ويغنم ويسبى ، ويخرب الحصون ، حتى أناخ على (هرقلة) وهى من أوثق حصن ، وأعزه جانبا ، وأمنعه ركنا ، فحاصر أهلها وضايقهم ، ففتحوا له الأبواب مستأمنين

ولما رأى ذلك (نيقيفور) ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وفر هاربا ثم رجع الرشيد الى بغداد

وفى مدة خلافته كان على مملكة فرنسا (كارلوس) الأكبر المعروف (بشرلمان) وكان بينهما مودة زائدة ، وكان الرشيد كثيرا ما يهدى اليه ، ومن جملة ماأهداه اليه شطرنج ثمين ، وساعة شمسية دقاقة من مخترعات بلاده ، وأرسل له مفاتيح كنيسة القدس مع أمر لنوابه أن يعاملوا الزوار الذين يأتون لزيارة الأراضى المقدسة أحسن معاملة

ولما بلغه عصيان عامله على (سمرقند) وهو رافع بن الليث سار اليه فمرض بالطريق ، وأقام (بطوس) الى أن مات فيها ودفن بها سنة ١٩٣ هـ وكانت خلافته ٢٣ سنة وعمره ٤٧ سنة « النهضة العباسية »

فى تاريخ مصر والأمة العربية

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

لما انقضى عهد الأمين بويع للمأمون البيعة العامة فى بغداد وكان هذا الخليفة من أعظم رجال العصر همة وذكاء وعدلا وحبا للتمدن والعلوم، ونشر المعارف والصنائع، وكل ما يوصل لعمارة البلاد، فربط العلائق التجارية بين الأقاليم المختلفة، ونشر سائر العلوم والصنائع، حينما رأى ميلا الى ذلك من عرب الممالك الشرقية، الذين أخذوا يعرفون التمدن وفوائده، وصار يحرص الناس على استعمال أذهانهم فى الأمور النافعة، حتى وصلوا فى أقرب وقت الى درجة عظيمة من التمدن، وتقدموا على اليونان فى التجارة والصنائع والفنون الأدبية وغيرها، التى ظن اليونان ألا سابق لهم فيها

وكان مجلسه مشحونا بالعلماء والأدباء، يتناظرون ويتباحثون حتى اتسعت دائرة الأفكار، وجعل بغداد مركزا للعلم، وكاتب ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة، فبعثوا اليه ما طاب لهم منها، فكلف بترجمتها أمهر التراجمة، وانما كلفهم بذلك لأنه كان يعلم أن أعظم شيء لسعادة الأمة وسلامتها هى المعارف، فأقبل على طلب العلوم، وأكثر من فتح المدارس وتأسيس دور الكتب، واستحضر الكتب النفيسة من جميع الأقطار حتى تقدمت العلوم تقدما زائدا، وبنوا الرصدخانة ووضعوا فيها الآلات

العظيمة وتقدم علم الطب والتاريخ والفلك ، الذى كان هو معدودا من رجاله ، والرياضات والصناعات خصوصا صناعة الآلات الميكانيكية

وبالجملة لم تبلغ الأمة العربية أعلى درجات المجد والشرف والرفعة أكثر مما بلغته فى مدة هذا الخليفة

ثم مات فى سنة ٢١٨ هـ بعد أن حكم ٢٠ سنة وعمره ٤٩ سنة ودفن (بطرسوس) « كتاب البهجة العباسية »

« فى تاريخ مصر والأمة العربية »

صلاح الدين بن أيوب

بعد موت الخليفة الفاطمى سنة ٥٦٧ هـ استولى صلاح الدين ابن أيوب على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه من الأمتعة الثمينة والتحف الغالية ، وتبوأ تخت الحكومة ، وليصفو له الجو أخذ يستأصل شيعة الفاطميين . فانه لما نمى اليه أن طائفة منهم تواطئوا على أن يستدعوا الأفرنج من (صقلية) وسواحل الشام ليخذلوه ويعيدوا الدولة الفاطمية وأرسلوا الرسل سرا بذلك ، قبض على هذه الطائفة وأمر بصلبهم

ولما وصلت الرسل الى الأفرنج (بصقلية) تجهزوا وبعثوا سفنهم مائتى اسطول للمقاتلة، فيها خمسون ألف راجل، وألفان وخمسمائة فارس، وثلاثين مركبا للخيل، وستة مراكب لآلة الحرب ، وأربعين للأزواد، ووصلوا

الى ساحل الاسكندرية سنة ٥٧٠ هـ وقاتلوا أهلها، ونصبوا المجانيق عليها وطار الخبر الى صلاح الدين بالقاهرة ، فجاء على جناح السرعة آخر النهار واهتاج قومه الى الحرب ، فخرجوا عند احتلاط الظلام ، وفاجؤا الأفرنج فى خيامهم ، فبادروا الى ركوب البحر ، فماتوا بين قتل وغرق ، ولم ينج منهم إلا القليل ، ولما أصبحوا أقلعوا بأساطيلهم راجعين

ولما مات (نورالدين محمود بن زنكى) ملك الشام سنة ٥٦٩ هـ وورث الملك عنه ابنه الصغير، ورأوا أنه لايقوى على دفع الأفرنج الذين كثر غزوهم للبلاد أرسلوا إلى صلاح الدين ليملكوه عليهم ، فجاء سنة ٥٧٠ هـ وشرع فى الاستيلاء على الشام بحجة أنه يدافع عن حقوق الوارث ، ويحفظ ملكه إلى أن يبلغ أشده ، فأخذ دمشق وحمص وحماه ، وهو لايظهر إلا الطاعة للملك القاصر، لكن ظهر مأربه بحصاره لمدينة (حلب) التى كان فيها الملك نفسه ، وبقى محاصراً للمدينة إلى أن بلغه أن الأفرنج نزلوا (حمص) فرحل اليها وأجلاهم عنها ، ثم صار إلى (بعلبك) فملكها

وفى سنة ٥٧١ هـ هزم صلاح الدين سيف الدين غازى صاحب الموصل وغنم أثقال عسكره

وفى آخر هذه السنة حاصر قلعة (إعزاز) حتى أخذها ثم نازل (حلب) وحاصرها حتى سألوه الصلح فأجابهم اليه ورحل عن المدينة سنة ٥٧٢ هـ

ولما جاء إلى مصر فى هذه السنة أمر ببناء سور يحيط بمصر والقاهرة

وقلعة القطم التى بناها وزيره (بهاء الدين قراقوش) وأنشأ بها القصر الملكى الذى محله الآن جامع محمد على (بالقلعة)

وفى سنة ٥٧٣ سار صلاح الدين وجنده إلى ساحل الشام لغزو بلاد الأفرنج فانتهى إلى (عسقلان) ولم يروا للأفرنج خبراً فساحوا فى البلاد واغتنموها وانقلبوا إلى (الرملة) فما راعهم إلا الأفرنج مقبلين فى جموعهم وأبطالهم فاشتد القتال وآل الأمر إلى هزيمة صلاح الدين مع فل قليل إلى مصر

وفى محرم سنة ٥٧٨ هـ خرج صلاح الدين من مصر قاصداً الشام فدارت أرحاء الحروب بينه وبين معارضيه والأفرنج عدة سنين فى وقائع كثيرة استولى فيها على مدائنهم وحصونهم وأموالهم. ومن أشهر هذه الوقائع واقعة (حِطّين) سنة ٥٨٣ هـ فانه لما فتح (طبرية) عنوة واعتصم أهلها بالقلعة تهيج الأفرنج وأتوا لرد صلاح الدين وجنوده عند تل (حطين) فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين وحمى الوطيس ودارت الدائرة على الأفرنج فانه لم يبق من ألوفهم المؤلفة إلا نحو ١٥٠ من خلاصة زعمائهم وقد أسروا مع مليكهم والبرنس (ارناط) صاحب (الكرك) وقد أكرم صلاح الدين مثواهم إلا أنه قتل البرنس جزاء غدره ونقضه العهود السابقة

وبعد هذه الواقعة فتح عدة مدائن بلا عناء ولا تعب إلى أن نازل القدس وبه من الأفرنج عدد يفوق الحصر فطلبوا الأمان فأمنهم على

شرط أن يدفع كل رجل عشرة دنانير ، وكل امرأة خمسة ، وكل طفل دينارين ومن عجز عن الأداء كان أسيراً فأجيب إلى ماطلب وسلمت اليه المدينة فى رجب هذه السنة

ولما وصل نبأ هذه الحادثة إلى أوروبا أتت الأساطيل الافرنجية إلى السواحل الشامية ليستردوا بيت المقدس فلم يتمكنوا إلا من فتح عكا وعقدوا صلحاً وثيقاً مع صلاح الدين ورجعوا إلى بلادهم سنة ٥٨٨ ﻫ

ومات السلطان صلاح الدين بدمشق سنة ٥٨٩ فتكون مدة حكمه ٢٢ سنة كلها غزو وجهاد وفتوح للبلاد وكان عادلا فاضلا حكيما حليما ذا سياسة ودهاء

« تاريخ مصر القديم والحديث »

محمد على باشا رأس الأسرة المالكة

وُلد هذا الرجل الهمام بمدينة (قوله) التابعة لولاية (سلانيك) فكان أبوه يسمى ابراهيم أغا أحد الضباط بهذه المدينة وله تاريخ طويل قبل تولية الأريكة الخديوية يدل على علو نفسه وشدة بأسه

ولما صدرت الارادة السنية (بفرمان) يأذن له بتولية الديار المصرية فى أواخر شعبان سنة ١٢٢١ ﻫ أخذ فى استعمال الوسائل اللازمة لاراحة البلاد تارة باللطف ، وتارة بالعنف ، حتى أذعن له أمراء المماليك فأقطعهم

البلدان والأقاليم ، فاستتب الأمن بسبب ذلك ، والتفت لاصلاح الأحوال الداخلية ، فنشر الزراعة والتجارة ، وأدخل بمصر زراعات مختلفة أهمها زراعة القطن ، وأكثر من غرس الأشجار لترطيب الجو ، وحفر ترعة المحمودية التى توصل مياه النيل إلى الاسكندرية لتحمل عليها التجارة من هذه المدينة واليها ، وأنشأ جملة معامل لانتشار الصناعة ، وأسس مدرسة الطب ومدارس لتعليم الشبان المصريين ، ومدرسة عسكرية ومدرسة للمدفعيه (للطوبجية) وبنى فى الاسكندرية (ترسخانة) لعمارة السفن ، وقسم القطر إلى مديريات ، على كل مديرية منها حاكم يعرف بالمدير ، والمديريات إلى أقسام وأخطاط ، على كل منها مأمور أو حاكم

ومن أعماله المهمة تشييد القناطر الخيرية ، وإنشاء معامل (فابريقات) الغزل ، ونسج القطن ، والحرير ، والكتان ، والصوف

وبالجملة فقد دخلت مصر فى أيامه فى دور جديد ، وأحدث فى الأهمية التى لا مزيد عليها ، وله خدمات جليلة للعالم الاسلامى عموماً والسلطنة السنية خصوصاً ، أخصها فتح طريق الحجاز لحجاج بيت الله الحرام ، وتخليصه من أيدى الوهابية ، وضبط مفتاح الكعبة المشرفة من يد زعيمهم وارساله للاستانة العلية ، حتى كان لهذا الأمر وقع عظيم لدى السلطان ، فجعله موضع ثقته فى كل مهمة ، ومحل اعتماده فى حل كل مشكلة ؛ ولكن كبر ذلك على ذوى الدسائس ، فأخذوا يسعون

بالفساد ، حتى كان ما كان من الحروب التى حصلت فى الشام

وفى سنة ١٢٥٦ صدر (الفرمان الشاهانى) بتحويل محمد على باشا وأسرته وراثة الحكومة المصرية والأقاليم السودانية

وبعد خمسة شهور صدر (فرمان) آخر مثبت لهذه الوراثة بشرط أن من يتولى منهم لابدّ له من (فرمان) جديد

ثم اشتغل محمد على باشا فى السنوات الأخيرة من ولايته بتحسين ادارة البلاد وترتيب مصالحها الداخلية ، والتفت بالخصوص لاصلاح أحوال الزراعة والتجارة والصناعة التفاتاً كبيراً ؛ إلا أنه فى هذه المدة قد كبر وضعفت قواه العقلية ، فوكل ادارة الأمور الى ولده (ابراهيم باشا) واعتزل فى سراى رأس التين بالاسكندرية حتى توفى بها سنة ١٢٦٦ ه فى عهد ولاية حفيده (عباس باشا) وقد حملت جثته الى القاهرة فدفنت بالقلعة فى مسجده الذى بناه فى جزء من موضع السراى التى كانت لصلاح الدين ، عليه سحائب الرضوان والحمد لله أولاً وآخراً

فهرس الكتاب

تم ولله الحمد طبع الجزء الرابع من كتاب السمير في يوم الأربعاء ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٩ والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام في البدء والختام